

١٧ رمضان

رواية تاريخية غرامية

هي الحلقة الرابعة من سلسلة روايات تاريخ الإسلام

* وهي تصنف من قتل الإمام علي وسط *

* حال الخوارج وتنشئة العترة *

* استئثار بني أمية بالخلافة وخروجها *

* من أهل البيت *

...

تأليف

جمجي زيدان

مشتريات اهلاك

شريط ملحقة بالسنة الخامسة من المجلد

طبع في بيروت

(طبعت بطبعة اهلاك ، الجالية بصرى سنة ١٩٠٠)



مقدمة

فرغنا والحمد لله من الحلقة الرابعة الساسلة روایات الاسلام وفيها
تفصیل خبر المؤامرة المتهورة على قتل الثلاثة العظام الامام علی بن ابی
طالب و معاویة بن ابی سفیان و عمر و بن العاص في السنة الاربعین للهجرة
و تفصیل مقتل الامام علی مع ما رافق ذلك من الحوادث التي تبين حال
الخوارج و انقسام العالم الاسلامي و اشتداد الفتنة الى تنازع الحسن عن الخلافة
معاویة بن ابی سفیان اول خلفاء بنی امية

و سنتبع رواية « ۱۷ رمضان » هذه برواية اخرى هي الحلقة الخامسة
من الساسلة المذکورة ببساط فيها مقتل الامام الحسين وما يتقدمه و يتبعه
من الفتنة والحرروب و سندعوها « غادة كربلا » نسبة الى المكان الذي قتل
فيه الحسين . و ننشرها ماحققها بالسنة التاسعة من الملال . و نسأل الله ان
يوفقنا الى قيام هذه الخدمة وهو حسبنا ونعم الوکيل

—
—
—

الفصل الأول

* الخوارج *

الخوارج جماعة من رجال الامام علي بن أبي طالب عليهما السلام قتل بالتحكيم على اثر واقعة صفين (راجع عذراء قريش) وكابوا قيل ذلك في مقدمة الذين حرضوه على قبوليهم . لكنهم لما رأوا التحكيم آلا الى الحكم بخروج الخلافة منه الى معاوية من ايدي سفيان نتصوّل بعنة وجدوا طاعنة وطعوا في السلطة لانفسهم فنافعوا واحداً منهم اسمه عبد الله بن وهب حاربوا تحت رايته زماناً

ولما صدر حكم الحكيمين بخلع علي وتنصيب معاوية اشتغل ازر معاوية وتوسيع بالخلافة في الشام . وكان الخوارج لا يزالون في بدء امرهم فأخذ عليُّ بجهز لحرب معاوية . وفيما هو بجهز جاءه الخبر تأليب الخوارج وترددهم فاصح لهم وجادهم وبين لهم انه لم يحيطُ بقول الحكيم وانه لم يقبله الا اجازة لصلفهم فلم يرتدعوا . فرأى ان يستأصل شأفتهم قيل خروجه الى معاوية . فثار بهم في موقع عديدة اشهرها واقعة الهروان وراء دجلة بالقرب من مكان بغداد انتصر فيها عليهم نصراً مبيناً وشنّت شمامهم تشتيتاً ولكنهم ما زالوا يحتذعون سراً

وفي سنة ٤٢٥ ففتح عمرو بن العاص مصر وقتل محمد بن ابي بكر عاملها وتولى دار باسم معاوية فاصح معاوية خليفة في مصر والشام ومقامه دمشق . وفني على في العراق والجزيرتين والبحار واليمن ومقامه الكوفة .

وأخذ معاوية يبعث سراياه الى ملاد الامام علي يلتئس افتتاحها للاستقلال بالخلافة . فانفذ جدأ الى مكة وآخر الى اليمن وآخر الى الجزيرة يحاربون وبناؤئون ولكنهم لم يبلغوا ارضاً . فدخلت سنة اربعين للهجرة وعلى بن ابي هب للخروج على معاوية وقد بايعه اربعون الالى من عسكره على الموت . وفي ما هو في ذلك فاجأه القدر فمات مقتولاً كما سترى تنصيب ذلك في ما يلي

الفصل الثاني

* الكوفة عاصمة الامام علي *

هي مدينة اسلامية مصّرها سعد بن ابي وقاص احد كبار الصحابة في السنة السابعة عشرة للهجرة على عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد ان فتح العراق وقد اشار عليه عمر ان يقيم في مكان لا يحول بينه وبين المدينة بحرب ولا جسر حتى اذا اراد ان يقدم اليه على راحلته قدم^(١) فبني الكوفة في غرب الفرات على شاطئ مجففة كانت هناك بقرب مكان الحبشه بينها وبين الفرات بضعة وعشرون ميلاً

وكان بناؤها في اول امرها بالقصب فاصابها حريق فاستأذنوا الخليفة عمر في بنائها باللين فقال «افعلوا ولا يزيدن احدهم على ثلاثة ابيات ولا نطاولوا في البناء والرمي السنة يلزمكم الدولة» فجعلوا ذلك وجعلوا طرقها سوعين المماهع والازفة وجعلوا اعرض المنبع عشرين ذراعاً وعرض الرفاق سعة اذرع . وما بين المناهج اماكن البناء اربعون ذراعاً . والقطاع ستون ذراعاً . واوْل شيء خطوه فيها المسجد . فوقف في وسط المدينة رجل شديد النزع رمى الى كل جهة سهمي وامر بان يبني ما وراء ذلك . واما الساحت حول ذلك الرامي الى مرمى سهامه فتبني المسجد وبنوا في مقدمة المسجد ظلة او روافدا اقاموه على اساطين رخام من بناء الاكاسنة نقلوها من اخر بة الحبشه . وجعلوا على الصحن خندقاً لثلاً يتخمه احد سنيان وبنوا لسعد بن ابي وقاص قصراً بجانب المسجد نقلوا حجارته من آخر بناء الاكاسنة وسموه قصر سعد^(٢)

وما زالت الكوفة تعم حتى اتخذها الامام علي مقرّاً له بعد واقعة الجمل سنة ٣٦ هـ فازدادت عمارتها بما ناظر اليها من الناس بعد ان صارت عاصمة الخلافة وتکاثرت فيها الابنية وعمرت الاسواق وانشئت حولها الحدائق والبساتين مما هي محيطة بها

الفصل الثالث

✿ غادة الكوفة ✿

وكان في ضاحية الكوفة على شاطئ العجينة حديقة من تخيل حولها سور من جذوع الخلل يحيط بالحديقة إلاً من جهة العجينة . وفي وسط الحديقة بيت مبني من اللبن يدلُّ شكله على أن سكانه من أهل اليسار وقد يجيء لك اذا دخلت الحديقة انت مسكن بعض الامراء ذوي الخدم وانحست لما ترى بين تخيله من آثار المعالف والآوناد والسلال و القبور . وترى جذوع بعض التخيل قد تأكّلت من شد الامeras اليها على تواقي الايام او من تعهد الافراس بقتلها باستثنائها وهي متعددة اليها

وكان الوقت ليلاً في اوائل السنة الاربعين للهجرة في زمن الخريف ^(١) وقد نضج الثمر على خلول وليس من يقطنه فتساقط بعضاً على الارض وليس من يلتفطه . وكان القمر بدرًا وقد اطلَّ من وراء الاَّكام فارسل امثال التخيل مستطيلة متقاطعة . والجو هادئ السكوت سائد لعد المكان عن المدينة ووضواعها فلا تسمع غير نقيق الصنادع على شاطئ العجينة يحمله صرير الصراصير وقرفة القر . وربما هي النسم فاسمعك حفيظ سعف الخل هنيهة تم انقطع . ولند نعجب لوحشة ذلك المكان مع ما تراه فيه من آثار الاس ودلائل الاية

ولو دخلت المنزل لرأيته عبارة عن دار وثلاث غرف مسيطرة بعضها على بعض مفروشة ارصفتها بحصى من سعف الخل فوقها جاود الماء الاَّ غرفة في ارضها طنسة جميلة عليها وسائل من الخز . وفي بعض جواب الغرفة مصاح ضعيف النور . وعلى احدى تلك الوسائل فتاة في مقتبل العمر اشرف وجهها بباء الشباب . وقد حللت شعرها الاسود فارسلته على كتفيها فتحجب بعض جيئها وغطى عذاريهما فتحجب قرطيها وساليها ولكن زاد عينيها كحلاً واشراقاً . ترى تبلى العينين الدمعاً وبن البراقين قد غشياها الدمع واخذ يخدر على وجنتين محمرتين فيها انت دقيق مستقيم تخفه فم صغير . فإذا زاد اسكاب الدمع استيقنته باطراف جدائها او باحد كيمها . وكانت

لasse جليباً اسود حداداً على فقيدها . ولم يزدتها ذلك الحداد الاً حملاً وفتنة .
وكان تلك الغادة استأنست بوحدهما فاطلقـت لنـسـها عنـان البـكـاء حيث لا
رـقـيب ولا عـدو فـاخـذـت نـاطـمـ خـدـيهـا وـتـنـدـبـ فـقـيـدـين عـزـيزـين قـيـلاـ فيـ يومـ وـاحـدـ
ـتـالـكـ هيـ قـصـامـ بـنـتـ شـعـبةـ منـ عـدـيـ (١)ـ مـنـ قـبـيلـةـ تـيمـ الرـمـابـ .ـ تـالـكـ هيـ فـاتـةـ الـكـوـفـةـ
ـالـفـاتـانـةـ الـتـيـ ذـاعـ صـيـنـهـاـ فـيـ الـأـفـاقـ وـسـعـ مـجـمـعـهـاـ الـنـاصـيـ وـالـدـانـيـ حـتـىـ اـصـبـحـتـ فـتـنـةـ
ـالـكـوـفـيـنـ وـمـصـرـبـ اـمـشـالـهـمـ .ـ وـقـدـ شـخـصـتـ إـلـيـهـاـ الـأـبـصـارـ وـحـامـتـ حـوـلـهـاـ التـلـوبـ فـنـاتـ
ـمـعـبـةـ مـحـمـالـهـاـ لـاـ تـعـرـفـ مـاـ وـلـمـ تـذـقـ غـمـاـ حـتـىـ بـلـيـتـ يـقـتـلـ بـالـدـهـاـ وـاـخـيـهـاـ مـعـاـ
ـقـتـلـ وـالـدـهـاـ وـاـخـوـهـاـ فـيـ وـاقـعـةـ النـهـرـ وـانـ (٢)ـ وـكـانـاـ مـنـ جـمـلـةـ الـخـوارـجـ الـدـيـنـ يـقـوـواـ
ـعـلـىـ اـنـتـولـهـ مـالـتـحـكـيمـ فـاـنـضـلـواـ إـلـىـ مـنـ يـنـضـمـ يـعـتـهـ وـدـارـسـواـ فـيـ جـمـلـةـ مـنـ حـارـبـةـ .ـ
ـوـكـانـتـ قـصـامـ ثـانـيـةـ الـجـمـاـشـ شـدـيـعـ الـإـنـقـامـ ذـاتـ حـيـلـةـ وـدـهـاءـ مـاـ اـنـسـكـتـ مـنـ قـتـلـ
ـوـالـدـهـاـ وـاـخـوـهـاـ وـهـيـ تـنـدـبـهـاـ وـتـنـمـسـ الـإـنـقـامـ لـهـاـ وـلـكـنـهـاـ لـمـ تـكـنـ تـسـتـدـعـيـعـ الـمـجـاهـدـهـاـ بـذـلـكـ
ـوـالـكـوـفـةـ مـقـرـ الـإـمـامـ عـلـىـ وـمـجـمـعـ الـأـصـارـ وـتـسـعـتـهـ .ـ فـاقـامـتـ فـيـ مـنـزـلـهـاـ ذـاـنـ فـيـ ضـاحـيـةـ
ـالـكـوـفـةـ وـحـيـةـ لـيـسـ مـعـهـاـ سـوـىـ عـدـ كـهـلـ رـبـيـ فـيـ اـهـلـهـاـ مـنـ صـبـاهـ .ـ فـلـمـ اـيـتـ بـصـيـنـهـاـ
ـهـبـرـهـاـ سـائـرـ الـخـدـمـ وـالـاعـوـانـ لـاـ هـنـاـ .ـ وـكـانـتـ تـرـنـاحـ إـلـىـ هـنـاـ كـثـرـاـ شـكـوـهـاـ لـهـ وـهـوـ يـخـفـ
ـعـنـهـاـ وـيـعـدـهـاـ بـنـيـلـ المـرـامـ

وـكـانـتـ قـدـ اـنـذـهـتـ فـيـ اـصـيلـ ذـالـكـ الـيـوـمـ يـسـتـنـدمـ لـهـ عـجـوزـاـ مـنـ مـوـلـادـاتـ الـكـوـفـةـ
ـكـانـتـ قـدـ رـيـتـ بـيـنـ ذـرـاعـهـاـ مـنـدـ لـعـومـةـ اـظـهـارـهـاـ وـهـيـ تـسـعـ إـلـيـهـاـ حـبـيـنـ الـوـالـةـ .ـ فـصـالـ
ـغـيـابـهـ وـسـدـلـ الـلـلـيـلـ تـقـاـمـهـ وـلـمـ يـعـدـ .ـ فـاـنـشـغـلـ خـاطـرـهـاـ وـشـغـلـتـ عـنـ اـحـزـانـهـاـ بـالـهـوـاجـسـ
ـلـاـنـزـادـهـاـ فـيـ ذـلـكـ الـمـكـانـ .ـ وـلـكـنـهـاـ كـانـتـ اـذـاـ سـكـتـ هـنـيـهـةـ تـذـكـرـتـ وـالـدـهـاـ وـاـخـاـهـاـ
ـوـمـنـ كـانـ يـقـيمـ فـيـ ذـلـكـ الدـارـ مـنـ الـخـدـمـ وـالـعـيـدـ فـتـعـودـ إـلـىـ الـبـكـاءـ وـالـتـعـيـبـ

الفصل الرابع

* العجوز لبابه *

وـفـيـاـ هـيـ فـيـ ذـلـكـ سـمـعـتـ وـقـعـ اـفـدـامـ مـسـرـعـةـ عـرـفـتـ اـنـهـاـ خـدـاـوـاتـ عـبـدـهـاـ رـيـحانـ

فاجهنت وأكثراً أنسنت به فوقت واسرت لاستقباله . وكان ريحان طوبى
القامة شديد السوداد خفيف العضل سريع الحركة جا حظ العينين اطس الأنف
عظيم الوجهين بارز الأسنان ويزدها بروزاً ندي شفتها السفلية وانحصار شفتي العلية
وكان يستهلك في خدمة سيدته فابتدرها بالسلام . فقالت وما الذي اخرك يا ريحان
وأنت تعلم أنني وحيدة هنا . ابن هي لبابة
قال إنها قادمة سريعاً

قالت وما سبب غيابك حتى الآن
قال كنت في انتظارها وهي تحاطب شاباً وتجادله . . .
قالت وإي شاب

قال لا ادرى . . . ها قد أنت وهي تنص عليك الخبر من صلا
وما أنت كلامه حتى دخلت العجوز تتوكاً على عكازها وقد احدودب ظهرها
وحناها الكبير فزادها قصراً وأكثراً ما زالت سريعة الحركة شديدة العصب وكانت
عمصاء العينين غائنة الفم لخلوها فكيها من الأسنان مجونة الخدين غائرتها . فقد همت
إلى قطام وقد غطت شعرها الشائب بنقاب أسود يكاد يجر وراءها اطولة وقصرها .
وحلما دلت منها قاتلها وأخذت تخفف عنها ونقول لا بأس عليك يا ابنى اعذر بني
لابطائي في الحضور

فلم تزدد الفتاة إلا بكاءً وهي تقول ما الذي يشغلك عنى يا خالة ما تعلمين
أن ابن لي معز في احزاني سواك

قالت هوئي عليك يا قطام واستريحي فقد حتبك بالفرج باذن الله
قالت من ابن بأنيي المرج ولا يفرج كرتي إلا الانتقام . . . الانتقام . قال
ذلك وحرقت باست أنها وهي تشاغل جمع شعرها وإرساله إلى وراء ظهرها . ثم مسحت
عينيها بكعبها الطويل وإرساله إلى كتفها فبانت آثارها ودمابعها حول معصمها المعنلي
ونظرت إلى العجوز كأنها تأس لها لا يضاح

فضحكت العجوز وهي تنظر إليها وكأنها تذكرت أمراً محزنـاً فقطعت ضعكتها بغصة
فاستاءت قطام من ضعكتها وهي تبكي وقالت ما بالك تضحكين العنكبوت هزأـين
بكلامي : أني والله غير قانعة بغير الانتقام

فـَ مـَسـَكـَهـَا الـَّعـَجـُوزـَ يـَدـَهـَا وـَقـَعـَدـَهـَا عـَلـِيـِ الـَّوـَسـَادـَةـَ وـَجـَلـَسـَتـَ إـِلـِيـِ جـَانـَهـَا وـَنـَظـَرـَتـَ إـِلـِيـِ رـَجـَمـَانـَ نـَظـَرـَهـُمـَّا إـِنـَّهـَا تـَلـَهـَسـَ خـَرـَوـَجـَهـُ لـَخـَلـَوـَ بـَقـَطـَامـَ . . فـَخـَرـَجـَ فـَبـَغـَتـَ قـَطـَامـَ صـَامـَةـَ تـَنـَظـَرـَ مـَا تـَنـَوـَلـَهـُ الـَّعـَجـُوزـَ . فـَإـِذـَا هـِيـَ قـَدـَ تـَخـَبـَحـَتـَ كـَأـَنـَّهـَا تـَهـَيـَّأـَ لـَحـَدـِيثـَ طـَوـَبـَلـَ ثـَمـَ قـَالـَتـَ وـَمـَا ذـَرـَيـَدـَنـَ إـِلـَآنـَ يـَأـَقـَطـَامـَ ؟
 قـَالـَتـَ أـَرـِيدـَ الـَّإـَنـَقـَامـَ لـَوـَالـِدـِيـِ وـَإـِخـَيـِيـِ فـَقـَدـَ قـَنـَلـَهـَا عـَلـِيـِ ظـَلـَمـَ . . وـَلـَابـَدـَ مـِنـَ الـَّإـَنـَقـَامـَ قـَالـَتـَ الـَّعـَجـُوزـَ مـَا قـَوـْلـَكـَ إـِذـَا دـَبـَرـَتـَ لـَكـَ مـِنـَ يـَنـَقـَمـَ عـَنـَكـَ ؟
 قـَالـَتـَ وـَمـَنـَ يـَنـَقـَمـَ . . فـَوـَلـَيـَ . .
 قـَالـَتـَ طـَوـِيـَ لـِيـِ بـَالـَّكـَ . . وـَلـَابـَكـَ فـَجـَوـَجـَةـَ . . . اـَنـَعـَرـَفـِينـَ سـَعـِيدـَأـَ
 قـَالـَتـَ وـَإـِيـِ سـَعـِيدـَ
 قـَالـَتـَ سـَعـِيدـَ الـَّأـَمـَوـِيـِ الشـَّابـَ الـَّجـَمـِيلـَ الـَّذـِي يـَجـَبـَكـَ وـَبـَهـَوـَكـَ
 قـَالـَتـَ دـَعـَيـَنـَا مـِنـَ الـَّحـَبـَ وـَالـَّغـَرـَامـَ وـَحـَدـِثـَنـَيـَ عـَنـَ الـَّإـَنـَقـَامـَ
 قـَالـَتـَ يـَأـَسـَجـَانـَ اللـَّهـَ اـَجـَبـَيـَ عـَلـِيـِ سـَوـَّالـِيـِ . . هـَلـَعـَرـَفـِينـَ هـَذـَا الشـَّابـَ فـَإـِنـَّهـَ مـَغـَرـَمـَ بـَكـَ
 مـَفـَتوـَنـَ بـَسـَوـَادـَ عـَيـَنـَيـِكـَ
 قـَالـَتـَ نـَعـَمـَ اـَعـَرـَفـَهـَ وـَمـَا تـَنـَيـَدـَنـَ مـَعـَرـَفـَتـَهـَ . . بـَالـَّهـَ عـَلـَيـَكـَ لـَانـَذـَكـِرـَيـِ الـَّغـَرـَامـَ إـِلـَآنـَ . . إـِنـَّهـَ لـَأـَ
 اـَشـَعـَرـَ بـَعـَاطـَفـَةـَ الـَّحـَبـَ وـَلـَابـَهـَيـِ اـَحـَبـَنـَيـِ النـَّاسـَ اوـَابـَغـَضـَوـَنـَيـِ
 فـَابـَنـَسـَمـَتـَ الـَّعـَجـُوزـَ اـَبـَسـَمـَةـَ الـَّإـَسـَخـَافـَ وـَقـَالـَتـَ يـَأـَلـَعـَبـَ مـَا أـَكـَثـَرـَ لـَجـَاجـَنـَكـَ . .
 قـَلـَتـَ إـِلـِكـَ تـَعـَرـَفـِينـَ سـَعـِيدـَأـَ فـَهـَلـَ تـَحـَبـِّيـَ
 فـَأـَجـَابـَتـَ عـَلـِيـِ الـَّغـَورـَ لـَأـَلـَ . . لـَأـَحـَبـَهـَ وـَلـَأـَحـَبـَ سـَوـَاهـَ . . اـَنـَ قـَائـِيـَ لـَابـَشـَتـَغـَلـَ الـَّيـَوـَمـَ
 أـَلـَأـَ بـَالـَّغـَضـَ . . اـَنـَّيـَ اـَبـَغـَضـَ بـَعـَضـَ النـَّاسـَ وـَلـَأـَحـَبـَ اـَحـَدـَأـَ
 قـَالـَتـَ وـَلـَكـَ اـَذـَّاكـَ لـَأـَبـَدـَ مـِنـَ الـَّإـَنـَقـَامـَ فـَيـَجـِبـَ اـَنـَ تـَحـَبـِّيـَ سـَعـِيدـَأـَ
 قـَالـَتـَ كـَيـَفـَ اـَحـَبـَهـَ وـَقـَائـِيـَ لـَمـَ بـَقـَ فـِيـِ مـَكـَانـَ لـَغـَيـَرـَ الـَّغـَضـَ وـَلـَمـَخـَدـَ اـَنـَّيـَ حـَافـَدـَ نـَاقـَةـَ
 قـَالـَتـَ اـَنـَّا اـَعـَلـَمـَ ذـَلـَكـَ وـَلـَكـَ اـَحـَبـَهـَ سـَعـِيدـَأـَ وـَلـَوـَمـَوـَقـَنـَأـَ وـَهـُوـَيـَنـَقـَمـَ لـَكـَ
 فـَبـَغـَتـَ قـَطـَامـَ وـَنـَظـَرـَتـَ إـِلـِيـِ الـَّعـَجـُوزـَ وـَجـَلـَتـَ تـَنـَفـِرـَسـَ فـِيـِ سـَعـَنـَهـَا لـَتـَخـَقـَقـَ اـَنـَّهـَا تـَكـَلـَمـَ الـَّجـَدـَ
 فـَلـَآـَنـَسـَ الـَّجـَدـَ فـِيـِ لـَهـَجـَنـَهـَا قـَالـَتـَ وـَهـَلـَ تـَنـَوـَلـَنـَ حـَنـَّا هـَلـَ يـَقـَدـَرـَ هـَذـَا الرـَّجـَلـَ عـَلـِيـِ رـَكـَوبـَ
 هـَذـَا الـَّمـَرـَكـَبـَ الـَّخـَشـَنـَ . .
 قـَالـَتـَ اـَنـَّيـَ اـَجـَعـَلـَهـَ بـَرـَكـَةـَ فـَإـِذـَا لـَمـَ يـَكـَنـَ اـَهـَلـَأـَ لـَهـَ فـَهـُوـَ لـَيـَسـَ اـَهـَلـَأـَ لـَبـَكـَ . . مـَا رـَأـَيـَكـَ ؟

فصحبت هنرية ثم قالت . أأحبه . نعم أحبه ولو إلى أجل قريب . . . ولكنني لا أطنة أهلاً لهذا العمل بل لا أحبه يقدم عليه . ولكن قولي لي العلّك تتكلمون من عد نفسك ألم أنت على يقين بما تقولين

فأعندات تلك العجوز المعنالة في مجلسها ونظرت إلى قطام نظر الاهتمام وقالت أعلى يا حبيبتي إن سعيداً هذا قد عانى بك وأحبك منذ أعوام ولكنه لم يكن يجر على مخاطبة المرحوم والدك بشأنك لأن والدك كان يومئذ في جملة القائمين بنصرة علي . وسعيد كما تعلمي أموي أي أنه من نعموا على علي وقاموا بالمطالبة بدم عثمان . فكان يعلم أنه إذا طلبك من والدك يومئذ لا يتأت غير النشرل . أما بعد ان خرج والدك رحمة الله من طاعة علي في جملة من خرج بعد الفحيم حدثه نفسه أن يطلبك مخاطبني في شأنك مراراً . ولكن والدك كان مشغولاً بمحاربة علي وشيعته فلم أتمكن من التوسط له . فلما علم بقتلوك وقتل أخيك وإسفاؤه عليها (ونتهدت وهي تظاهر ببعض دموعها) عاد إلى مخاطبتي في ذلك . وقد كت ادافة لعلني بجزنك الشديد وهو مع ذلك ما زال يتربّد على ويسنهم ضني وبيذل كل مرخص وغال في سبيل القتلة بهذا الوجه الجميل . فجاءني اليوم وأعاد الكلمة وبالغ في التذلل والاستعطاف فلعلت له أنه إذا أصر على نيلك لا بد له من الانتقام لوالدك . فآنست منه ارتياحاً فاطلت الكلام معه وريحان في انتظاري خارجاً وهذا هو سبب تعبي عليك .
فما قولك ؟

فلا سمعت قطام كلامها استبشرت بيبل مرامها فقالت « وهل تظنين أنه بعدني وعدًا شافياً بالانتقام . . هل بعهد لي بقتل علي من أبي طالب . أني لا أقبل بأقل من ذلك »

قالت « أظنه يقبل ومع ذلك فاني استقدمه إليك ونظراً لما اعهده من مهارتك في أساليب السياسة لا أشك في أنه يتعهد لك بكل ما تريدينه وخصوصاً إذا أظهرت له ميلاً وقلت له أنك تخفيه وتختبئ في طرق الدلال والتمنم واشتربت عليه المكلا نتزوجين الآ بعد قتل علي . فإذا عاهدك صبرت حتى يقتله فإذا لم يفعل وأصاب حتفه كان دمه على رأسه والسلام . . . أبه ؟ »

فasherq وجه قطام وأحسنت بارتياح إلى هذا الرأي وقالت « لا ريب عدي

أني أحمله على التعهد . . . فاستقدميه لنرى ما يكون . ولكن قولي له أني لم أقبل
بعد و مالي يعني فإمأني وإنما إنتم الحيلة »

فضحكت العجوز ضحكة طويلة وقالت « ساعتك الله يا قطام ألا تزالين تحسيني
فناة مثلك وهل تجهلين ابن قضيت هذه الشيبة . . . لا تعلمين أني قضيت عمري في
مثل هذه الحوادث . فكم ازوجت من الرجال وكم افنت من النساء في الزواج بعد
أن كان قبولهن ضرباً من المعامل . . . لا تخافي على . . . ولا أنا أخاف عليك » قالت
ذلك ونادت ريحان فاسرع إليها . فقالت له هل تعرف الشاب الذي كان عندي الليلة
قال نعم اعرفه

قالت سراليواه لا يزال في المنزل حيث رأيتها الليلة وقل له ان خالتك لبابة
تدعوك إليها

قال فإذا أتي الحضور ماذا أقول له

قالت لا أخالة ألا سأ Vick في الطريق اذهب وادعه إلى حالاً

قال سمعاً وطاعة وخرج

الفصل الخامس

﴿ سعيد ﴾

وكان سعيد شاباًً أمرياً في حوالي الثلاثين من عمر توفي والده وهو طفل فكفله
جده وقضى صباح وشبابه مع جده في منزل الخليفة عثمان وكان شدیدي التعلق به .
فلما قتل عثمان كان سعيد وجده في مقدمة الناقبين لعثمان والمطالبين بدمه . فلما
كانت وافعة الجمل بحوار البصرة كان هو في جملة رجال أم المؤمنين وظلّ جده مقيماً
في مكة لشيخوخته . ولما فشل جند أم المؤمنين وعادت هي إلى مكة عاد هو معها وظلّ
عد جده ولم يخرج أوافعة صفين

ولكمة كان يتردد إلى الكوفة وكان يسمع بقطام هذ وجماها وقد رآها مراراً
تحت المخارف فوقعت من نفسه موقفاً عظيماً ولكمة لم يجر على خطيبتها لأن والدها كان

قبل تحكيم الحكمين من شيعة الامام علي فكيف بزوج ابنته لاموي يطالب بدم عثمان .
ف لما خرج الخوارج عن طاعة الامام علي بعد التحكيم استبشر نبيل مراد على الله لم
يتمكن من السعي في طلبها الا بعد مقتل والدهما واخيها . فجاء العجوز كما نقدم
فاستخدمت هذه العجوز كل دهاءها في اغرائهن على قتل علي وتركت بقية الحيلة لقطام
لعلمها انها لا تقل عنها دهاء ومكرًا

وكان سعيد حسن الطوبية قليل الخبر وخصوصاً في ما يتعلق بدهاء أولئك
العجائز . وكان جيل الصورة معججاً بجهاله وكان الحبيب قد اعى بصيرته فلم يعد يرى
غير قطام ولم يحمل الا بالحصول عليها وهو لا يصدق انها ترضي به . فلما جاء العجوز
في تلك الليلة وخطابها بشأنها واظهرت ما اظهرته من التمعن ازداد رغبة فيها وبذل
كل ما في وسعه من الوعود في سبيل ارضائها ونزل للعجز كل ما يرضيها من الملايين
والخلي فوعدها ان تسعى في ترغيبها ومضت وتركها يتقلب على جسر الانتظار
فلما جاءه العبد يستدعيه اليها خنق قلبه وهرول مسرعاً وهو يتعثر باذاله فمرر
في اسواق الكوفة وهو لا يرى شيئاً من الاسواق ولا يأسها لانشغال بالله بما سيلقيه من
البغضه عدد اجتماعه بقطام من قابره وغاية مراده وكان اذا تصوّر رضاها اشرق وجهه
وكاد يغير فرحاً . فيعرض تصوّره ما آنسه من القمع عدد خطابه العجوز وما بدر منه
من الوعد بالانتقام فتنقض نفسه ويضطرب لهول ذلك العمل . ولكن هيامه كان
يهون عليه كل عسير وبصورة الحال مكيناً . فغيل له ان قطلها ادا رأت جماله وتحففت
ما هو فيه من الوجود لا تلبث ان تنفع في هواه وتغضي عن ابر الانتقام

في مثل ذلك قضى سعيد طريقة وريحان يحيطوا امامه خطواته المشاعلة اطأول
ساقيه ويحاول الابقاء في مسيرة اثلاً يسبق رفيقه فلا ينتبه الا وقد تجاوزه فيمشي
الهوبياء الى موازاته وسعيد لا ينتبه اليه من ذلك . وخرج من المدينة فآناساً سكواً
لا يسمع فيه الا صوت الحصى ادا عثرا ببعض منها لان الكوفة كثيرة الحصى والرمال^(١)
حتى وصل الى باب البستان ودخل بين الخيل . فقال العبد اماني يا مولاي ربنا افقد
اهل المنزل ثم اعود اليك

فضل سعيد ينشي بين الخيل يتسائل برؤية اظلالمها مع ما يسمعه من نقاش الضفادع

على شاطئ الجيرة وأخذ يجي نفسه لمقابلة قطام فاصلح عامة ومشط شاربيه ولحيته وتنفس جبنة وأصلاحها ولبس في انتظار العبد فأبطأ عليه فانشغل خاطر وحدثته نفسه بالاستئذان والدخول الى الدار . وفيما هو بهم بذلك سمع حركة وشياً وبعد هنفيه بان له نورٌ عند الباب وسع ريحان ينادي به فهرول وقلبه يختنق وركباه ترتعشان رعشة الحب والبغة . فعثرت رجلة محبل من الياف التغيل كان مشدوداً في جزع بعض التغيل حتى كاد يقع ولكنه تجاهل عن ذلك ونقدم الى باب الدار فاستقبلته لبابة مرحبة ومشت امامه وريحان ينقدمها بالمصباح . فدخلت به الغرفة التي كانت قطام فيها ودعنة للجلوس على وسادة وجلست هي على وسادة وترك ريحان المصباح هناك وخرج

وكان سعيد يتوقع ان يرى قطاماً هناك فلم يرها فانشغل بالله وزاد انشغاله لسكت لبابة عن الحديث وجودها . فقال مالي اراك ساكتة يا خالة الم ترسلي اليه بالجيء

فالت على

قال وا بن قطام

فتنهدت وقالت هي هنا في الغرفة الاخرى وستذهب اليها بعد قليل

قال اراك في قلق . . . ما الذي جرى . . . قولي

قالت لم يجر شيء . . . ونظاهرت كما أنها نكتم خيراً

قال وكيف . مالي اراك كثيبة أخبربني لقد نفذ صيري

قالت لا ينشغل خاطرك يا ولدي اذ ليس هناك ما يدعو الى التلق . غيراني مللت من استعطاف هذه الفتاة وترغيبها وتشويقها فلم أر منها الا البكاء والتعيس ولم اسمع الا قوله «الانتقام الانتقام» ومن يخاطبها بغير هذا الموضوع لا يسمع منها جواباً

قال الم ذكرى لها شيئاً من حدثي معلمك

قالت «كيف لا وهي اولم اذكر لها اسمك مشتوعاً بوعدك بالانتقام لما اجا بهني»

ثم ادنت فهنا من اذنو وقالت «واكذبني آنسست من خلال ذلك النفع انها ترناح الى

ذكر اسمك واظنها تحبك كثيراً ولكن اشغالها في الانتقام شغلتها عن الحب ولذلك

فقد سرت لما اخبرتها بوعدك ولكنها لم تصدق قولي كما أنها تحسيني اقول مزاحاً او لعلها

استبعدت ذلك منك او خافت عدولك عنده لجهلها ما انت منظور عليه من الحمية وكرم الاخلاق » قالت العجوز ذلك بسخفة تدل على ثقنتها التامة بشرف نفس سعيد وصدق وعنه . ثم شغلت نفسها بالتحمّة والسعال ومسح آماقها مما يخلب فيها من الدمع المتواصل لضعف الشجاعة وصرت لترى ما يبدوا منه قبل اهتمام الحديث . اما هو فأشعر قولهما فيه وهاج ما في قلبه فقال لها « لا الوم قطاماً لأنها لا تعرفني بعد فهي معذورة اذا ساءت الظن بي ... ولكن اين هي اريني ايها فاؤكدها وعددي فتعلم من هو سعيد ... » قالت هي هنا

الفصل السادس

* المقاء *

وحملت لبابة المصباح بيدها ومشت امام سعيد الى غرفة اخرى ليس في ارجوها الا حصیر فوقه بعض جلود الماعز وقطام حائلة الاربعاء وهي تبكي وشعرها معلول . فلما رأت النور يقترب من غرفتها اسرعت فضفت شعرها وارسلته الى ظهرها وغضبت رأسها بنقاب اسود . ولم تكدر تفعل ذلك حتى دخلت العبور وهي تقول « خفني عنك يا قطام وارفي سفك واثناني على شبابك لندرككنا » ونجبا . ابهضي فسلمي على سعيد الذي قات لك انة يحبك »

قطعـت قطـام كلامـها قـائلاً « كـم قـلت لك لا تـذكـري الحـب والعـرام مـلـاذـكـي القـتل والـانتـقام . اـنـي لا اـحـب الاـلـانتـقام وـمـن يـتـقـمـ لي فـهـو خـلـيق مـاـن يـجـنـي وـلـكـن ... فـنـقـدـم سـعـيد وـقـدـاصـح لـعـدـرـوـيـة قـطـام فـي تـلـكـ الـحـال لـاـيـرى شـيـئـاـ غـيرـها وـلـا يـغـيـرـاـ رـضاـها فـشـقـ عـلـيـهـ قـولـها « وـلـكـن » لـمـا يـنـطـوـي عـلـيـهـ مـنـ الاستـدرـاكـ الـدي يـجـلـ نـفـسـهـ عـنـهـ . فـقـالـ لها « الاـتـرضـيـنـ يـاـ قـطـامـ انـاـكـونـ اـمـاـ المـنـقـمـ لـكـ ... » قـالـتـ وـهـيـ تـظـاهـرـ بـعـدـ الـاـكـتـراـثـ « لـا ... لـاـرـضـيـ انـتـعـرضـ سـكـ هـذـا الـاـمـرـ مـنـ اـجـلـ فـانـيـ اوـلـيـ منـكـ . بـرـكـوبـ هـذـاـ المـرـكـبـ الـخـشنـ » ثـمـ رـفـعـتـ يـدـهاـ وـشارـتـ بـسـائـتهاـ اـلـىـ صـدـرـهاـ وـقـالـتـ صـوتـ تـخلـلـةـ غـصـةـ الـكـاءـ « اـمـاـ قـتـلـ قـتـلةـ اـنـيـ واـخـيـ بـيـدـيـ ... اـمـاـ قـتـلـ عـلـيـاـ وـانـكـتـ قـتـةـ . اـنـ حـبـ الـاـنـقـامـ يـقـويـ وـيـتجـهـيـ

... ولا حاجة بي الى تعریض سوای خطر القتل ... انك شاب لا يهمك من امر علي شيء لا فكيف تتكلف قتله عثنا ... ذلك لا يكون »
فانخدع سعيد كلامها وحسب صادرًا عن شهامة وغيره حقيقين فازداد رغبة في الاقدام على ذلك العمل . فقال لها « كيف تقدمين يا ملحة على هذا الامر وانا بين يديك . العلك لا ترين في الكباءة . كيف تقولين انه لا يهمني من امر علي شيء لا واست تعلمين ان بني امية كافة يطالونه ندم عثمان واما منهم واذا قتلتة فابي ارضي كل بي امية فصلاً عن ارضاء قطام ... ان نذل الناس في سبيل ارضائهما هين واذا اذنت لي ان ادعوك حبيبي فكل شيء بهون علي ... »

فلم تختفت قطام وقوعة في الشراك بقي عايهما ان تتمكن من وعد بهم ... تستكنته اياه فامسكت تقابها يدها وتغناهert بصالحها فانكشف معصها فرأى الاساور والدماج ونامت عيناهما وقد ذلتا من الكاء فازدادتا جمالاً ورسالت اليه شدراً وتأملته كأنها تزن مقدرتة على ما وعده ... اما هو فلا نسل عن حاله بعد ذلك الفترة فشارت عواطفه ونظر الى العجوز كأنه يحرضها على التوسط في الامر . فبظاهرت لبابة مانها تساعد في غرضه وقالت لها « ألم يكنك ما قاله هذا الشهم ألم أقل لك ان وعد صادق وفصلًا عن ارضائك بقتل علي فهو يرضي عشيرته وادله ايضاً . واعلمي يا قطام انه لا بد من رجل يقتل هذا الخايفه ومن يسبق الى قتله فانه صاحب الصليب الاوفر والاجر الاعظم »

فقد امعت قطام كلام العجوز قائلة « اما اعلم انه مقتول لا محالة واذا لم يبق من الرجال من يفعل ذلك فعلته اما يدي انقاري الى هذه الخلوي في معصي واذني اني لم ازرعها ليس لاني لم احزن على والدي وأخي ... آه رحمها الله ... مل لاني واثقة من الانتقام لها وكأني احسب ثأري حاصلاً في قبة يدي ومتى أخذت بالشار فقد احييت القتيلين فكيف احزن اما ما قاله سعيد فهو فضل منه ولكن الانسان يا حالة عرضة للتعدد فلعل سعيدا اذا خرج من عندها يرى رأيا آخر او ينهي من هذا الامر فيعدل عن الوعد . فاما لا اريد ان اقيده في عهد اري في نعمة كلامه ما يدل على خوفه منه ... لا اقول انه يحاف وقتل هذا الخايفه من اهون الامور . ولكنني لا اري ان اكون وعدا اذا خلا بپسوريها ندم عليه ... »

الفصل السابع

* الصك *

فهم سعيد بالتكلم ليؤكد لها صدق وعده فاوقفته العجوز عن الكلام ونظاهرت بالدفاع عنه وقالت «اسمح لي يا قطام بكلمة اقوها لك . انت لا تعرفين سعيداً بعد ولكنني اعرفه واعرف صدقه واما اقول لك بالنيابة عنه هل تريدين ان يكتب لك صكاً على نفسك انه يفعل كل ما قاله لك»

ف لما سمع سعيد ذكر الصك تهيب وعظام الامر عليه وكأنه صحا من سكره لحظة تبيّن فيها خطأه ذلك الامر تم عاد الى سكرة الغرام وراده ثبتاً في ذلك ما سمعه من كلام العجوز الدال على ثقتها به ووعده

اما قطام فكانت تنظر الى كل حركة تندو من سعيد فلم يتها ما حال في خاطر ساعتها من الندم وهو يحاول الناظر مخالف ذلك . فلكي تحمله على كتابة الصك من تلقاء نفسه قالت للعجز «اراك اقمت نسلك مائة عنه في امر لا تصح النيابة فيه وهو غير راض به وفي سكوته اكبر دليل على ذلك . فدعينا من هذا الموضوع ولا نعرضي سعيداً لهذا المطرد واستتعلمين ما قاتله لك عنه وما له من المنزلة في قلبي وان اكن قلما رأيتها فافضل ان اعرض شيء في المطرد ولا اعرضه» فعظام ذلك القول على سعيد وثارت الحمية في راسه فهض بفترة وقال لها اتحسين سكوتي يا قطام عن تردد او خوف . . . لا وحذك ما اما ممن يضلون بالبنس في سبيل الحب وكيف تقولين انك تعلمين ذلك عني . . . وربما ترددت في بادي الرأي . واما بعد ان علمت بما عدك نحوي فاني اكتب الصك ولا ارضي الا بكتابته . . هاتوا رقً ومداداً» فنهضت العجوز حالاً لاستحضار الرق والمداد والقلم وكانت قد اعدت كل شيء قبل مجئه

فاغتنم سعيد غيابها وازاح منعه واصلحه بحيث يواجه قطاماً . اما هي فنظرت اليه واتسمت وقالت بصوت تعلله نغمة الدلال «لا تعرض نسلك للقتل يا حبيبي وما لنا وللصكوك الا يكفيها القول»

فأصدق سعيد أن آنس منها هذا التقارب وسع قوله «حبيبي» فجعل يبالغ في حبه وغرامه واستهلاكه في بيتهما وطابت له تلك المخلوقة الصدقة فتبادلا فيها من عواطف الحب ما لا تزيده شرطه المجادلات وسعيد يخدم نفسه أسعده انسان على وجه الأرض لحصوله على حب قطام . وهي إيمانها من كل ما جرى اغراوه على قتل علي وقد أحمرت في باطن سرّها انه اذا اتفق لها نزوجته وإن تكون غير مغرمة به . وإذا فشل في مهبه فلا اسف عليه وقتل . فإذا كتب الصك لا يجسر على الرجوع عن وعده وأدركت العجوز ان في ابطالهما وسيلة لتبادل الاشارات والمعظمات وزيادة الفكير من الاغراء فابطأه لغير داع ثم عادت ويدها رق من جلد الماعز وقلم من النصب وقرن ايل فهو مداد اسود . فلما رأها سعيد وتحقق كتابة الصك عاوده المخوف وحدثه نفسه بالرجوع عن الوعد ولكن الحياة والحب متلاعه . ولم يجف تردداته عن قطام فتلافت ذلك بانسامة ونظرة وهو يربو إليها ويقول في نفسه «ما أسعده هذا اللقاء وما اجمل هذا الحبيب لولا ما اشتربطة من العقبات » ولم يترك له قطام فرصة يتفكير فيها فقالت للعجزة «من اتيت بهذه الادوات يا خالة » قالت أتيت بها الى سعيد

قالت « ارجين منه ان يكتب الصك لا لا اظنه يكتبه (وانسمت وهي ترنو اليه شذراً) وكاني بدم على ما فرط منه لا عن جن او خوف لا سمع الله ولكن رأى قطاماً لا تسحق هذه العناية وإراده يقول في باطن سرّه 'امن أجل امرأة مثل هذه افتحم مثل هذا الخطر الهائل' » قالت ذلك ونظرت اليه نظر الحب العائب فلما سمع سعيد كلامها ورأى فيها ذلك الدلال نسي كل خطر واستوى عليه انجذب ولم ير له مخرجًا من خجله الا بالمبادرة الى الرق فتناوله من يد لبابه وامسك القلم وقد اخذ منه الميام ما أخذناه عظيمًا حتى توردت وحياته فاحمرت عيناه . فوققت العجوز الى جانبها والمصباح في يدها فكتب وين ترتعش وهو يتجدد ثلثاً يبدو ذلك لقطام فتنطئه خائفاً واليك نص كتابة :

« اما سعيد بن . . . الاموي أعاهد قطام بنت شعنة على قتل علي بن ابي طالب مهرًا لزواجه بها وإذا لم افعل ذلك كتبت لا استخفها وعلى عهد الله وميثاقه كتبة سعيد الاموي

الفصل الثامن

* تمام الحيلة *

فلم فرغ سعيد من كتابة الصك دفعه الى قطام وقد ظهرت عليه ملامح الافتخار
ما تعلم لم يكن جياماً كما ظنته . ولكنها لم يكدر يدفعه اليها حتى احس بالخطر الذي عرّض
نفسه له . على انه لم يستقبل ذلك الخطر جيداً لما حال بينه وبين عقله من
غياب الوجود والهياق

اما قطام فتناولت الرق وقرأته بلا اكتتراث ثم بصرت الى سعيد باستغراب
وقالت « يظهر انك كتب الصك حقيقة . ليس عاراً على قطام ان تأخذ منهك
صكًا على عهد عاهد بها عليه في مثل هذا الموقف كما انك اخذت كلامي مأخذ ابجد
وقد قلت لك الاآن اني لا ابالي من يقتل عاليها فاذا لم يقتلها احد قتاله ااما . اما وقد
كتبت خط يدك فاني احفظه عندي تذكاراً لمن الليلة التي اعدّها من ليالي العمر . »

وارجو ان تخجع قريباً وقد لمس المرام » قالت ذلك وهي صوتها غنة الدلال
صدق سعيد كلامها واطمأن بالله من قبيل الشرط الذي اشترطه على سسو الصك
الذي كتبه بيده ولكنها علم ما تعلم لا يبال فـ « اما الاّ بعد قتل الامام علي . فعاد الامر الى
خطاريته فانقضت نسخة واحب الاخلاع فالتمس الخروج . فقالت له قطام « امكث
عندما . او اذهب لعلك تهندى الى سبيل يقرب زهـن اجتماعنا الدائم » قالت
ذلك وايسمـت ورنت اليـه كما يرسـو الحبيب اذا التمسـ من معـه امراـ يخشـ ان يكون
سعيد المنـال . فـ وـ دـ عـها سـعـيد وـ خـرج فـ شـيعـة لـ مـاـة فـ رـيـاـ رـيـاـ لـ بـرـال سـاهـراـ في
الـ حـديـقة يـطـوف حـول المـزـل خـوـفاـ من الرـقـاءـ وـ العـيونـ

ولما خرجت لبابـة سـعـيد قـالت لهـ وهي تـصـلـكـ « اـنـيـ اـهـنـكـ سـرـصـاءـ هـنـ العـادـةـ
فـ قـدـ سـلـتـ اللـيـلـةـ ماـ طـلـماـ تـحـسـرـ عـلـيـهـ اـهـلـ الـكـوـفـةـ بلـ سـائـرـ اـهـلـ الـعـرـاقـ . وـ مـنـ الغـرـيبـ
انـهاـ كـانـتـ معـ فـرـطـ حـزـنـهاـ لـاـ نـسـطـاعـ النـظـرـ اـلـاـ وـ هيـ تـنسـمـ . . . فـاـ جـمـلـ الـحـبـ
اـذـاـ كـانـ مـتـادـلاـ . وـ اـمـاـ مـسـأـلـةـ الصـكـ فـاـ هيـ مـنـ الـاـهـمـيـةـ يـفـيـ شـيـءـ . وـ هـبـ اـلـكـ
رـأـيـتـ فـيـ طـرـيقـ خـطـراـ فـهـلـ تـرـضـيـ قـطـامـ اـنـ تـعـرـضـ نـسـكـ لـهـ » . فـ وـ دـ عـهاـ وـ مـشـىـ

وحدهُ وهو يتعثر بـأذياله . وكأنه غادر قلبه عبد قطام فخلال بعثته وعادت إليه هاجسة فتصور خطاره الامر الذي عرّض نفسه له . ولما لم يرق له حيلة في الرجوع عن عهده بعد كتابة الصك جعل ينخل لنفسه اعتذاراً تخفف قلقه وتحسن له ارتباك ذلك المنكر . فخيل له اذا قتل علياً الله ينتقم لسائربني امية وبفاخرهم جميعاً بما لم يستطعه احد منهم . فبنال حظوة في عيني معاوية فضلاً عن تمنعه قطام . ولما نصور قربة منها اخراج قلبه في صدره وهان عليه كل عسير

فمشى وهو في مثل هذه الحالات الكاذبة حتى دخل الكوفة ومرّ بمحاجعها القائم في وسط الساحة الكبرى . وكان الجمود هادئاً والقرم منيراً فرأى ما يصدق منزل الامام على من لا بنية ولا حيام بين فيها من كماربني هاشم وغيرهم من شيعته . وهو يعرف منهم جماعة صناديده لا يهبون الموت . فما لبث ان نصور ذلك حتى خارت قواه وكبر عليه الامر ولكنه ظل مأشياً يلنس منزله وهو ينكر في حيلة بنال بها بغيته

الفصل التاسع

﴿ طارق مفاجيء ﴾

وكان متزلاً في بعض اسواق الكوفة فوصله وهو يظن نفسه لا يزال بعيداً عنه واما بهم الى ذلك جماعة جمل رابض في فنائه فظننه في بادئ الرأي جملة وهو يعهد انه ارسله الى مأواه قبل خروجه . فدخل النساء فرأى هناك جمالاً واناساً كانوا منهم قادمون من سفر فبغت . فتقدم اليه واحد منهم ولم يكدر يلقي عليه السلام حتى عرف انه من رجال جده اي رحاب فاندهل ولم يرد الخيبة ولكنه قال له ما وراءك يا عبد الله ما الذي جاءكم

قال انا قادمون من عد جدك مولايا اي رحاب

قال وما الذي حملكم على المجيء

قال جئناك في مهمة مستعجلة

قال وما هي

قال ابن ابا رحاب بما تعرفه من شيخوخته وضعنه قد بعثنا نستقدمك
اليه سريعاً
فذهل وصاح قائلاً وما الذي اصابه أعلمه مريض
قال هو مرض الشيخوخة ولكنه مستنق لرويتك وقد امرنا ان نستقدمك حالاً
قال وابن هو
قال هو في مكة كما نعلم
قال أذهب الى مكة الان
قال ذلك ما امر يا به فاعمل ما بدارك
فلبث مدة صامتاً يذكر تم متنى وهو يقول لا حول ولا قوة الا بالله . وسار عبدالله
في اثنين حتى دخل المنزل وها صامتان . تم التالت سعيد وهو يزع عانته وقال لا بد
من امر ذي بال بدعوني جدي اليه فهل تعرفه
قال لا اخالة استدعاك الا ليراك قبل حاول اجله لاته شائع وضعف واست
تعلم انه يحيط ولا رجاء له سواك
قال لا حيلة لنا في القعود فلبثت الليلة وصباح مسافرين . وقضى لياتنة يذكر في
قطام وسفر
ولما أصبحوا ركب سعيد ماقته وركب عبد الله ورفاقه حمالهم وهو ما مسيرة هرأى
سعيد ان يودع قطاماً قبل السفر فاسمهيل رفاقه ربنا يعود اليهم وسار يلتئم
مزها وهو في لباس السفر . فلما اشرف على المنزل تذكر لياتنة بالامس ولكنه لم يصرخ
لانتغال خاطره في جده وقد خاف عليه الموت قبل وصوله اليه . ووصل المنزل
فلقى ريجاماً فسألة عن قطام . فقال انها خرجت في حاجة وسوف تعود
فقال الى اين ذهبت

قال الى مكان لا ادرى ابن هو
فاستغل بال سعيد لحر وجهها في ذلك الصباح وهو لا يرى ما يدعو فتاة مثلها
الى الخروج فدبّت الغيبة في قلبه فقال وهل مصن وحدها
قال سارت مع لباتة
قال انظنها تعنى كثيراً

قال لا ادرى وربما ظلت الى المساء او الغد اذ يجيئ لي انها التسنت بعض
اهلها في مكان خارج الكوفة
دار ذلك الحديث يومها وسعيد لا يزال راكباً جملة يتعدد بين ان يتذكر عودتها
قبل سفره او ان يسير . وود لو يعلم ابن هي ليضي اليها فيعودها ويذهب شيئاً من
غيرته عليها . ولو نتحقق معها بعد ساعة او بضع ساعات لفضل الانظار ولكن خاف
ان يطول غيابها اياماً . فعول على المسير الى مكة فقال لريحان أقرب قطاماً السلام
عند رجوعها وقل لها اني شاخص الى مكة لامر يدعو الى الاسراع وقد جئت لوداعها
فام اجدها . على اني سأعود قريباً باذن الله
قال حسناً

فودعه وعاد فانضم الى رفاقه وسار يلتمس مكة وقلبة في الكوفة . ولم يكدر بخرج
منها حتى ندم على خروجه ولم يرقطاماً . ولكن التمس عذراً لنفسه بما دعاه الى
الجلة من امر جده

الفصل العاشر

* ابو رحاب *

وكان ابو رحاب جد سعيد شيئاً طاعناً في السن كما تقدم . ربي سعيد في حجر بعد
موت والده وكان كلامها على دعوة بنى امية في المعاشرة بدم عنان . ولم يكن غرضها
من ذلك الا الاستقام لعنان لانها اقامت زماناً طويلاً في منزله . وكان ابو رحاب
مع شقيقه لعنان لم يغفل عن كأن فيه من الخطاء الذي دعا الناس الى اضطهاده
وكتيراً ما كان يحرضه على الاصلاح ومصالحة المسلمين فلم يصح له الا قليلاً . وعلم ابو
رحاب بعد ذلك ان جماعة من ذوي الاغراض كانوا يشنونه عن الاصقاء وبمحضه
على العداء . حتى اذا قتل عنان كان ابو رحاب وسعيد في جملة المطالبين بدمه .
ولكنه ما لبثا ان عادا من واقعة الجميل حتى قعد ابو رحاب عن المطالبة لانه تحقق
ان اصحاب تلك الواقعه اثنا حاربوا علياً ملعاً في الملك لا غيره على عنان
واقام في مكة منه لا نسبة له الا سعيد وكان سعيد ينوي الانضمام الى جند

معاوية في واقعة صفين فمدة جدعاً . وكان اورحاب يعلم ان سعيداً يحب قطاماً حباً شديداً وانه ساع في التزوج بها . ولذلك فانه كان يأذن لها في الخروج الى الكوفة لتلك الغاية . وطال غياب سعيد هذه المرة وأحس اورحاب بزيادة الضعف فاراد استقدامه ليتزود من رؤبته قبل موته وبوصية وصية لها علاقة كبرى في شؤون حياته وربما غيرت مجرى اعماله وحولته عن مقاصده وأماله . فبعث رجلاً من خاصته اسمه عبدالله في وفد الى الكوفة هذه الغاية . ولم ينتظر رجوعهم وهو يتقلب على فراش الضعف والهرم كأنه يستهل ملوك الموت ربما يصل حذف الملا يذهب ما في نفسه ادراج الرياح وتضيع حياة سعيد عيناً

اما سعيد فإنه قضى مسافة الطريق بين الكوفة ومكة وهو بين شوق الى قطام وقلق على أبي رحاب . وكان من شدة فرجه بقطام اهواه بود بقاء جده حياً ليشرع برضاهما وقولها لاته طالما شكي له رغبته فيها . وكان اورحاب يتمناها له . وكان سعيد اذا ذكر في ذلك فرح ثم يعرض فرحة امرالصلك وقتل الامام فيضرط فيعمل نسمة بما يتمناها من الخير اذا قتل عليها فضلاً عن استرقاء جده لانه يطعن ما يحيى في نفسه من نار لاستقام لعنان فيمرحه قيل موته

قضى أكثر أيام الطريق في مثل هذه الهواجرس لا يهالي بين حولة من الرفاق كأنه ساعر وحده . ولم يكن يستغلة عن ذلك ما يلاقيه في سبيله من الجبال والآودية والصحاري ولا ما يمر به من الرسوع والاحياء والحيات حتى لشرف على مكة عن أكمة . فاذا هي في متبسط من الارض تحيط بها الجبال والكونية قائلة بين ابنيتها قيام الملك بين الاعوان . وكانت الشمس قد مالت نحو الغروب فاسرع في مسيره يلتئم منزل جده وقلبه يخنق خوفاً عليه من تأس بهيمة قيل وصوله

الفصل الحادي عشر

* بيت أبي رحاب *

ولم يكبد دخل مكة حتى سدل الليل ثقامة فساق ماقة يلتئم المنزل قبل اشتداد الظلام وترك رفاعة يهتمون بشؤونهم . وكانت عادته اذا دخل مكة ان

يطوف الكعبة قبل الذهاب الى البيت ولكنها سار في هذه المرة توّا الى المنزل وهو يضطرب خوفاً على حياة جده

فخرج في منعطف يؤدي الى البيت رأى فيه اماماً عرف انهم من الاهل والاصدقاء فخيّاه وسأله عن حال ابي رحاب . فلما عرقوه طأنوه وسقته بعضهم ليبشر المريض بقدوم حفيده . فلما اطئان بالسعيد على حياة جده هداً روعة وترجل عن مقبه وسلمها الى بعض الخدم ومشى وهو لا يزال بالعباءة والكوفية والسيف . فانهى الى باب كبير مغلق دخل من خوخته ولم يتظر ان ينتحوا له . فمرّ في فناء لم ير فيه احداً وسار توّا الى الغرفة التي يقيم فيها جده عادة وفيها مصباح منير دون سائر الغرف . وقبل وصوله الباب استقلة رجل خارج من عنده يشي الموينا على رؤوس اصحابه مخافة ان يوقظ المريض من يوم العيق . عرف سعيد انه من بعض اهله فسألة عن حال جده

فقال له « انه مستغرق في الرقاد وقد مضى عليه لستة ايام لا يام فلما احس بالغثيان أخرج الناس من غرفته ولم يبق سواعي واوصي ان لا اوفر له الا اذا جئت انت »

قال دعني ادخل واراه وهو نائم قال ذلك وزع حداه خارجاً ودخل وهو يسترق الحعلى . فوطئ العتبة واطل على الغرفة فادا هي مدبة سراج على مسرجة قصيرة من الخشب الصلب فوق حافة مارزة من الحاطب بجانب فراش المريض وكانت فتيلة السراج ثخينة يتصلع من طيبها سناج يتضاير فيترك في صعوده آثاراً سوداء على الحاطب بجانب السراج ولو كان الون الحاطب في البياض لظهرت آثار الساج اكثر جلاء ولكنها كان مدهوناً بطيبين اسر

وتتحول سعيد نحو الفراش وقامه يتحقق لثلاً يكون رقاد جده ابداً كما يتفق لكثيرين من بهرون فيمدون لهم يوم . فمشى على حصيرة من سعف النخل يكسو ارض الغرفة عليه غطاء من جلد مصنوع هو بزلة البساط وسار نحو الفراش . وكاسوا لما اشتد به الضعف رفعوه عن الارض الى مقعد مستحلب ظهره شبكة من سبع الجلد وهي قدد من جلد يشدونها بين جوانب المهد كالشبكة يجلسون عليها مباشرة او يجعلون فوقها الفرش او نحوها . وكان ابو رحاب قد توسد فراشاً رقيقاً والخف

ببرد من صوف اسود يغطيه الى اعلى الصدر وقد توسر على ظهره ويداه مضمومتان
تحت اللحاف وعيناه مغمضتان يظلهما شعر حاجبيه فيزيدها غوراً
وحلما اقترب سعيد من جده رمى بصره الى صدره ليرى نفسه فاذا هو يتنفس
تنفساً هادئاً اضطرابه وسكن بلماهه ولست واقفاً يتأمل في ظواهر الهرم . وتنذر
ان جده كان من كبار الهامة طولاً وعرضأ فرأة قد أصبح هيكلأ من عظام مكسواً
بالمجد . اما وجهه فلم يكن ظاهراً منه الا الآلف والجبهة وما بقي منه كان مغطى بالشعر
الا يض الناصع . وازداد ذلك المنظر رهبة حينئذ لضعف النور حتى خيل لسعيد لما
اشرف على فراش جده ان رأسه كثلة من القطن المتدوف يخللها ثنيات مظلمة هي
الآلف والوجهان والجبهة وما ما خلا ذلك فقد غطته اللعنة والشارمان والجاجبان .
واستطالت لحيته وأسست حتى غطت عنقه وصدره ولكنها كانت قليلة الشعر تشفث
عن عنق دقيق مستطيل باست عصلانه وفي مقدمها التصبة قد مررت سروزاً عظيماً .
اما الرأس فقد كان حليقاً او لعله أصلع

وكان شيخاً راقداً قد دلَّه قليلة المستيقظ على محيه . حفيده فخرك وعلمتم
فتح عينيه الراقبتين واجال نظره في حواس الغرفة حتى وقع على سعيد فتبسم . فلما
رأاه سعيد قد استيقظ جثا امام فراشيه وهو بتقبيل يديه . فرفع ابو رحاب ذراعيه
وضم سعيداً الى صدره وطفق يستنشق رائحة عنقه وخدشه بالهند وسعيد يطاوعه بكل
حركة يريدها . فأطال ابو رحاب عناقه وسعيد صار حتى أحسن هباء ساخن يخدر
على خده علم انها دموع سخية ولكنه لم يدر دموع الحزن هي ام دموع الفرح . على
انه خاف على جده فاستأذنه ونهض عن صدره فواه بمحاول الجلوس فاعانه عليه
بيده ونظر اليه وهو جالس فانذهل لشدة ضعفه حتى تخيله قفصاً من عظام استدل على
ذلك ما اكتشف من عنقه الى اعلى الصدر

اما ابو رحاب فأخذ يصلح لحيته وشاربيه ويسع عينيه . تم تفريحه ومدّ يده الى
سعيد فعلم هذا انه يريده بدءه فدفعها اليه فامسكها ابو رحاب بين يديه . فاحس
سعيد كأنها مقوضة باصانع من حديد ليسوسة امامله وجفاف جلدتها وبرودتها ولكنها
شعر بارتعاشه ارتعاشاً متواصلاً هو من دلائل الضعف الشديد

الفصل الثاني عشر

* انقلابُ غريب *

وَمَا زَالْ سَعِيدٌ يَتَغَيَّلُ فِي جَدِّهِ الْفَضْلِ الشَّدِيدِ حَتَّى سَمِعَ صَوْنَةً فَإِذَا هُوَ كَمَا يَعْهُدُهُ
جَهُورِيٌّ رَنَانٌ . فَاسْتَأْنَسَ بِهِ وَاطْمَأْنَ بِاللهِ اسْمَاعِيلَ . وَأَوْلَ كَلْمَةٍ سَمِعَهَا مِنْهُ قَوْلَةُ
« الْحَمْدُ لِللهِ عَلَى مُجْبِيْكَ سَالِماً » . لَقَدْ اطَّا طَامَتِ الْغَيْبَةَ عَلَيْهِ يَا وَلَدِيِّ «
قَالَ لَقَدْ جَئْنَكَ سَرِيعًا حَمَّا لَعْتَ بِرَغْبَتِكَ فِي ذَلِكَ كَيْفَ أَنْتَ الْآنَ وَهَذَا
تَشْعُرُ يَا جَدَّاهُ

قَالَ كَمْتُ احْسَبْنِي عَلَى شَفَا الْمَوْتِ وَلَكِنِي لَمْ رَأَيْتُكَ وَامْسَكْتُ يَدَكَ شَعْرَتْ
بِرْحَوْعَ قَوَاعِيْ . فَإِنَّا الْآنَ كَمَا تَعْرَفُنِي مِنْ عَشْرِ سَنَوَاتٍ وَكَمَّا اللَّهُ شَدَّ عَزَّتِي
لَا تَمْكِنُ مِنْ تَرْوِيْدِكَ بِنَصِيْحَةٍ هِيَ آخِرُ مَا اتَّهَظَ بِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ
قَالَ « أَيُّ اشْتَاقُ لِنَصَائِعِكَ فِي كُلِّ حَيْنٍ وَلَكِنِي أَرْجُوَانَ يَدَهُ اللَّهِ فِي أَجْالِكَ لِتَشْهِدَ
زَوْجِي بِقَطْلِهِ » ثُمَّ التَّفَتَ عَيْنَهُ وَيَسْرَعُ لِلِّا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ فَرَأَى الْمَكَانَ خَالِيًّا مِنَ النَّاسِ
فَقَالَ بِصَوْتٍ مُخْتَنَضٍ « وَتَفَرَّحْ بِهَا سَيْتَقْدِمُ ذَلِكَ مِنْ الْإِتْقَامِ الَّذِي طَلَّمَا نَاقَتْ
نَفْسَكَ إِلَيْهِ »

فَنَظَرَ الشَّجَاعُ إِلَيْهِ بِعَيْنَيْهِ رَأَى سَعِيدَ بْرِيْقَهَا مِنْ خَلَالِ الْمَاجِيْنِ وَكَانَ قَوْسُ
الشَّيْخُوْخَةِ وَاضْعَافُهَا حَوْلَهَا ثُمَّ سَمِعَ جَدَهُ يَقُولُ « أَمَا زَوَاجُكَ بِقَطْلِهِ فَقَدْ فَهَمْتَهُ وَسَرَّنِي
بِلَوْغِكَ مَرَامِكَ وَأَمَا الْإِتْقَامُ فَلَمْ أَفْهَمْ عَلَاقَتَهُ بِهَا »
فَتَبَسَّمَ وَقَالَ أَلَا تَذَكَّرْ يَا جَدَاهُ مَا قَمَنَا بِهِ مِنْذِ اعْوَامٍ وَقَامَ بِهِ كُلُّ بَنِي امِيَّةٍ مِنْ
الْمَطَالِبَةِ بِدَمِ الْخَلِيفَةِ الْمَقْتُولِ ظَلَّمًا . وَهَلْ تَجَسَّرْ أَحَدٌ عَلَى الْإِتْقَامِ بِقَتْلِ الْفَانِي
لِيَخْلُوَ الْجَوْلُ لَنَا

فَاقْطَبَ الشَّيْخُ اسْرَئِيلَ كَمَّا هُنَّ غَضَبٌ وَقَالَ « مَنْ هُوَ الْفَانِي وَمَنْ سَيْقَلَهُ »
فَأَدْنَى سَعِيدَ شَتِّيْهِ مِنْ أَذْنِ جَدَهُ وَقَالَ « أَنَّ الْفَانِي عَلَيْهِ أَنْ أَبْيَ طَالِبٌ وَإِنَّا
سَأَقْتَلُهُ وَلَا يَخْفَى عَلَيْكَ مَا فِي ذَلِكَ مِنْ الْفَحْرِ وَالنَّضْلِ فَإِنَّا أَبْغِي بَنَاءَكَ لِيَتَمَّ ذَلِكَ
تَحْتَ جَنَاحِكَ »

ولم يصر الشیخ علی شماع بقیة الحدیث لعظم اضطرابه وحیفه . وعرف سعید حنفی ما رأه من ارتعاش بدهی واحتلاج شفته واهتزاز لحيته . ولا نسل عن دهشة سعید لما سمع جده يقطع عليه الكلام قائلاً بصوت عنيف « لا لا لا يا سعید . . . لا تقتلوا البری » فاندھل وظن جده لم يفهم كلامه « فقال له تھل يا جداه واي بري؟» تعنى اني سأنتقم من علي بن ابي طالب فكيف يقول انه بري؟ وانت اول من دعا الى المطالبة بدم عثمان منه . يظهر انك اخطأت مرادي »

قال « كلاً اني لم اخطئ مرادك فلا تخطئ انت مرادي . ان علياً بري؟ . . . انه بري؟ ما انتهتاه بـ . . . انه لم يقتل عثمان ولا مالاً على قتلوا ولا اراد سوا بال المسلمين ولا ارتكب امراً يستوجب نفحة »

فوقف سعید وهو يحسب نفسه في منام لعله ان جده كان من اول الناقين على عليٍ فكيف انقلب الى الضد من ذلك . فنبادر الى ذهنه ان جده انا يتكلم عن خرف . وادرک ابو رحاب ما جال في خاطره فقال له « لا يخالجن» ذهنك شک في صحة عقلي فاني انا اقول ما اقوله عن رویه وطويل نظر ولم استقدمك من العراق الا لمنه الغایة . ولا اقول ذلك جرافاً بل اثبته بالرهان »

وما زال سعید متذهلاً مستغرباً لكنه صبر نفسه الى آخر الحدیث فقال « وما الذي دعاك الى هذا التغيير العظيم . كيف يمكن ان يكون ذلك وكيف يمكن انت يكون عليٍ بريئاً من دم عثمان بل كيف تعرف انت ببراءته . وقد كنت من اول القائلين باتهامه »

فasher الشیخ يین الى سعید ان مجلس ويهدى روعة ويصبر نفسه الى سرد البراهین ثم قال « اما ما دعاني الى ذلك فهو هاتف سمعته يقول ويكرر القول (ان علياً بري؟ ولانا ينهمة اهل المطامع والاغراض) وكتبت كيما توجهت اسمع هذا الصوت بمرن في اذني حتى افلق راحتي . فبحشت عن الامر ببني وتدبرت ما اعلمته من تاريخ علي وعثمان وغيرها من القائلين في هذه الفتنة فوجدت معاوية وسائر بنى امية على ضلال بل هم اهل اغراض اتخذوا مقتل الخليفة المظلوم ذريعة للحصول عليها » قال ذلك واقترب حاجبيه وقد أبرقت عيناه من خلال قوس الاشیاع حول حدقيه وبان الجد في طبعه فظل سعید صامتاً لا يبدي حرفاً كاماً لما استولى عليه من الدهشة

الفصل الثالث عشر

* التهمة الباطلة *

فسط الشيخ لحينة باصابعه على صنح شعر حاجي وشاربيه والتفت الى سعيد وقال « يزعم معاوية وأصحابه انهم اما جردو السيف وسکوا الدماء للمطالبة بدم عثمان كما انهم لم يكونوا يستطيعون ذلك عنة قبل قتله . ولقد يشككني مطالبة عمرو بن العاص بدم عثمان وهو أول من اراد ائمه وسى في قتلها حتى لو ثبت انها هو الذي قتله وإن يكن في فلسطين . فقد علمت انه لما بلغه مقتل عثمان وهو في وادي الساع قال (انا قتله وإنما في وادي الساع) ^(١) يعني انه سمع في قتلها عن بعد . فلا يغير ذلك بعد ذلك عبيته هو وأبناء مائين الى دمشق وهم يكونون ويتولون (وإن عثناه نعي الحياه والدين) انهم اما فعلوا ذلك حيلة للانضمام الى معاوية ... »

« وأما معاوية وسائر بي امية نهر تحسم اشرعن الاسرة وإياها يتظلون المتنية طلبًا بدم ذلك الخليفة المقتول ؟ فإذا كانوا فعلوا ذلك غيره وبحسبًا ما بالهم لم يدافعوا عنه وهو محصور يستجدهم من المدينة الى الشام ؟ وهب انهم تأخروا عن مجدتو كرهًا كما يزعمون فما بالهم نسوه ونسوا اولاده . وإذا كانوا يعتقدون موته مظلوماً وانهم انا قاموا للمطالبة بدمه فلماذا لم يولوا الخلافة ولدًا من اولاده ؟ أرأيت كيف اخندق اسما هذا الخليفة ودمه ذريعة الى انسنة ... »

« هكذا فعل ايضاً طلحه وإنزير فقد قتل عثمان وهو في المدينة على قيد اذرع منه فلو ارادوا إحياءه لم يعجزهم الدفاع شسكتوا عن قتله حتى اذا رأوا الخلافة افضت الى ظاهرها بالدفاع عن عثمان وقالوا انه قُتل ظلمًا »

وكان الشيخ يتكلم وهو يحاول خفت صوته فلا يطأوعه التهيج فلا يشعر الا وقد علا صوتة لقلة غصّاتٍ وارتجاجات . ولما سعيد فكان يسمع كلام جده وهو مطرق لا يستطيع النظر الى وجهه تهيباً واحتراماً . فلما وصل ابو رحاب الى هذا الحد سكت برهة تشغل فيها مسح فهو وشاربيه ما لحثها من نقاشات ريفو اثناء الكلام

(١) ابن الاثير وغيره

لأن المرمي أخلى فَكِيرًا من الأسنان . فاغتنم سعيد تلك الفرصة وخطاب جده فائلاً « كيف تحسب عمل هؤلاء طبعاً في الخلافة ولا تحسب عمل عليّ أيضاً مثل عملهم . وقد كانوا جميعاً في المدينة فكيف إذا قتلوا الخليفة تكون البيعة لواحد منهم والباقيون ينظرون . لماذا لم تحسب ذلك طبعاً من عليّ ؟ »

فضحك الشيخ خمسة اغصانية أو هي فقهية تشبه الشخص لعظم ما قام في نفسه وهو في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة . وقيل أن يتم فقهته حول وجهة إلى سعيد وقال « اسألني عن خلافة عليّ وقد كان الأولى لي أن أسألك نفسك ما الذي أعنيه عن حقوقه فيما من أول الأمر صدق القائل إن الغرض يعني ويضم ... ان الخلافة لم تكن لأحد من الصحابة قبل هذا الإمام وهو ابن عم الرسول (صلعم) وصهره على ابنته فاطمة سيدة نساء العالمين . وهو أول الناس إسلاماً بعد خديجه ^(١) وزد على ذلك أن الرسول (صلعم) ربي في حجر أبي طالب والد علي . وقد كفله ودافع عنه عند أول الدعوة . وكانت قريش تكره دعوته حتى كثيراً ما هم بآذيهما وأبو طالب ينهى بهم بما له من المزاولة الرفيعة عندهم . ولما ولد علي ربي في حجر الرسول (صلعم) وأسلم وهو في العاشرة من عمره وذهب عن الإسلام فلتوه وبئوه ولسانه ولا أسي يوم العقر يوم تأمرت قريش على اذية الرسول (صلعم) في مكة فعوّل على العبرة كيف ان علياً أقام مقامة في منزله فتسحي ببرده ومات على فراشه وعرض نفسه لخطر القتل ونجاه الله . ما هيكم عن حروبه في الغزوات والسرایا فقد شهد معظم المواقع وأشهرها ونزل نفسه في الذب عن الإسلام يوم كان معاوية ووالله واخوته في مكة من الذين اعدوا الإسلام ولم يسلموه إلا بعد فتح مكة أي بعد قبوطهم من المصر ^(٢) »

الفصل الرابع عشر

* عليّ والخلافة *

وكان أبو رحاب يتكلّم في العرق يتصرّب عن جيبيه كأنه يعمل عملاً شافعاً بجهد نفسه فيه وسعيد حاسط مطرقاً لا يزال في دهشته واستغرابه حتى كاد ينusp عن صوابه . ولم

يُحسر على كلام . وطال سكت جده فهم باستفهامه فرأه يخزى الكلام فسكت وأصغى
فقال أبو رحاب « اراك دُهشت لما سمعت كأنك لم تعلم قبلاً ولا ألمك اذا علمته
وتجاهله فاني أكبرك منك سنّا وأعلم منك في هذه الشؤون وقد اعماي الغرض . وكأنني
بعد ذاك المأتف قد فتحت عيناي وصرت انظر الى الحقيقة كما هي . . . »

« نعم ان علياً اولى منهم جميعاً بالخلافة والرسول (صلعم) فضلهم عليهم جميعاً
واخاه دون سواه فقال له على مسمع من الصحابة (انت اخي في الدنيا والآخر)
وخاطبه منه وقال (لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا كافر) ولقد تستغرب
ما سأله عليه وتعجب كيف لم يتول الخلافة قبل الان كيف لا وهو قول الرسول
(ان علياً مي وانا من علي وهو ولی كل مؤمن بعدي) وقوله (صلعم) (من كنت
مولاه فعل مولاه اللهم فال من والاه وعاد من عاداه) ^(١) فمن بعلم ذلك ويعجب
لخلافتي هل كيف لا يعجب لتقاعدي عن الخلافة الى الان »

وكان سعيد لا يزال مطرقاً وقد تغيرت سنته وتولته الدهشة حتى ظن نفسه في
منام ويدم على مجيئه لانه اصبح بعد ساع ذلك الكلام حبراً بين مطرقيتين لا يدرى
ايفهم بهم افظام التي ملكت لبّه ام يعلم بوصية جده وهو شئ آخر أيام الدنيا . فظل
صامتاً لا يدري حراً . وادرك جده تلبكه ولكنه تجاهل عما يحول في خاطره وعند الى
انام الحديث فقال

« فترى يا ولدي ان علياً اولى بالخلافة من سائر الصحابة بالنظر الى قرابته وصهره
وصحة الرسول له ولتكنه يمتاز عن سائر الناس بفضائل تكفي وحدتها لتوليه امور
المسلمين لا ارى في معاوبه واصحابه شيئاً منها . ان علياً رجل منشقفت زاهد في الدنيا
رأيته من انزل سينة للسوق فباعه فسئل لماذا فعل ذلك فقال (لو كان عندي
اربعة دراهم ثم آزار لم ابعث) ويكفي قوله في وصف المؤمنين (ومن سباعهم
ان يكونوا خمس البطوط من الطوى يبس الشفاه من الظها عيش العيون من
البكاء) ولو فتشت بيته اليوم ما وجدت فيه لا صفراء ولا بيضاء . وقد قضى عمره
في عز الاسلام وفتح الفتوحات ولم يابس ثواباً جديداً ولا افتقى ضيعة ولا ربما
(٢) ومن كان في مقامه قادر على حشد الاموال واقتناء العبيد والاما وقضى

(١) اسد العابقة ج ٢ (٢) المسعودي ج ٢

وللماشية كما فعل غيره من الصحابة كطلحة والزبير وعثمان وصاحبنا ولن
عنها معاوية

الفصل الخامس عشر

* معاوية واصحابه *

ولما بلغ الشيخ الى هذا الحد تنهَّى عنينا ثم قال وصوته يعلو بالرغم عنه « ان
معاوية خدعنا بتظاهره في نصرة الخليفة المقتول حتى كرهنا بالامام علي وقد كان في
ظلمات من الغرض لا يرى الحق واما الان وقد قشعت الغشا عن عيني فاني اصبحت
نافقا على معاوية واذا فكرت في اعماله واعمال علي كدت اهتز غيظاً ويتفتر قلبي اسهاً
على ما نال هذا الامام من الاذى الذي لا يسخفة . كيف لا وهو رجل عرفناه يوم
انتصر علينا في واقعة الجمل كيف انه اشتق على عدوه اشفاقه على اولاده فاوصي
اصحابه ان لا يلحووا مدبرًا ولا يجهزوا على جريح ولا يمسوا النساء ولا الاولاد بسوء .
وكم اوصي عالة ان يقسطوا في احكامهم وقد اخبرني رجل سمعه بوصي احد اعماله ويقول
(لا تضرن رجالاً سوطاً في جباه درهم ولا تبيعن رزقاً ولا كسوة شباء ولا صيناً
ولا دابة يعمدون عليها ولا نقين رجالاً فائماً في طلب درهم) ^(١) ولو اردت ان
اسرد من امثلة ذلك لضائق بي المقام وخنت انقضاء اجي قبل الفراغ منها وانا انا
استهيل ملاك الموت ربنا اتم وصيتي لك . . . فاصبح لي يا ولدي ونأمل عدل
الامام علي وحمله وما ارتكبه معاوية وعالة من التعدي على المسلمين . وخوفاً من زيادة
التطويل وقد تعجبت من الكلام اذكر لك حادثة فربية العهد لا يزال صداتها يرن
في الآذان . . آه . . آه من النساء اهل المطامع . . . انعرف عبيد الله
ابن عباس؟ »

قال « كيف لا اعرفه وهو ابن هم للرمول (حلم) وابن عم علي بن ابي
طالب . نعم اعرفه »

قال اصغ لما اقصه عليك واعتبر . لما فرغ معاوية من واقعة صفين وتحكيم الحكيمين وظفر بالخلافة بعية عمرو بن العاص كما تعلم بايعة اهل الشام وظل على في العراق . فلم يقنع معاوية بما اوصى من الحكم فبعث سراياه الى الحجاز والعراق للتفتيش يدعون الناس الى يمينه ونقض بيعة علي . وكان رسوله الى الحجاز واليمن بسر من ارطاة فجاء المدينة وتولماها لان عاملها قر من وجهه . ثم جاء مكة هذه منذ شهرين ولا يزال الناس يخذلون بفارار صاحبها اي موسى الاشعري من وجهه بلا حرب . فاكثرة اهلها على البيعة فبايعة اهل مكة مكرهين وقد كنت مريضا ولم ار وجهه . . . على ان علمه هذا لا يستوجب ملاما ولكن سار الى اليمن وعاملها عبيد الله بن عباس الذي ذكرته لك . فخاف عبيد الله فهرب الى الكوفة واستخلف عبد الله بن عبد المدان فلم يكن من بسر بعد دخوله اليمن الا انه امر بعد الله هذا فقتله وقتل ابنته صبرا . . . وسمع بابنيين صغيرين لعبيد الله بن عباس قد ودعهما عند رجل من كنانة بالنادبة فارد قتالها فبعث اليها سهام الكتاني وسمعة الطبلان فلما علم ان بسرا يربد قتلها ذعر وصاح قائلا « لم تقتل هذين ولا ذنب لها فان كنت قاتلها فاقتلي معها » ولم يكن من ذلك الظالم الا انه قتل الصنيلين والكتان (١) وبلغي ان الكتاني دافع عنها حتى قتل . ولقد اعجمي قول امرأة من كنانة رأت ابن ارطاة ماربا بعد تلك الماجدة فنالت له « يا هذا قلت الرجال فعلام قتلت هذين والله ما كانوا يقتلون الاطفال في الجاهلية ولا الاسلام . والله يا ابن ارطاة ان سألهما لا يتوم الا يقتل الصبي الصغير والشيخ الكبير ويزع الرحمة ويفرق ارجام لسلطان سو » (٢) .
هذه يا ولدي اعمال معاوية وعياله فان هي من اعمال الامام علي فكيف سقم عليه بعد ذلك وقول انه قتل عذان واد استوجب التقل ؟

الفصل السادس عشر

* الخوارج *

لهم يضم الشیخ کلامه حتى خارت قواه ومحز عن الكلام ومل القعود فاستلقی

(١) ابن الاتمری . (٢) ابن الاشیری .

على ظهره وهو يلهمت والعرق يتصلب عن جيبيه فخاف سعيد عليه فأمرع إلى منديل مسح به عرقه وأنا ناه بلبن كانوا أعدوه له فشربه واستلقي يلتمس الراحة وسعيد جالس إلى جانبه وقد وقع في حيرة عظيم . فتصور عده نظام وأقصد الذي كتبه على نفسه ولبس صامتاً وجده الشيخ يلتفت إليه خلسة براقب عواطفه . فادرك ارتباكه وعلم أنه ينكر بقطام وأهلها فحوّل وجهه نحوه وهو لا يزال معتليها رتال « اظلك تذكر في قطام وأهلها الخوارج وقد يجيئ لك أن خروجم من طاعة على تلك يطعن بصدق ما قلته لك ولكنهم لم يخرجوا إلا طمعاً في الدنيا فانخلوا سبباً لا يحمد عاقل إلا هرزاً بهم وأيقن شعديهم . خلعوا طاعة على لامة قبل بالتحكيم الشهير وما ذمه وهم الذين أجرؤه على قوله وهم أنه أخطأ وهل يخرجون عليه ريحان بونه . ولكنهم رأوا معاوية قام في الشام وكاد يفوز بالخلافة وعلموا عم بالحكمة لانهم فاحسنت على نفس البيعة وبويد ذلك إنهم ولدوا عليهم رئيساً منهم وبابيعوه ولكنهم فشلوا في حروفهم وعادت العائنة عليهم

وليس فشلهم بالدليل على سوء بنيتهم ولكنني أتلوك عليك حكاية سمعتها من رجل أثني بصدق روايته قال ما أن الخوارج عند أول خروجم من طاعة على اثر رجوعهم من صفين زاروا عند النهر وإن فرأوا رجلاً بسوق بأمرأة على حمار فدعوه فانهروا فافزعوه وقالوا له من أنت . قال أنا عبد الله بن خباب صاحب رسول الله (صلعم) . فقالوا له افرزعناك . قال نعم . قالوا لاروع عذبت حدثنا عن ما يك حدثنا سمعة من رسول الله صلم . قال انه تكون ختنة يوم نبأ قلب الرجل كما يوت فيه بدنه يسي فيها مؤمناً ويصبح كافراً ويسى مومناً . قالوا لهذا الحديث سألك فما تقول في أبي بكر وعمر . فاشتغلوا خيراً . قالوا ما تقول في عثمان في أرجي خلافته وفي آخرها . قال انه كان معيناً في اوها وفي آخرها . قاتلوا ما شئوا في علي قبل التحكيم وبعد . قال انه اعلم بالله عينكم واشد توفيقاً على دينهون شد بدمائهم . سدوا أنت شمع اهوى وتوالي الرجال على اسماهم لا على افعالها والله لنقتاتك ختنة ما متذمماً احذأنا . فاخشوه وكنتونه ثم اقبلوا به وبأمرائي وهي حلبي ستم حتى تزلي تحت سفل دفع بغير فسحة منه رطبة فأخذها أحدهم فتركها في فيو فقال آخر أخذها بيده حملها و يعبر نهر فالقاها ثم مرّ بهم خنزير لأهل الذمة فضربه أحد سينه فقالوا هذا نسدني لا أرض فلن صاحب

المخزبر فاردها فلما رأى ذلك منهم ابن خباب قال لمن كتم صادقين فيها أرى فما على منكم مه باس اني مسلم ما احدثت في الاسلام حدثاً ولقد أمتني قلت لا روع عليك . فالمجموع قد جموع فسأل دمه في الماء واقبلا إلى المرأة فقالت اني امرأة لا تتغون الله . فلبرط بطنها . هذه اعمال اعداء علي وهذا هو علي كيف ينقم عليه بل كيف تقتلة او نساعد على قتلها بل كيف نسكت عن قتلته ولا ندافع عنه

الفصل السابع عشر

* خاتمة الوصية *

فلما رأى سعيد نهاية حديث جد لم يهد يذكر الصك الذي كتبه على نفسه وتعهد فيه بقتل علي لثلا بزيد غضبة . فظل سلمكتا يذكر في حيلة يخلاص بها من وعده والتي هي احسن فلم يسعه ذهنه على التأمل وقد أحسن بالتعجب الشديد ورأى ابا رحاب قد تعجب ايضاً . فقال له لند انعيبت نفسك يا جداه بوصيتي فاشكر عنائتك واني اري في قولك الصواب واطلب اليك تعالى ان يقدرني على العمل بو فاسترح الليلة وغداً نصح ان شاء الله وقد ارتحنا فنسألف الكلام . قال ذلك واكب على بدء فقبلها فرآها قد زادت سرودة وجودة . فقال له جد « نعم هيئا يا ولدي ولكنني اخشى ان لا اصبح في الغد فلا بد من كلمة اقواما وهي خاتمة وصيتي لك » قال ذلك ومه بد فدنا سعيد اليه فعافية وبكي ثم قال والدموع ملء عينيه وشفتيه ترتجفان وذفة نهتر « اذا شئت يا ولدي ان يمارق جدك هن الدنينا مرتاحاً مطمئناً عاهد بانك تعمل بوصيتي اي املك لاتخي سوا اللام على بل اذا رأيت سبيلاً للدفاع عنه دافع بكل جهودك . هل تعاهدني على ذلك ؟ . . . عاهدني علي . واجبر قابي واذكر اني جدك ووالدك ووصيك واني ربيتك وكفلك واني لا اريد بك الا الخير . هل تعاهدني على ذلك . . فل نعم واجبر قلبي اني فلق عليك »

فتأنشر سعيد موئيل كلام جده حتى اغزو رقت عيناه بالدموع وتدكّر ختوه وانعطافه فلم يسعه الا الاجتاب فعاهد على وصيتي

ولكمة لم يذكر بعده حتى تذكر عهده لفظاً في الصفة من ذلك فعظم عليه الأمر على أن البغة أنسنة هول ذلك التضاد . ورأى في جهن ميلاً إلى الرقاد فدعا الرجل الموكل بخدمته فآمن أن يتولى تعهده في اثناء رقاده وخرج إلى غرفة أخرى نزع فيها ثيابه والنمس الراحة . أما الرقاد فلم يكن له فهو مطبع بعد ما انتابه من المهاجم والمشاغل على أنه لم يكن بهداً له بال فإذا فكر في حاله ازداد الأمر خطارة لدبه وهالة ما رمى به نفسه من عهدين متناقضين . فكان كلما نصور عدوة عن قتل الإمام علي شعر بارتباط من الخطير الذي كان يخافه على نفسه لو باشر القتل . ولكنه لا يأبه أن ينكر بعهده المكتوب وبقلبه المغلوط حتى ترتعش فرائصه ويرتickle في أمر فيه من فراشة كأنه أصيب بخجل

الفصل الثامن عشر

﴿ طيف قطام ﴾

وما زال في مثل ذلك حتى انقض نصف الليل وهو لم يغمض له جفن ولم يزدد إلا اضطراباً وقلقاً . وضاقت الدنيا لديه فنهض من فراشه وتزلّل ببرده وعباه تو ونعم وخرج يلمس الخلاء . وكان الظلام عيناً وقد رقد الناس . ولم يبق في شوارع مكة أحد . ففرح لذلك المهد وسار لا يدرى إلى أين وهو غارق في هوا جسده ولم يسر قليلاً حتى شعر بالبرد فالتف بالعباءة وظلّ مائشياً نارة يبطئ وطوراً يسرع على غير هدى فما شعر إلا وهو بباب المسجد الحرام وأحس ل ساعته بارتباط . فقال في نفسه لا دخلن المسجد أصلى ركعتين لعل الله يوحى إلي طريقة تخفف اضطراري . وكان الباب مفتوحاً وصحن المسجد خالياً فتأنى بط نعليه ودخل حتى دنا من الكعبة فصلّى ومسجد فاحس ل ساعته براحة فطاف حول الكعبة ثم النمس مكاناً وراءها إنكاً فيه وعادت إليه هاجسة . فارسل بصري راقب النجوم الساقحة في الفضاء وقد اجهذب بصري جمال القبة الزرقاء . وإنكاره تأبه في ما احده بـه واشنـد البرد عليه فادخل رأسه في العباءة جعلها خماراً . وكان النعم و البرد تغلباً عليه فخذربدنـه واستولى عليه النعاس ولكمة

لم يكدر يغمض جفنيه حتى ابتدرته الاحلام فرأى قطاماً يجذب اسود وقد اسفرت عن عيالها فبدت عيالها المكولتان ورآها تمشي نحو حافية الفدمين على بساط من ريش العام الابيض . فتحقق قلبها لرؤيتها وهم بالسلام عليها فرأها اعرضت اعراض العاتب وعيالها شللاً لأن بالدموع فتفطر قلبها لرؤيتها وساها اعراضها فهم بالاقبال عليها فلم تسعفه رجلة لما تولاها من الرعد فناداها يلتسم قربها فلم تجده وظلت معرضة وقد تحولت عنه ومشت وهي تنظر اليه شراراً ولسان حاها يقول « لقد خنت عهدي فما انت اهل لي »

وحاول سعيد اللحاق بها ليخبرها بيقائده على العزم فلم يستطع ولما ابعدت عنه هم ان يناديها فافاق من رقاده فاذا هو وحده بجانب جدار الكعبة والظلمام محدق به فمسح عندي لينجين حالة افي يقطنه هوام في منام ولما تحقق انه كان في منام حمد الله واكدة ايفن انه اذا لفي قطاماً لا يرى منها غير الاعراض

فكث صامتاً تنااذفة الموجس وهو لا يهندى الى حل مفع فنهض يلتسم المنزل ليزى ما تم لجهى بعد ذلك الحديث . واشتق الالتحاف بالفراش بعد اضع ساعات فضاها في ذلك الخلاء والبرد فارس . ولم يكدر يتلو سورة الفاتحة وهو عائد حتى سمع لغطاخافتاً كأن اناساً يتشارون . وكان قد وصل الى مقام ابراهيم امام الكعبة (١) فوقف واصاح سمعه فسمع خطوات بطيئة تقترب من الكعبة وهمساً يتكرر كأن الفادمين يتشاررون في امر هام . فائزوى وراء المقام في مكان لا يتنبه اليه احد وخصوصاً في ذلك الظلمام ولكنه كان اذا ارسل بصري وقع على الكعبة وحوالها

الفصل التاسع عشر

* الموعاًمرة *

فما لبث ان رأى ثلاثة رجال لم يعرف احداً منهم ولكن عرف من قيافتهم انهم غرباء على انه لم يقدر على تمييز الوانهم ولا سمعهم وقد لفوا رؤوسهم بالعائم لعاً كالخمار اما انفاس للبرد فاما تكرراً

فهـة امـرـهـ وـخـقـ قـلـةـ خـوـفـاـ منـ اـنـكـشـافـ مـكـانـهـ وـرـبـاـ كـانـواـ فيـ مـهـةـ اـذـ عـلـمـواـ اـنـهـ اـطـلـعـ عـلـيـهـ سـعـواـ فيـ قـتـلـهـ .ـ فـبـالـغـ فيـ الـأـزـرـاـ .ـ وـخـافـ اـنـ بـدـاهـهـ الـعـطـاسـ فـلاـ يـسـتـطـعـ حـبـسـهـ فـيـنـضـحـ اـمـرـهـ فـظـلـ مـخـيرـاـ .ـ اـمـاـ هـمـ فـوـصـلـوـ بـابـ الـكـعـبـةـ وـاقـتـرـبـوـ مـنـ سـعـيدـ بـحـيـثـ يـرـاهـ جـيـعـاـ وـلـوـ كـانـ الـقـرـطـالـعـاـ اوـ كـانـ هـنـاكـ مـصـبـاحـ لـتـبـينـ سـخـنـهـ جـيـداـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـقـدـرـ عـلـىـ ثـبـيـثـ شـيـءـ مـنـهـ لـاـشـتـدـادـ الـظـلـامـ .ـ عـلـىـ اـنـهـ تـأـكـدـ مـنـ عـجـيلـ اـحـواـلـهـ وـحـرـكـاتـهـ اـنـهـ جـاـءـ وـلـاـ اـمـرـ ذـيـ بـالـ اـحـدـهـ طـوـبـلـ الـقـاـمـةـ وـهـوـ اـكـثـرـهـ حـرـكـةـ فـجـلـسـ رـفـيقـاـهـ الـارـبـاعـ وـظـلـيـهـ هـوـيـاقـعـاـثـ جـلـسـ الـقـرـفـصـاـ .ـ وـقـالـ «ـ وـلـآنـ مـاـلـاـ وـلـهـلـاءـ اـنـهـ جـيـانـهـ تـعـالـىـ بـدـأـ بـالـاـمـرـ فـيـكـونـ لـنـاـ الصـرـ »

قـالـ الثـانـيـ وـكـانـ قـصـيرـ الـقـاـمـةـ هـمـهـلـيـ الـجـسـمـ «ـ اـنـيـ اـرـىـ رـأـيـكـ اـذـ مـاـ نـابـنـاـ مـنـ هـوـلـاءـ الـائـةـ الـضـرـرـ .ـ هـمـ بـتـنـازـعـوـنـ عـلـىـ الـخـلـافـةـ فـيـقـتـلـ الـمـسـلـمـوـنـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاـ فـيـ نـصـرـهـمـ فـاـذـاـ قـتـلـهـمـ رـقـدـتـ الـقـتـدـةـ .ـ نـعـمـ نـقـتـلـهـمـ جـيـعـاـ »ـ قـالـ ذـلـكـ بـصـوتـ خـافـتـ وـفـيـ نـطـقـوـ لـجـلـجـةـ وـكـانـ يـاتـيـتـ يـمـنةـ وـيـسـقـتـ لـهـلـاءـ يـسـعـةـ اـحـدـ فـقـالـ الرـفـيقـ الـثـالـثـ وـكـانـ لـاـ بـزـالـ سـاـكـنـاـ «ـ اـنـيـ لـاـ اـفـكـرـ فـيـ وـاقـعـةـ النـهـرـ وـانـ وـمـنـ قـتـلـ فـيـهـاـ مـنـ الـاـبـطـالـ وـالـشـعـانـ الـاـ وـيـقـطـرـ قـايـ دـمـاـ .ـ اـنـ عـلـيـاـ قـتـلـهـمـ لـاـنـهـ لـمـ يـرـضـواـ مـعـهـ بـالـحـكـيمـ »ـ

فـاـبـنـدرـهـ الـاـوـلـ الطـوـيـلـ وـكـانـ اـكـثـرـهـ جـرـأـهـ عـلـىـ الـكـلامـ وـكـانـ رـفـيقـاهـ اـذـ تـكـلـمـ خـفـضاـ صـوـتـهـاـ اـمـاـ هـوـ فـكـانـ لـاـ بـهـابـ شـبـئـاـ فـيـنـكـلمـ هـلـ «ـ فـيـهـ قـتـلـ »ـ لـاـ يـكـفـيـاـ التـذـمـرـ وـالـضـجـجـ وـنـحـنـ سـكـوتـ بـرـىـ اـبـنـاـهـناـ وـاـخـوـتـناـ يـقـتـلـوـنـ فـيـ نـصـرـ اوـلـابـنـكـ الـائـةـ وـلـاـ نـدـيـ حـرـاـكـاـ .ـ هـمـ هـنـاـ نـقـتـلـهـمـ وـرـبـعـ الـمـسـلـمـيـنـ مـنـ شـرـهـ »ـ

فـلـمـ سـعـيـدـ حـدـيـثـهـ عـلـمـ اـنـهـ جـاءـ وـلـلـمـوـأـمـةـ عـلـىـ قـتـلـ جـمـاعـةـ مـنـ الـائـةـ الـاـمـامـ عـلـيـهـ وـاـحـدـهـمـ وـلـكـنـهـ لـمـ يـعـلـمـ مـنـ هـمـ الـمـاـفـوـنـ .ـ فـجـعـلـ يـرـنـدـ لـهـلـاءـ وـزـادـ خـوـفـهـ عـلـىـ نـفـسـهـ اـذـ كـشـفـ مـكـانـهـ .ـ وـكـانـ فـيـ بـادـيـ الرـأـيـ قـدـ دـمـ عـلـىـ لـبـقـائـهـ هـنـاكـ فـلـمـ توـسـ خـطـبـارـةـ مـاـهـ فـيـهـ سـرـ لـبـقـائـهـ عـلـىـ اـنـهـ مـاـ زـالـ خـاـنـاـ مـنـ الـضـيـجـةـ .ـ فـلـمـ مـنـزـوـيـاـ وـهـوـ يـجـبـسـ اـعـاسـهـ خـوـفـاـ مـنـ السـعـالـ اوـ الـعـطـاسـ وـاـمـاـ لـوـنـحـيـ اوـ عـطـسـ لـاـ جـهـلـهـ جـيـعـاـ وـهـمـ عـلـىـ بـضـعـةـ اـذـرـعـ مـنـهـ .ـ وـلـوـ قـامـ اـحـدـهـ وـمـشـيـ خـطـوـتـيـنـ خـوـمـقـامـ اـبـرـاهـيـمـ لـرـأـيـ سـعـيدـاـ اـمـامـهـ .ـ اـمـاـ سـعـيدـ فـكـانـ يـفـكـرـ فـيـ حـيـلـةـ يـقـنـدـ بـهاـ نـفـسـهـ لـوـ كـشـفـ مـكـانـهـ .ـ وـكـانـ مـعـ شـتـةـ الـظـلـامـ يـجـيلـهـ

انه في رابعة النهار لخوفه وقد ساعده على ذلك صحو الجب ونلاوة الكواكب لأن السماء كانت ندية لا يحجب نجومها الأصحاب ^{برقية منفرقة} كانت تجتمع أحياناً وتتبدل فتزيد الظلام كثافة وقد كان سعيد في انفراده وراء الكعبة قبل مجيء هؤلاء أنها يشاغل نفسه براقة حركات تلك السحب . وكان اذا تبدل او تكاثفت انتقضت نفسه اما الآن فاصلح لا يرى غير الخطر امامه وود تكاثف الغيوم لانها تزيد في احتجابه وقد نسي قطاماً وجد واصبح فلما لاستطلاع سر ذلك الاجتماع

الفصل الشعرون

* ١٧ رمضان *

وكان السكت قد استولى على تلك الجلسة لحظة على اثر كلام ذلك الطويل الجري . فلما رأى هذا سكت رفيقيه ابتدروا قائلة « وإذا فعلنا ذلك ما الذي تخافه غير الموت ؟ حبذا الموت في سبيل افقار المسلمين من فتنه يقتلون فيها . وأصل الفتنة كما تعلمون ثلاثة من كبارنا يتنازعون على الخلافة او هي السلطة "الدنيوية" وهم علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص هم بنا يقتلون ويريح الناس منهم » (١) فقال الثاني « لقد وافقتك على رأيك من اول الامر ولكن ما السبيل الى قتلهم وانت تعلم انهم محاطون بالجند والاعوان فلنفك في طريقة نضمن لها الفوز ونأي منا من الخطر »

فاسرع الاول قائلآ « اراك تتردد في التول كأن الامر هالك خطئه وكمي بك تخاف كبير او الك الاية وتخشى ان يكون من حظك قتله . تعالوا ننقسم العمل فيما بيننا . تعالوا تعااهد على ان يقتل كل ما واحداً من اولك الثلاثة ولعيدين يوماً نباشر العمل فيه معاً فيكون احدنا في الكوفة لقتل علي والآخر في مصر لقتل عمرو والثالث في الشام لقتل معاوية في يوم واحد ويقتل كل منها صاحبة في ذلك اليوم فيصبح المسلمون وقد نجوا من اسباب الفتنة فيختارون خليفة بولونه امورهم وترجع الخلافة الى بساطتها »

ولما سمع سعيد ذلك نهيب لعظم هذا المشروع ولم يصدق انهم يتغافلون على القيام به . ولاح له لأول وهلة ان علياً اذا قتل رضيئه قطام به وإن لم يكن قتله على يد ولكنه تذكر كلام جده ووصيته بان يدافع عن علي لبراءة توحا ينسونه اليه فانقضت نفسه . وما لبث ان شغل عن تلك المهاجمين بما دار بين اولئك المتأمرين . فان المتكلم الاول لما فرغ من كلامه ولم ير من رفيقيه تلية لم يصبر حتى يسمع جوابها فقال لها « لا ترددوا ولا بهولكم الامر وهو اسهل ما يكون على ذي مروءة . وكاني بكم تفكران في كيفية اقسام العمل وتخافان ان يكون نصيب احدكم اصعب مراسماً من نصيب الآخر فلا تخافا اني انعهد بقتل اكبر هؤلاء الثلاثة واشتمهم . انا اقتل علياً ابن ابي طالب فاتي الكوفة وان يكن مقامي في النسطاط فاقتله » . قال ذلك واقبل حتى دنا من باب الكعبة وامسك بمحاقنه وقال لها « ها اني امسكت محلقة الكعبة واقسم بالله ويهذا البيت الحرام اني اقتل علياً امن ابي طالب ابذل في سبيل ذلك ما في وسعي وأشهد الله على ذلك »

ولما فعل ذلك نهض رفيقاه وقد اندفعوا الى القسم فامسک كل منها محلقة الناس واقسم احدها انه يقتل معاوية بن ابي سفيان والاخر انه يقتل عمر بن العاص ولا نسل عن حال سعيد بعد ان تم العهد على هذا العمل الخطير وود لو يعرف اولئك المتعاقدين ولكنه لم يرسلا الى ذلك . على انه علم من خلال حديثهم ان المتعهد بقتل الامام علي من اهل فسطاط مصر

ثم رأى الثلاثة عادوا الى معالهم فقال احدهم وهو السفين للنصير لقد تعاهدوا على قتل هؤلاء الائمة ولكننا لم نعيي اليوم الذي نتعل فيبه ذلك وان لم نعيي فشتلتنا جميعاً

فقال الثالث « وهذا رأيي اما ايضاً لانا ان لم نعيي اليوم كان الحال واسعاً ونخشى اذا سق احدنا الآخر ولم ينجع او قتل او قض عليه ان يخاف الماقيان ويرجعوا . فلم يعيي اليوم والساعة

فقال الاول ان الساعة لا يمكن تعويتها ولكننا نعيي الليلة فليكن عملا في ليلة واحدة . في اي الشهر نحن آن؟ قالا في جمادي

قال فلَكِين موعدنا رمضان المبارك حتى لا يُعَد الفطر والأمسلون كافة في راحة
وإذا قتلتني لقيتني سأ وقد فعلنا ما علينا . فاختاروا ليلة من ليالي رمضان
قال الثاني « أي اختار الليلة السابعة عشرة من ذلك الشهر فما قولكم » (١)
قالوا « إنها خير ليلة » ونبهوا وسعید بمحاف أن يروا به فيروه ولكنهم
داروا حول الكعبة كأنهم يطوفون بها وليست هو بانتظار عودتهم فلم يعودوا . فلما
استطاعوا علم أنهم خرجوا من مأب آخر أو داروا ونحوهم إلى الماء الذي دخلوا
منه . فرفع رأسه ونظر حوله فلم ير أحدا ولا سمع صوتاً . فنهض وطاف حول الكعبة
فتحقق لهم خرجوا . مجلس هنئهم يذكر في ما مرّ به وهو يحسب نفسه في حلم لغرابة
مارأه وانتعاق حدوثه في الليلة التي أوصاه جده فيها أن لا يقتل علياً . ونظر إلى
الافق فاستقبلته الرهبة تلائلاً كأنها تشنن بآصال الفجر . وتذكر جده فقال لا عودة
إلى المنزل قبل أن يطلع النهار ويخرج الناس . عاد يلتقط البيت

الفصل الحادي والعشرون

* آخر العهد بأبي رحاب *

ولما اقترب من المنزل خفق قلة مخافة أن يكون جده قد أصاب حنته في غيابه
فدخل الدار فرأى السكوت مستولياً عليها فاستبشر والتمس الحجارة التي كان جده
ياماً فيها فرأى المصاح لا يزال مصيناً فاطلعاً من الماء فرأى عدالة جالساً محاسب
الفراس وجده نائم . فنظر إلى عدالة كأنه يستطلع الحال فنهض لاستقامته ووجهه
ماشٌ فاطلاً على ماله وقيل أن يلقى التحية ابتدراً عدالة قائلًا لقد شغلت بالها بغياك
فإن جدك أفاق من سوءه مراراً والتمس أن يراك ونحن لا نعرف مكانك وقد أمعن
كثيراً في طلبك

قال وكيف هو الآن

قال هو في خير وقد رأيناه في راحة لم يذقها منذ أيام

ولم يتم عد الله كلامه حتى رأى ابو رحاب يتحرك في فراشه فتقدّم سعيد نحوه فإذا هو قد فتح عينيه وأشار اليه بيده فدعا منه وجهاً امامه يلتمس منه اسارة فقال ابو رحاب ابن كثت يا ولدي فقد التمساك مراراً فلم تقف على مكالك قال خرحت في حاجة الى الكعنة وانفق لي حادث شغلني عن المحيط حتى الان فمد الشيخ بيده حتى قبض على يد سعيد وضغط عليها كأنه لا يريد ان يفارقه وسعيد صامت لا يدري حراً كاً لشدة تأثره من منظر جده الشيخ وقد شعر به ابا ضغط على يده ضغطة الوداع

فترقرقت الدمع في عينيه والتفت الى عبي جده فرأها عارقين بالدموع وها شاختان اليه فتهظر قلبه وهم ان يتكلم فانتدره جده قائلاً « اراني لا ازال في قلق على مستقبل حياتك واخشي ان لا تكون استوعتم بصحيتي فقد لصحتك واما في آخر ايام الدنيا بصحة او حي الي ان تقيها اليك . وقد تركني الليلة غارقاً في بحار الاحلام وكان هائماً خوفياً من غيابك . هل استيقن على عهدي يا سعيد » قال « لقد عاهدتني يا جداه عهداً وتبينا انني لا ابني شرّاً للامام علي ما حبيب واما ناق على عهدي واريدك علماً ابي لقيت في الكعنة اناساً يتأمرون على قتيله وقتل صاحبيه معاوية وعمرو في يوم عيوب وتعاهدوا عليه فلم يبق ثمة حاجة الى سعيي » فبغت الشيخ وحملق تعبيه وصاح قائلاً « ومن هم هؤلاء » فقص سعيد خبره مختصراً وختم كلامه قائلاً « اني لم اعرفهم ولا استطعت اللعاق بهم خوفاً منهم لاني اعزل »

قال « ألم تعرف الذي تهدى بقتل الامام علي » قال « كلاً ولكتني علمت من عرض كلامه انه من مصر ويغلب على ظني انه من الخوارج »

فصاحت الشيخ برهة كأنه يذكر في امر هام ولحظ سعيد من شعور عينيه وذبول اجهائه ونغير سمعته انه تعب . وما ابو رحاب فتجلى وقال وصونه برتجف وقد اصبح لا يستطيع التلنّظ بكل مقطع من مقاطع الكلام كان لسانه اصيب شاعرها قال « يا ليتني كنت بينهم لاقتهم بالكشف عن ذلك . . . ولو استطعت استمهال اجي لسعيت في البحث عنهم فاذاعرفت الساعي في قتل الامام علي ارجعته عن غيبه بالبرهان . . .

انهم والله ظالموء» . . . ثم سكت هنيهة ربما يستريح وعاد الى الكلام هو يتلجلج ويقف عن الكلام عند كل شهيق من تنسه . وكان تنفسه قد اسرع وظهر الاختطاف عليه فشقق سعيد ان جد في حال النزع فارتعنت فرائصه وتحسنت قلبه واسف حاله ولكنه اصغى لشقة حديثه فادا هو يقول «ولما انت يا سعيد فاصغر لتوبي واعمل بتصحيحي . . . ولا اقبل منك السكوت عن هذا الامر . . . وابنها انت . . . مكاف بالبحث عنه . . . المك مكاف بالبحث عن هذا . . . الرجل في مصر . . . والشام . والعراق حتى نعلم مقره . . . فاما ان تقمعه . . . بالعدول . واما ان تبني . . . الامام نامي . اني . . . التي . . . هذا الامر . . . على عانفك . . . فاحذر . . . ان تقاعد عنه . ولا فالم . . . قاتل علياً يدك . . . هن وصيتي لك احتفظ بها ولا تناهيل او تناهيل . . . والله شاهد . . . على ما اقول . هن وصيتي الاخيرة مل . . . هن . . . آخر كلامه افوه بها في هن . . . الحياة الدنيا . . . وكست مستغرباً استئخاراً اجي الى . . . الساعة . وكمت احسسي . . . ميناً منذ ايام ولكن الله . . . انا اراد بذلك . . . ان أكل اليك . . . بهذا الامر . . . هن آخر وصيتي لك . . . ابحث . . . عن هذا الرجل وارجعه . . . عن غيبه . . . كما ارجعتك ولو اوتبت . . . وعمراً ثانياً لقيت في بي امية . . . وفي الخارج . . . خطيباً اصرح : راءة . . . الامام علي على روؤس الاشهاد . ولكن آه . . . ان الساعة يأتيه . . . لاريبي . . . فيها . . . وها اي استودتك . . . الله واخرك . . . له . . . اقو . . . لها لك . . . علي . . . على . . . دا . . . فع . . . عن علي يدك . . . وقلبك . . . ولسا . . . ; . . . لك . . . »

ولم تخرج هذه الكلمات الاخيرة من فيتو حتى اختنق صونه تم شرق شهقة دوى صوتها في اطراف المنزل وارتجت مفاصله فافتتت يد سعيد من يده . وينظر سعيد الى جد فادا هو قد اغمض جنبيه ووقف تنفسه . . . فجسن ين . . . فادا هي ماردة فلس جبيبته فادا هو كالثلج وقد فتح فاه وارسل نسمة الاخير وبطلت حركة الحياة فاصبح تثلاً من تراب . فاقشعر بدن سعيد واطم يدّاً يدّاً وصاح «جداه ياجداه . او يلاه كلامي زودني نصيحة أخرى . . . » وما من مجيب فايقن بوفاته وكان عدالة قد خرج فعاد ولما رأى ابا رحاب قد مات اخبر اهل المنزل فاجتمعوا وعلا الحزب والبكاء

ولم يكن الحزن على موت أبي رحاب شديداً التوقيعه ذلك منذ أيام . ولكن سعيداً كان حزنه مضاعها لامتناجه ، بالمواجس والاضطرارات بها سمعة من جده مع ما هو مقيد به من العهود في الضد من ذلك

الفصل الثاني والعشرون

* رفيق جديد *

وبعد الاحتفال بالدفن عاد سعيد إلى صحوة وفكّر في حاله فرأى نفسه في مشكلة لا يدرى كيف ينحاص منها . وبعد التأمل العاويل رأى المسألة مع اشكالها ليس أسهل من حلها اذا استطاع اقتسام قطام ببراءة على فتنازل عن الاشتمام . فلما فتح عليه بذلك توسم فيه خيراً وأحسن ما يراج الأزمة فاعمل وفكّرته في الاسلوب الذي يستولي بو على عواطفها ويعير اعتقادها . الإمام علي حتى نسكت عن الطالب مثار والدها واخيها منه . فتخيل له عن بعد ان اقباعها ممكّن هداً ووعة وعما واسرع في تدبير شؤون اهله وكان في حملتهم شاب اسمه عبد الله رماد او رحاب كما ربي سعيداً وكان يتعزّز بـ وبحبه وهو الذي اندفع إلى الكوفة لاستقدام سعيد فلما مات او رحاب نقدم عبد الله الى سعيد ان ياذن له بمحاجته وبالغ في المحاجة واستهلك في سبيل مرافعته . فتحجّب سعيد لتلك الرغبة في السفر ولم يكن يعهد عبد الله بـ إلا الى ذلك

والسبب في ذلك الرغبة ان ابا رحاب كان من الدراة والمراسة بحيث لم يجفّ عليه ضعف سعيد فارسل انسنة الاخيرة وهو يجاف عليه خدر الماس وخداعم . ولكنه استدرك ذلك قبل موته فاوصي عبد الله هذا ان يكون له عوّاقب في صحة جثمانه سار فينجعله وبرشه وان يكن هو شاباً مشلاً ولكنّه كان اعرف منه باحوال الدهر واسواناً في ما جريات الايام

وبعد ايام ودع سعيد اهله واصطبغ عبد الله وسارا بطاویان الصمرا . نحو الكوفة وعبد الله لا يعرف شيئاً من علاقته سعيد بقطام ولا ما نأمه عليه الثلاثة في

المسجد الحرام . ولتكن فهم من وصية أبي رحاب أن سعيداً كان عازماً على قتل الإمام فارجعة أبا رحاب عن عرمي . وسمع حديث سعيد عن المعاشرة ولكن لم يتباهيا جيداً . فلما أوغلا في الصحراء فتح عبد الله حدثاً نظرقا منه إلى مقتل الإمام علي واستأنس سعيد بعبد الله وهو مخلص من قصرته ففتح له قابله وكشف له عن سره وارتاح لشورته . ولم يصلوا الكوفة حتى أصلح عبد الله عارفاً بكل مكتوبات فليوفشاركة في شعوره من قبيل عهده مع قطام ورحوعه عنه فثبتته على وصية جده وهوَن عليه اقتحام قطام إلى أن قال « فإذا لم تقنع أليس أهون من أن تعدل عنها والنساء كثيرات وإنما اختار الملك فتاة من أجمل الفتيات خلقاً وخلقها وارفعهن سسأ لأنفاس بها قطام » وكانوا يخادثانوها على ناقبتهما يطويان الصحراء طيأً

فقطع سعيد عليه الكلام قائلاً « لا لا نقل ذلك أليس في الناس أجمل من قطام عندي ولا صرلي على أغضابها ويظهر الملك لم تعان الحب ولا عرفت سلطانه » قال ذلك وتهدم . . . وصر هنيهة ثم قال « وهب مع ذلك أبى لا أحبها ولا أما عالق بها فإن في يدها حكماً مكتوباً أخاف إذا أغضبتها أن تشيب إلى علي أو . . . ولكنى واثق بصدق مودتها فهي لا ترید بي سوءاً بل تغيير رضاي » :

فقال عبد الله إذا كانت تحبك كما تقول فليس أهون من اقتحاعها في العدول عن قتل الإمام فيرون عليك البحث عن المتعهد بتذكرة وتردد عن غيره فإذا لم يرتدع قتلة أو نقلت خبره إلى الإمام ليرى رأيه فيه فارتاح سعيد لهذا الرأي

الفصل الثالث والعشرون

* الحاجة والسعادة *

وأقبل على الكوفة ذات يوم والشمس قد مالت إلى المغيب وكان سعيد قد قضى ذلك النهار وهو يستحبث ناقته لعله يدرك المدينة قبل الغروب ليتمكن من ما يرجى إلى بيت قطام إذ لا صر لها على فراقها وهو على مقرمة منها . فلما دعا الغروب وهو لم يدخل

الكوفة اقبرت نفسه وادرك عبد الله انباضه مما آنسه فيه من السكت الشام فأراد ان يصرف ذهنه عن ذلك فقال « لهُ وهل نحن بعيدون عن منزلك » قال « لا يليث ان يدخل المدينة حتى ندنو منه لاه في اطرافها » قال « اني أكاد لا اصدق بوصولي لاستريح من وعاء السفر والخلاص من ركوب الجمال فقد انعني جريها وخصوصاً في هذا النهار » قال « سعيد اني اراني في الصد من ذلك وتحذثني نفسى ان اصلى العشاء في المسجد قبل الميت »

فادرك عبد الله انه اما يريد زيارة قطاما ليطلعها على وصية جده ويرى ما يدور منها اذا علمت، ما عوّل عليه فرأى ان يشيك عن زيارتها ربما ينماشه في الامر ويجهشها الحيلة في مخاطبتها الا يشتلا لعله سلامته بية سعيد خاف عليه السيوط في ما يحشاه . فقال له « دعما نصل العشاء معًا في المنزل وصبح ان شاء الله فنصل في المسجد »

فلم يرا حمزة سعيد حيا وقال له حسناً رأيت . ولكن عوّل في باطن سره على الذهاب خلسة الى منزل العجوز امامية يتجسس الحال وما لتنا ان دخل الكوفة وقد امسى المساء فالنمسا منزل سعيد فترجلا واغتسلا وصليا ثم تناولا العشاء، ونضاحر سعيد بالعاشر فذهب كل الى فراشه وترقص سعيد ربها ظن رقيقة نام فالتفت بعدها توسل الى بيت اباهة وقضى طريقة يذكر بعارة يبدأ بها الكلام . فوصل المنزل فرأى اباهة خارجة منه وقد تخيرت ومست توكلًا على عكاذهما فنعت ارؤتها وحياتها فرددت الخيبة وهي لانصدق انها زراه . فلما تحققت انه سعيد رحمت وهي تالغ في الترحاب به وتصحّك ضحكتها المعهودة . واستأنس لم يهتم ما لبث ان تذكر ما جاء به من الامر الجديد حتى انكش قليلاً ولكنه تعمها حتى وقف بباب الغرفة فـأمرت عبدها ان يضيء المصباح وعادت الى غاطبيه فسألته عن ساعة وصوله . فقال « اي وصلت الساعة ومع شئ تعجب من السفر الطويل لم اصبر على مشاهدتك قبل المنام »

ففهمت قهقة دوى لها البيت وخيل له لفريط قلقوا ان عبد الله يسمعها . فقال لها بصوت خافت « وما الذي يحعدك يا حالة »

قالت «لقد أضحكني شوقك إلى رؤية هذا الوجه القبيح (وأشارت إلى وجهها) وانت انت انشق إلى رؤية وجه اجمل منه .. اليك كذلك .. »

فقطع كلامها وهو يبالغ في خصوصيتها وقال « لا والله اني الان في شوق إليك أكثر من شوقي إلى قطام لاني وقعت في مشكل لا ارى احداً ينجيني منه سواك فاسعفبني برأيك ودهائك . وارجو قبيل كل شيء ان تعتري قدومي إليك الآن سرّاً تكونيه عن كل انسان لأن معي رفيقاً صحبي من مكة فلما وصلنا المكوفة ورأى في ميلاد الى الخروج اقه دني الى الصباح فاسخيت وبقيت فلما استغرق في نومه جئت خذلة .. »

ولم يتم كلامه حتى جاء العبد بالصباح فدخل الغرفة وسعيد يقول « لعد عودتي يا خالة ان تكوني عوناً لي في مصائبني وانت التي بهارتكم ودهائكم اقنعت قطاماً بزواجه فالتمس منك الان ان تقنعني بها بما جئت به إليك »

فتعجبت العجوز لاهتمامه الشديد ولو كان قالها حياً لخنقها واضطرب ولكنها نعوذ بالله ولاقت الغرائب فلم يعد ينجيها أمر . فقالت « قل ما بدا لك اني مستودع اسرارك ولا آلو جهداً في خدمتك »

فتنهى سعيد وسكت وهي تتحقق فيه بعينها الغائرتين . وبعد هنيرة قال لها « لعد جئتكم نامرلا ادرى كيف ابدأ الحديث به »

قالت « قل لا تبال ولا تجزع فاني عركت الدهر ولقيت الاهوال حتى لم اعد استغرب امراً .. قل ما بدا لك »

الفصل الرابع والعشرون

* كشف الأمر *

قال سعيد انت تعلمين اني عاهدت قطاماً على قتل الامام علي

قالت نعم اعلم ذلك

قال وهل تعلمين لماذا خرجت الى مكة

قالت علمت انك شخصت اليها ولكنني لم اعلم سبب شخصتك

قال شخصت اليها اجاية اطلب جدي رحمة الله

قالت جدك اورحاب؟ ما الذي اصابه؟

قال انه مات بعد وصولي مكة يوم واحد وكان قد بعث اليه ايراني قبل المات
قالت «مات اورحاب! رحمة الله عليه». انه كان رفيقاً لك شفوقاً عليك ولما
اعام كيف ربيت في حجر وقد كان احن عليك من الوالد. ولا شك ان موته شق
عليك كثيراً. وكيف كنت تود ان هي حياً ليفرح بك ويشهد زواجه بعد ان يعلم بما
تعهدت به لنقدبني امية من العار»

قطع كلامها قائلاً «آه يا خالة لقد كنت اظن ذلك قبل ان فابلته ولكنني ما
لبت ان ندمت على ذهافي اليه لامة حمانى قبل موته حملأ لا ادرى كيف
انصرف به»

قالت وماذا عسى ان يكون ذلك

قال ان ما ظننته سبباً لارتياحه قد رأيته داعياً لغضبه

قالت هل اخرنة بعزمك على قبل علي

قال «نعم اخرنة ولكن اذكر علي قتلة واوصالي وهو على فراش امومت ان لا أحد
يبدى الى هذه الجريمة لأن معانقاً جاءه وإنها ببراءة الامام علي ما يفهمه به»
وكان سعيد يتكلم ولباقة شاخصة اليه وقد اسفت لخيبة مسعاه ولكنها لدهائه
ومكرها لم تبد حرائعاً ولا اظهرت استغراباً بل تشاغلت باصلاح خمارها تنتظار
آخر الحديث

ولما سعيد فكان يخاطبها وهو يتوقع بغيرتها او غضبها فلما رأها صامتة مصغية
تجرأ على اثمام الحديث فقال «ولما سمعت كلام جدي دافعته فرأيت منه اصراراً على
رأيه وقصّ على شيئاً كثيراً من الاكراه والشهادة المؤيدة لقوله»

قال سعيد ذلك وسكت وهو ينظر ما ثقلة العجوز فرأها لا تزال صامتة ولم
يبد على وجهها شيء من الاستغراب فعطف بمحبته الى المؤامرة التي شاهدها في الكعبة
ظناً منها انها توازن ما تقدم من الحديث الغريب. فلما سمعت قصة المؤامرة على
قتل الامام علي وعمرو ومعاوية رأت فيها تعزية ولكنها اظهرت الاستخفاف بها
نار على عاليه طرأت ان تتحقق ما عول هو عليه فقلت «وهل علم اورحاب
قبل موته بذلك المقام»

قال «نعم اني اطلعنة عليها قبل ارسال ننسو الاخير بعض الساعة فلم يزدني الا ثلاثة بوصية قالها وهو في آخر ساعات الدنيا ... آه من تلك الوصية »
قالت وما هي

قال «انه اوصاني ان لا اكتفي بالكاف عن قتل الامام علي بل يجب علي ان ادافع عنه . فلم ارَ بدّا من اجابة طايه وانت تعلمين مركري في مثل هذه الحال ... ولكنني لم اعاهد الا بعد ان تقطّر قابي الدمووع التي كانت تحدّر على لحيتي وقد شخصت عيناه وتلعمت لسانه وتلجاج صوته حتى خيل لي ان عظامه تتكلم ... »

الفصل الخامس والعشرون

* غاية الدهاء *

فلم تخفقت لبابة عدوه عن عهده خافت اذا اظهرت له الاسنیا . ان يبيع بأمرها وامر قطام الى علي وها في الكوفة فيتقىم علي منها فارادت ان تخادعه فتأخذ منه ولا تعطيه فقالت « ولماذا لم تعاونه فان كلام مثل هذا الشيخ الجليل يعتبر خارجاً من افواه الملائكة »

فلم يمع بسواءها اشرح صدره فابتسم وقال بكل بساطة « كيف لم اعاهد وهل استطيع غير ذلك . ولكنني اعترف لك اني عاهدته وخاطري منشغل بقطام وعهدها لعلي ان ذلك العهد يحرمني منها ... » ثم عطف فقال « ولكنني لما تذكرت حبك لي وغبنك علي هان الامر لدي وقلت ان ما يعسر على مثلي فهو على خالي لبابة ... بالله ... ألا ساعدتني على افداع قطام بالعدول عن عزمها على قتل الامام علي انه والله بربي ما اتهموه به ... بالله ساعدتني واشفقني علي فقد وقعت في حيرة بل هي مصيبة لا ينتهي منها سوالك ... » قال ذلك وجشا امامها وهم يدها وقبلها وقد كادت العبرات تخفيه

فتضاهرت تلك العجوز المخالفة بالمحنة وتبسمت وهي تخذب يدها من بين يديها لئنه من نقبيها واجلسه في مكانه وقالت « طلب نفساً يا سي اني فاعلة ما تزيد وارجو ان يساعدني الله على اقناعها ... »

فَلَمَا سَعَ سَعِيدُ قَوْلَهَا لِي بِنَالِكَ عَنِ الْابْتِسَامِ وَالْدُّمْعِ مُلْعِنًا بِعِنْدِهِ اعْجَابًا بِحُنُوهَا وَفَرْحًا
بِنَيلِ بَعْيَتِهِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُهَا وَلَا بِالْمَمْأَمِ وَفَرْحَ بَعْيَتِهِ فِي نَالِكَ الْلَّيْلَةِ وَمُقَابِلَةِ لِيَابَاتِهِ قَبْلَ
مُقَابِلَتِهِ قَطَامِ

اَمَا لِيَابَاتِهِ فَنَظَرَتِ الْيَوْمَ وَهِيَ تَحْكُمُ مَا وَرَاءَ اذْنَاهَا كَانَهَا تَفَكَّرُ فِي مَا
تَخْلَقَتِهِ مِنِ الْاسْبَابِ لِاقْتَاعِ قَطَامِ وَهِيَ بِالْحَقِيقَةِ تَدْبِرُ حِيلَةً لِتَدَاعِيْ سَعِيدَ ثُمَّ قَالَتْ « طَبْ
نَفْسًا وَلَا تَبَالِ فَإِنِي أَوْكِدُ إِنَّكَ الْفَوْزَ إِذَا أَطْعَنَتِي » فَاقْتَدَرَهَا فَاقْتَلَهَا « أَنِي مَطْوَعٌ
أَرَادْتُكَ فِي كُلِّ مَا نَامَ بَنِي وَهَذَا مَالِي وَكُلِّ مَا أَمْلَكَهُ بَنِي يَدِيلُكَ بِاللهِ أَشْفَقِي عَلَيْهِ »
وَكَانَ سَعِيدٌ يَتَكَلَّمُ وَلِيَابَاتِهِ مَطْرَقَةً . فَسَكَتَ هُوَ وَظَلَّتْ هِيَ مَطْرَقَةً ثُمَّ اسْتَأْنَتْ
الْحَدِيثَ بِعَنْصَرَتْهُ فَقَالَتْ « سَجَانُ اللهِ . . . لَقَدْ مَرَّ عَلَيْهِ أَيَامٌ وَلَا مُسْتَغْرِبَةً مَا يَدْوِلِي مِنْ
قَطَامٍ عَلَى غَيْرِ الْمُعْتَادِ وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْكَلَامَ الَّذِي فَاهُ بِوْجُوكَ فِي مَكَّةَ اَثْرَ فِي قَطَامِ
هَنَا أَوْ لَا اَدْرِي مَا هُوَ هَذَا التَّائِرُ »

فَانْدَهَشَ سَعِيدٌ بِمَا سَمِعَهُ وَقَالَ مَاذَا تَعْيَنَ

قَالَتْ « اَعْنِي اَنِي آتَيْتُ فِي قَطَامٍ تَغْيِيرًا غَرِيبًا بَعْدَ ذَهَابِكَ فَانَّهَا لَمْ تَعُدْ تَذَكَّرُ
الْاِنْتِقامَ قَطْ وَقَضَتْ اِيَامًا عَدِيدَةَ كَانَهَا فِي حِيرَةٍ أَوْ كَأَنَّ اَمْرًا طَرَأَ عَلَيْهَا لَا تَنْكِلُمُ إِلَيْهِ
قَلِيلًا فَعُسِيَ أَنْ يَكُونَ مَا غَيَّرَكَ قَدْ غَيَّرَهَا . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ كُنَّ فِي رَاحَةٍ وَسَكِينَةٍ وَإِنَّا اَدْرَسْ
الْاَمْرَ فَلَا تَذَكَّرْ اَنْكَ جَئْتَ إِلَيْهِ وَلَا اَنْكَ رَأَيْتَنِي قَبْلَ رَؤْيَتِهَا »

قَالَ « بَارَكَ اللهُ فِيْكَ . وَإِنَّهُ اَنْ قَضَيْتَ لِي هَذِهِ الْمَهْمَةَ لَأَدْرِي كَيْفَ أَكَافِئُكَ
وَلَكَنِي انْقَدَمْتُ إِلَيْكَ اَنْ لَا تَذَكَّرِي زِيَارَتِي هَذِهِ اَمَامًا اَحَدًا وَخَصْوَصًا رَفِيقِي عَبْدَ اللهِ »
قَالَتْ « سَمِعَهُ وَطَاعَةً فَعَلَيْكَ اَذْدِ اَنْ تَأْتِي غَدًا لِزِيَارَتِهَا فِي مَنْزَلِهِ اَكُونُ اَنَاهَاكَ
وَلَا تَزَدْ عَلَى السَّلَامِ وَالْكَلَامِ . وَاحْذَرْ اَنْ تَذَكَّرْ شَيْئًا يَنْعَلِقُ بِهِذَا الْاَمْرِ لَا اَذْهَاهِ خَاطِبَكَ
بِهِ وَسَرِي مَاذَا بَنِمْ . . . وَهُلْ تَنْوِي اَسْطِحَابَ رَفِيقَكَ غَدًا »

قَالَ « اَنْهُ سَيَكُونُ مَعِي وَلَا يَسْرُ منْ الْخَوْضِ فِي الْمَوْضِعِ بَيْنَ يَدِ بَلَانِهِ بِمَنْزَاهَةِ اَخِيِّهِ »

قَالَتْ « حَسَنًا فَلَيَكِنْ كَمَا تَرِيدُ وَفَقَدْنَا اللهُ لَمَّا فَيْوَ خَيْرَكَ وَرَاحَنَكَ »

فَازْدَادَ سَعِيدٌ اَعْجَابًا بِغَيْرِهَا وَحَنُوهَا فَقَالَ لَهَا « اَسْعَى لِي اَنْ اَقْبِلَ يَدِكَ فَانِي لَمَّا
فَقَدَتْ جَدِّي الَّذِي كَانَ بِمَنْزَلَةِ وَالَّذِي حَسِبَتْ نَفْسِي صَرَتْ بِيْهَا وَلَكَنِي تَخْفَقْتُ الْآنَ
مِنْ حَنُوكَ اَنِي مَا فَرَّلْتُ مَرْمُوقًا بَعْدِ الْعَنْاَيَةِ . هَا اَنِي قَدْ اَفْيَتُ الْحَمِيلَ عَلَى عَانِقِكَ

فدبّري الامر كما يلوح لك» . قال ذلك وقبل يدها مراراً ونهض وفهمت اوداعه وهي تقول له «نم مررتا حداً وموعدنا اللقاء غداً في بيت قطام» خرج سعيد من عندها وقلبه يطافع سروراً لجهاته من شرّ عظيم . وما دري ما نونة تلك الهرمانة من اساليب الخداع . فلما توارى عنها عادت الى غرفتها وعملت فكرتها الخبيثة في حيلة تسطلي عليه بحيث يصدق عدول قطام عن عزمها . ولو لا خوفها من ان يشي هوبها او بقطام الى علي اذا انكربت عليه وصبية جن لجاءرت بقاومته ولكنها رأت من العطنة والدهاء ان تختاره على رأيه وتحمل قطاماً على مشاركتها في ذلك ثم تخالان فيبقاء المؤامرة مكتومة حتى ينفذ المؤامرون عهدهم فيقتل علي . وما درت لباباً ان قطاماً اشد دهاء منها واعظم حيلة وانها ستزيد على ذلك وسيلة اخرى لفتاك سعيد على اهون سبيل

ولم تعد لبابا تستطيع رقاداً قبل مكافحة قطام بالامر لتدبر الحيلة قبل مجبي . سعيد فهمست لساعتها وسارت الى قطام

الفصل السادس والعشرون

لقاء قطام

اما سعيد فانه خرج بالفرح ملؤه فرادة حتى اتى منزله فرأى رفيقة لا يزال نائماً لفترط تعبه فسرر لذالك سروراً عظيمها ومضى الى فراشه ولكنه لم يستطع رقاداً لشدة نائشه فاضى ساعات ينقلب على الفراش وقد طال ليته وهو يفكر في ساعة اللقاء غداً ولا يصدق ان يلقى قطاماً على مثل رأيه . فلما نصور عدوها عن قتل علي كاد يطير من الفرح بما سببته من الافتتان بها ثم بعترضه كلام جن وما كلمه به من السعي في الدفع عن علي وردع الساعي في قتله فيخليق قلبـة في صدره لهول ذلك الامر . ولكنه لم يكن شيئاً لديه بالنظر الى ما يتوقفه من السعادة بالحصول على قطام ولم تغوص اجناسه الى الصباح ولم يكدر ينام حتى افق مذعوراً وقد رأى شمام الشمس يستطع على جدار غرفته فاسف لا يطأته في الفراش والوقت ثمين فهمس لساعته وخرج يائس عبد الله فاذا هو قد ابس ثيابه ووقف يصلي فصلٍ معه وهو لا يفقه ما يقول

فَلَمَّا فَرَغَ مِنِ الصَّلَاةِ قَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ لَقَدْ ابْطَأْتُ فِي رِفَادِكَ بِإِخْرَاجِكَ
قَالَ إِنَّا ابْطَأْنَا هُولَ مَا لَقِينَا مِنَ التَّعْبِ فِي الْطَّرِيقِ
فَصَدَقَةُ عَبْدِ اللَّهِ وَجَلَسَا عَلَى الطَّعَامِ وَسَعِيدٌ غَارِقٌ فِي بَحَارِ الْهَوَاجِسِ وَقَدْ أَدْرَكَ
عَبْدَ اللَّهِ ذَلِكَ فِيهِ وَلَكِنَّهُ حَسْبُهُ مِنْ قَبْلِ الشَّوْقِ إِلَى قَطَامٍ فَقَالَ لَهُ لَا تَنْوِي الْذَّهَابَ
إِلَى قَطَامٍ
فَقَالَ يَلِي أَرِيْ أَنْ نَسِيرَ إِلَيْهَا أَعْلَمُ اللَّهُ يَا خَذْ بِيْدَنَا وَنَرِيْ مِنْهَا أَنْصِيَاعًا لِلْحَقِّ فَتَعْدِلُ
عَنْ عَهْدِهَا
فَأَرَادَ عَبْدُ اللَّهِ أَنْ يَخْتَرْ شَانَةً فَقَالَ «وَهُبْ إِنَّهَا لَمْ تَنْقِلْ بِذَلِكَ فَإِذَا تَفْعَلُ . هَلْ
تَبْقَى عَلَى عَزْمِكَ أَمْ تَرْجِعُ عَنْ وَصِيَّةِ جَدِّكَ»
فَقَالَ سَعِيدٌ «إِنَّا نَبْذَلُ جَهْدَنَا فِي افْنَاعِهَا فَإِذَا لَمْ تَفْتَنِعْ ظَلَّنَا عَلَى عَزْمِنَا فَإِنْ
وَصِيَّةُ جَدِّيْ مُفْدِسَةٌ»

فَسَرَّ عَبْدُ اللَّهِ لِشَبَانَهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ أَنْ سَعِيدًا لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ مَا أَمْلَأَهُ بِلِبَابَةِ
مِنْ أَفْنَاعِ قَطَامٍ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَتَرَدَّدَ فِي الْجَوَابِ كَثِيرًا وَرَبِّهَا فَضْلُ الْبَقَاءِ عَلَى عَهْدِ قَطَامٍ
عَلَى احْتِرَامِ وَصِيَّةِ جَدِّهِ لَأَنْ غَرَامَةَ تَلْكَ الْفَتَاهَةِ غَلَبَ عَلَى كُلِّ جَوَارِحِهِ
فَلَمَّا آتَى عَبْدَ اللَّهِ ذَلِكَ الشَّهَاتِ فِيهِ اسْتِعْجَلَةً فِي الْذَّهَابِ إِلَى قَطَامٍ عَنْفَافَةً أَنْ يَطْرَأَ
عَلَيْهِ مَا يَضْعِفُ عَزِيزَتِهِ . وَكَانَ عَبْدَ اللَّهِ قَدْ عَوَّلَ فِي بَاطِنِ سَرِّهِ إِذَا آتَى فِيهِ تَرَدَّدًا
أَنْ يَشْتَهِيَّ عَنِ الْذَّهَابِ إِلَيْهَا . فَلَمَّا فَرَعَا مِنِ الطَّعَامِ نَهَضَ وَمَشَيْاً يَلْتَهِسَانَ بِيَتِ قَطَامٍ
وَلَا حَاجَةَ بِنَا إِلَى بَيْانِ مَا جَالَ فِي خَاطِرِ سَعِيدٍ مَا سِيقَاسِيَّ سَاعَةِ الْلَّقَاءِ مِنْ
الاضْطَرَابِ وَلَكِنَّهُ سَارَ مُطْمِئِنَ الْخَاطِرِ لِمَا الْفَتَاهَةُ إِلَيْهِ لِبَابَةِ مِنَ الْمُؤَعِّدِ

وَوَصَلَ الْمَنْزِلَ فَاطْلَأَ عَلَى الْمَحْدِيَّةِ فَاخْتَلَجَ قَلْبُ سَعِيدٍ فِي صَدْرِهِ لِنَذْكُرَنَ الْلَّيْلَةِ
الَّتِي لَفِيْهَا قَطَامًا هَنَاكَ وَمَا وَقَعَ لَهُ مَعْهَا مِنْ تِبَادُلِ عَبَاراتِ الْفَرَامِ . فَدَخَلَ الْمَحْدِيَّةَ
وَفِيهَا يَسِيرَانِ بَيْنَ الْخَيْلِ رَأَيَا لِبَابَةَ وَاقْفَةَ نَالِبَابِ وَهِيَ تَبَسَّمْ . فَلَمَّا رَأَاهَا سَعِيدٌ أَسْتَبَشَ
وَتَشَدَّدَ فَمْشِيَ وَرَفِيقَتِهِ يَسِيرُ فِيْهَا حَتَّى دَنَوْا مِنْهَا فَعَيَا هَا سَعِيدٌ كَأَنَّهُ لَمْ يَرَهَا بَعْدَ
رَجْوَعِهِ . فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَقَدِمَ لَهَا رَفِيقُهَا فَعَرَفَهَا بِهِ فَرَحِبَتْ بِهِمَا وَدَخَلَا حَتَّى اقْبَلا عَلَى غَرْفَةِ
قَطَامٍ فَإِذَا هِيَ وَاقِفَةُ إِلَى نَافِذَةِ نَحْلَلٍ عَلَى الْجَيْرِ وَقَدْ لَبِسَتْ جَلَابِيَّاً أَسْوَدَ فَوْقَهُ خَمَارٌ
أَسْوَدٌ فَلَمَّا اقْبَلَا ارْخَتْ خَمَارَهَا وَنَحْوَلَتْ خَوْهَا فَعَيَا هَا سَعِيدٌ وَذَكَرَ اسْمَ رَفِيقِهِ هَا وَهُوَ

يقول «لقد اتيت وعي صدقي واخي عبدالله فانه انيسي ومساعدتي» فرحب بهما ودعنهما للجلوس فجلسا وجلست هي وكلهم سكوت وبعد السكت ببرهة تكلمت العجوز فائلة «لقد اوحشتنا ياسعيد بغيابك طول هذه المدة وقد اخبرنا ريجان انك اتيت يوم سفرك الى هذا المنزل فلم تر قطاماً فشغلت بالانا لسرعة ذهابك فعسى ان يكون خيراً

فتهجد سعيد وقال كلام لم يكن خيراً يا خالة لاني ذهبت الى جدي ابي رحاب في مكة اجابةً لدعوه على يد اخي عبد الله

فاظهرت لبابة البغثة وقالت وماذا عسى ان يكون سبب استدعاءك قال انه دعاني لاراه قبل موته بعد ان هرم وغلب عليه الضعف والمرض ولما تحقق دنو اجله اراد ان يرايني قبل الممات فسرت ولم ألبث معه الا ليلة ثم قضى نحبه رحمة الله

فظاهرت قطام باستغراب الخبر كأنها لم تسمعه قبلاً وقالت «هل مات جدك؟ .. رحمة الله عليه وعلمه الله وانفاك» . ثم تهدت كأنها نذكرت فقيدتها وقالت ان موت الاهل شديد الوطأة يا سعيد وخصوصاً اذا كان الميت لم يهرم مثل ابي رحاب وكان عبدالله براقب حركات قطام وكانت قد سمعت جيالها فلم يلم سعيداً على افتناؤه بها ولكنها خاف ان تبني على عهدها فتخرج من نصيبي سعيد فود الاستطراف الى الموضوع ليورى ما جدو منها ثم ذكر ان وجوده هناك لاول من قد يكون باعنة على تحذيب البحث في ذلك الموضوع فظاهر بغرض بمحاج اليه خارجاً ونهض وخرج وخرجت لبابة في اثنين اثنتين لحملها

الفصل السابع والعشرون

* * * منتهي الدهاء *

ف لما خلت قطام بسعيد قالت له « ومن هو هذا الشاب هل انت واشق به» قال بنعنة الحب المعنون « انه رفيق صباعي وموضع اسراري ولا اخشى باساً من

اطلاعه على كل شيء

قالت وهل اطلعته على عهدهما

قال نعم يا حبيبي وهل ترين ما يمنع ذلك

قالت كلاما لا ارى مانعا ولكنني اود انك لم تطلعه عليه لخاطر خطر لي بعد

ذهابك الى مكة

فاستبشر سعيد بهذا الاستهلال فقال «لا ارى بأسا في ذلك لاني اعرف ضمه
ولي فيه شقة تامة . وما الذي خطر لك»

قالت «ساقصة عليك وارجو ان نطاوعني عليه ولا نطالبني بما سبق بيننا من العهود»

قال قولي ما تريدين . وما تريديه انا هو العهد الذي نتعاهد عليه . فاني

رهين اشارتك

قالت اذكر انك جئت علينا يوم سفرك ولم تجدني في البيت ؟

قال كيف لا اذكر ذلك وقد كان له تأثير شديد على

قالت اندري ابن كنث يومئذ

قال كلاما

قالت خرجت الى اهلي لزيارة . ولم يكن غرضي مجرد الزيارة ولكنني بعد ان

عاهدتك على قتل امير المؤمنين شعرت بقلق واضطراب ولم اذق رفادا تلك الليلة .

فلما أصبحت قلت في نفسي لعل سبب هذا القلق ذنب ارتكبته بها سعيت فيه على الامام

وهو لا يتحقق . فلما رأي ان امضى الى اهلي واجت عن حقيقة الواقع فرأيت بعد

البحث ان الذنب في قتل والدي واخي لم يكن ذنبي هو وتحققت امة بردي ² وانه نصح لها

مرارا قبل الواقعه ان يرجعوا فايها ولما احتمم النزال وعلم انها تحت خطر القتل

او صى ان لا يصيدهما احد بسوه . ولكن بعض الاغرار قتلها بغیر علمه ولما علم هو بذلك

غضب على القاتل وانقم منه . فشعرت في تلك الساعة بارتکابي امراً اعظيماً بما نويته

وعوّلت على نحو ذلك عما تعافينا عليه . فقضيت منه غيابك وانا في حيرة لا ادرى

كيف ابدأ باقفالك . وحنظت ذلك في سري حتى عن خالي لباقة

ولم يتألمك سعيد عند سماعه ذلك عن الوقوف بفتحة بغیر ارادته وقبل ان يجيئها

على خطابها نادى عبد الله ولباقة فجاءا فالتفت سعيد الى عبد الله وقال له تعال اسمع

يا أخي ما دبره الله لنا من اسباب السعادة . فاننا لم نتكلف في افماع قطام الى مشقة .
بل هي ترید اقينا بالعدول عن العهد الذي اخرتك عنه
فاظهرت قطام الاستغراق وقالت وكيف ذلك يا سعيد وما الذي جئتنا به
عساه خيراً

فتعرضت لبابة الكلام فقالت يظهر انك جئتها بهيل ما جاءتك هي به
قال «نعم يا خاله وأحمد الله على ذلك فاني جئت من مكة وقد افنت ببراءة
الامام علي ونقيدت بعهد عاهدت بوجدي ان لا اقتل علياً وكنت خائفاً ان لا
توفيقني قطام عليه وهي اذا لم تفعل ذلك كنت من اشفي الناس . فالحمد لله على ما
جرى » وجلس يقص عليهم حديث جد ووصيته فظهرت اواحة البشر والسرور على
الجميع . ثم استطرد الى حديث المؤامرة فلما ذكر ان احد المؤامرين تعهد بقتل الامام
علي ظاهرت قطام بالغضب وقالت الم تعرف من هو الرجل
قال لم اعرفه ولكنني علمت من سياق الحديث انه من فسطاط مصر
قالت اما وقد علمت بعزم هذا الرجل فاصبح السكوت عنه مشاركة له في
القتل فلا بد من ردعه او قتيلو

فانتقم سعيد بذلك الاتفاق الغريب وقال « وقد فاني ان اخبرك بان من جملة
وصية جدك ان اسعى في ذلك جهدي »

فقالت « وهذا ما اراه انا ا Bias ان السكوت عنه اصبح جريمة ولكنني ارى ان
يبي امر هن المؤامرة مكتوماً بيننا فلا نطلع عليه احداً ثالثاً يسبقاً احد الى اكتساب
الغدر في رده او ان المؤامر اذا علم باشهار امن ونحن لم نعرفه بعد يجعل بالقتل
فيذهب علينا عيناً . الا ترى ذلك يا عبدالله؟ »

فاندهش عبدالله من ذلك الاتفاق الغريب ولو علم زيارته سعيد المبايعة
لاكتشف له سر الحيلة ولكنه اخذ الامر على ظواهره فقال « لقد رأيت الرأي الصواب
وها اني مستعد للسمعي في ردمع ذنك الرجل مع أخي سعيد »

قالت وما الذي تنوين فعمله
قال سعيد ارى ان نذهب الى الفسطاط ونبعث عن الرجل لنعلم من هو والا
فاذَا عرفناه هان علينا ردعة »

فقالت قطام وما العائنة من ذهاكا واما لا تعرفان الرجل ولا تعلمون شيئاً من امن وكيف ينأى لكانا معرفة اسمه . هل ذهبنا الى الفسطاط قبل الان وهل تعرفان احداً هناك ؟ »

قال عبدالله انني اعرف الفسطاط ولكنني لم اقم فيها طويلاً ولا اعرف احداً من اهلها ولكننا نجح جهودنا

الفصل الثامن والعشرون

* الاجتماعات السرية في عين شمس *

فتقدمت لبابه وهي تنظر الاهتمام وكانت قد فتح عاليها رأي سديد فقالت « اجلسوا لاهديكم الى طريق بئون عليكم كل صعب » فجلسوا جميعاً وكانوا لا يزالون واقفين

فقالت لا نسخر واشربي لأنني عجوز فاني اعرف من الاسرار ما لا يعلمه الا الله . اعلموا ان في مصر من مرادي الامام علي احزاماً جمة اذعنوا لعمرو ون العاص بالرغم عنهم وهم صارون على ما اصابهم من مقتل ابن ابي بكر وهم جماعة كبيرة لا يزالون ينونون الانتفاض اذا سمعت الفرصة . هل تعلمون ذلك ؟

قال عبدالله وهذا ما تفاخرينا بهم نعرفه ولا يجهله احد من المسلمين فاني عالم وبماكثر منه

قالت وما الذي تعلم فوق ذلك

فابتسم عبد الله ابتسام الاستخفاف وقال « اني اعلم اموراً كثيرة تلقتها من جدنا ابي رحاب رحمة الله وقد اوصاني ان لا اطلع عليها احداً غير اخي سعيد لانها تنفعه في جهاده بالدفاع عن امير المؤمنين »

فتوسمت لبابة من وراء ذلك سراً لانها لم تقل ما قالته الا وهي ترجو الاطلاع عليه فهزت كتفها وتنفست الى قطام التفاتة فنهضت قطام مرادها فاقتدرت عبد الله قائلة بغمضة الدلال « اذا كنت تلقيت ذلك سراً فاحفظه ولا تبعه لاحد من

الخوارج نظيرنا . . . »

فخجل عبد الله من توبيخها اللطيف ونظر الى سعيد فرأه شاخصاً اليه كأنه يتوقع نصرحة بذلك السر بين يدي قطام لثلا نسي، الفتن بها فقال عبد الله وفي كلامه اهجة الاعذار « حاشا يا مولاتي . اني لا اعني كفان السر عنك بعد ان رأينا منك الموافقة على الدفاع عن امير المؤمنين بل بعد ان كت انت الداعية الى الدفاع عنه . ولكنني قلت ما قلته ببساطة ولكي تتأكيدي صدق نبتي اذني لي ان ابسط ذلك السر بين يديك ويدى خالتى لبابه » قال ذلك والتفت بيته ويسقط كأنه يحذى ان يسمعه رقيب او عدو فاصفع الجميع ل ساع كلامه فقال « علمت من جدي رحمة الله ان في النساطة كما قالت خالتى جمهوراً كبيراً لا يزالون على دعوة الامام علي وهم مخدعون قلباً وقالباً في القيام بنصرته ولم اجتماعات سرية يجتمعون فيها للتفاوضة في الوسائل المؤدية الى ذلك » ولما بلغ الى هذا الحد تلعم لسانه كأن شيئاً اوقفه عن اثنام الحديث وارتبت في كلامه فسكت

وظهرت البغتة عليه وقد ندم على ما فرط منه وعوّل على الاقتصار على ما قاله فادركت لبابه المحتالة سبب توقفه فابدرته قائلة وهي تصفعك « انعم به من سر عميق لم يطلع عليه احد اني لا اراك زدت على قولي حرفاً واحداً . فقد قمت ان دعاه على باقون على دعوته فلم تزد على ذلك الا انهم يجتمعون سراً . وهذا امر مفهوم القرينة فكانك ندمت على ثقتك فيما فدأت بالحديث ثم قطعته ولا ألومك على ذلك فاملك لا نعرفنا قبل هذه الساعة »

فقطعت قطام حدتها قائلة « تقولين انك لا تأمينه واراك عاتبة عليه دعيه لثلاً يظننا راغبين في استطلاع سره لفرض لنا ونحن ائم بريده عبد الله فلا حاجة لنا في سره ولكننا نوصيه ان يقوم بوزارة سعيد في ما اوصاه به جده وهذا يكفيها » ثم وجهت كلامها الى سعيد قائلة « لقد سررتني من رفيقك محافظته على السر حتى عن هذه الحقين التي بعد ان كانت اول الناقمين على علي اصبحت من اكبر المدافعين عنه وهب انه اراد افساء ذلك السر فما نحن سامعون ما يقول اذ ربما وسوس لنا الشيطان فجئنا به الى الاعداء »

فوقع كلام قطام في قلب سعيد موقع السهام وغلب عليه الحباء والتفت الى عبد

الله وقال « لاطاقة لي باحتمال هذا التأنيب يا عبد الله قل ما تعلم من سمعته قطاماً لم تسمعه وما اما خارج من هذا المكان قبل ان اسمع بقية الحديث » فنقدم عبد الله على ما فرط منه واصبح لا يدرى كيف يخلص من حياته وارتباكه ولما رأى الحاج سعيد هان عليه التصرّح بما لديه وهو لا يرى في ذلك لوماً عليه فقال « اراك نتهونني بذنب انا برأته منه فاني لم اتوقف عن اتام الحديث ضئلاً به على قطاماً بعد ان تحققت اخلاصها في الدفاع عن علي ولكنني صبرت ربما استجمع كلام جدي بحرفي فاذا اذنت قطاماً تلونه عليكم حالاً »

قال سعيد قل انها تزيد واذا سرت اذنها عن ساعتها فاما اسمعه

قال عبد الله « اخبرني ابو رحاب رحمة الله ان دعاء الامام علي يجتمعون سراً في معبد قديم خارج الفسطاط في مكان يعرف بعين شمس ينفاذون فيه سراً في يوم الجمعة من كل اسبوع »

فسرّت قطاماً ولباقة بالاطلاع على ذلك السرّ ولكن لباقة لدهائهما ومكرها ظهرت بالاستخفاف والانكار وقالت « أهذا هو سرّك العظيم انه باطل لا يقبله العقل »

فاغناض عبد الله لآنكارها وقال وما الدليل على اطلاقه يا خالة قالت « نقول ان دعاء علي يجتمعون هناك كل جمعة ونحن نعلم انهم يعدون بالالوف فكيف يسمعون ذلك المعبد . وهب انه وسعهم فكيف يجتمع الالوف منهم كل اسبوع ولا يدرى بهم عمرو من العاص وعبوة مبشرة في اطراف الفسطاط أليس ذلك باطلاً »

فسرّ عبد الله لاستخفافها كلامه اذا لا يكون لافشائه تأثير ورد الوقوف عند هذا الحد فلم يرض سعيد بذلك بل أخذ على نفسه تفسير مقاله وهو يحمد الله اتي امراً جديداً فقال « ان عبد الله لا يعني مجتمع دعاء علي انهم يجتمعون جميعاً كباراً وصغاراً ولكن يزيد ان رسول العشار وكبارهم هم الذين يجتمعون فقط » فغضبت لباقة واظهرت بالرد عليه فقطعت قطاماً كلامها قائلة « يظهر يا خالة انك انت تريدين المرح فقد كنت عبد الله الا فشاء بالسر ثم جعلت تحادلني ونحن كما قلنا لا يهمنا من الامر الا الوصول الى الغاية المقصودة وهذا يكفي »

الفصل التاسع والعشرون

﴿ عهد جديد ﴾

ثم وجهت قطام كلامها الى سعيد قائلة دع لاما وتحري بها واسع في ما است ساع
فيه فسر الى دعاء على حيث هم مجتمعون وهم يعيونك على البحث والتصيب . ولا
اوصيك الا وصية واحدة ذكرها لك في بدء الحديث وهي ان تتفى هذا الامر مكتوماً
بسا عن كل انسان حتى يعرف من هو ذلك الحاش الذي يريد قتل الامام علي فادا
عرفناه اما ان بردء عن غيره او ان روى رأيا فيه على ما تتفى الحال . اما اذا
اتعنينا خبر الاَن فانه يبالغ في التستر ورما اسرع في انداد سهمه ويقتل امير
المؤمنين غيلة ويدهب سعيا عشا . اما الاَن فخس على تيقين انه لا يتم على ذلك الا
في ١٧ رمضان ونحن لا نزال بعيدين عنه . وزد على ذلك انك اذا حضرت هذا الامر
مكتوماً وتفردت في البحث عنه كان الجزاء لك وحدك ولا اشك انه يكون عظيماً .
ولا ارى فائدة من اطالة البحث . ولكن تتحقق شدة رغبتي في الاسراع ادل عهدي ابداً
يسرك فعوضاً من ان يكون انتراساً موقوفاً على قتل الامام علي فقد جعلته وقفاً على
القاذف من القتل فاداً كت تحسي (وهذا ما لا اشك فيه) نادر الى العل
وهذان عدد الله ولما شاهدان على ما اقول

وكان سعيد بعد ان تغير وجه المسألة برجوا ان يترى قطام قبل ذهابه في هذه
المهمة . فلما سمع كلامها بخجل من مراجعتها لبلأ يقال انها اشد رغبة منه في الدفاع
عن علي فارسلت الحيلة عليه ولم بسعه الا اجابتها فقال « وهذا ما عولت عاليه انا ايضا
لكي بنم عقد النكاح على يد الامام نفسه بحول الله »

وكان عدد الله في اشاء ذلك صامتاً يسمع الحديث وقد خامره شك في كلام
قطام وندم لسرعه في فشاء السر فظل صامتاً لثلاً يقع في ما يزيد مدمة وشعر لساعه
بها اونتها تلك الفتاه من الدها . ولم يَخِرَا من اظهار ثقته بها وصدق لجهتها فأخذ
يصرى بغيرتها ويشي على صدق مودتها فقال لها « اني اعد اخي سعيداً من اسعد خلق
الله لتوقف الى هذا التصييب فاطلب اليه تعالى ان يوفقنا الى ما نحن ساعون فيه »

تم قال « وقد اصبتِ سوجوب كـنـان ذلك عن كل انسان بارك الله فيك » والثالثة الى لماية فقال « وانت يا خالة سرجوان تواصلينا نادعينك الصالحة ورأيتك الصائمة » فقالت لـماة واما الرأي عدي ما السراع في الامر فعليكما بالسفر حالاً الى مصر واطلبُ الى الله ان يوفقكما ويسهل طريقكما واذا أتيـها السـلطـاط اطلـما عـين شـمس في يوم الجمعة ولا تعدـمان من انصـار امير المؤمنـينـ من يرشـدـكـما الى المـاشـي وقصـوا بـرهـةـ في اـحادـيـثـ اـخـرىـ ثمـ انـصـرـفـ عـدـ اللهـ وـسـعـيدـ وـفيـ نـسـ عـبدـ اللهـ شـكـوكـ لمـ يـجـسـرـ عـلـىـ مـكـاشـنةـ سـعـيدـ بـهـاـ لـمـ آـنـسـ مـنـ اـخـلاـصـ لـقـطـامـ وـارـتـيـاحـ الـموـاعـيدـهاـ ولـكـنـةـ عـوـلـ عـلـىـ اـغـتـنـامـ فـرـصـةـ يـسـتـطـيعـ بـهـاـ النـسـاطـ عـلـىـ اـفـكـارـهـ

الفصل الثلاثون

* الغدر الفظيع *

اما قطـامـ سـعـيدـ خـرـجـ سـعـيدـ وـعـدـ اللهـ مـنـ مـنـزـلـهـ خـلـتـ لـماـيـةـ فـقـالتـ لهاـ لـماـيـةـ « لـقـدـ ثـبـتـ لـنـاـ الـمـعـدـاتـ وـأـنـ الـإـنـقـاصـ عـلـىـ غـيـرـ يـدـ هـذـاـ الـجـمـانـ .ـ اـنـ عـلـيـاـ سـيـقـتـلـ لـاـعـمـالـةـ وـلـقـدـ أـحـسـنـ اـطـيـبـهـ وـمـسـاـبـرـتـهـ .ـ وـاحـسـنـ مـاـ رـأـيـتـهـ مـنـ دـهـائـكـ تـصـبـرـ عـلـىـ الـكـنـانـ لـآـنـ لـوـ اـطـلـعـ عـلـيـاـ عـلـىـ خـرـ المـوـأـمـةـ فـشـلـ المـوـأـمـوـنـ وـنـحـاـ عـلـيـهـ مـنـ الـمـوـتـ » فـقـطـعـتـ قـطـامـ كـلـامـهاـ قـائـمـةـ «ـ وـلـكـنـ ذـلـكـ وـحـدـهـ لـاـ يـضـمـنـ لـنـاـ الـبـوزـ يـاـ خـالـةـ وـلـاـ لـمـ تـمـسـ مـنـهـ الـكـنـانـ هـذـاـ الـغـرـضـ فـقـطـ وـلـكـنـيـ اـرـدـتـ اـنـ يـبـقـيـ خـرـ المـوـأـمـةـ مـنـ مـكـنـومـاـ عـنـ كـلـ اـسـانـ حـتـىـ عـنـ هـذـيـنـ الـمـوـبـيـنـ » فـقـالتـ وـكـيـفـ ذـلـكـ اـنـ لـمـ اـفـهـمـ مـرـادـكـ

قـالـتـ «ـ اـنـكـوـيـنـ لـماـيـةـ الـبـعـوزـ الـتـهـرـمـاـتـ وـيـخـفـيـ مـغـزـيـ كـلـامـيـ عـلـيـكـ ..ـ مـاـ الـعـائـدـ اـذـاـ مـنـ الـجـبـتـ عـنـ مـجـتـبـيـ اـصـارـ عـلـيـ ..ـ »

قـالـتـ اـيـ لـاـ اـزـالـ اـجـهـلـ مـاـ تـرـيـدـيـنـ قـولـيـ مـاـ مـرـادـكـ

قـالـتـ «ـ مـرـادـيـ اـنـ اـبـعـثـ اـلـىـ عـمـرـ وـنـعـاصـ مـخـبـرـتـالـكـ الـجـمـيعـةـ وـبـوـمـ اـجـتـاعـهـاـ وـهـوـ لـاـ رـبـ يـعـتـهاـ وـيـقـضـ عـلـىـ رـجـالـهـاـ وـسـيـكـونـ سـعـيدـ وـعـدـ اللهـ يـبـنـمـ فـاـمـاـ اـنـ يـقـتـلـهـاـ

او يسعنها فاذا قتليها خل امر المؤمنة بكتوماً عن كل انسان واذا سجنها ظلاً في السجن الى ما بعد ١٧ رمضان على الاقل فيكون قد نفذ السهم وانتقمت لقتيلها ولا بهم في بعد ذلك امر»

فلم سمعت ليلة كلام قطام همت بها وقلتها وهي تقول «بورك فيك يا نبیة والله املك اعدمي نظراً واشد دها، واذا احياك الله الى سی لم يعد المليس قوى على مكرك» قالت ذلك فضخت . وظلت قطام عاسة ولم تعلم بمحكمها ولكنها سادت ريحان خادمها فحصر وكان جالساً في مكان حيث يسمع ويرى ولا يراه احد فلما وقف بين يديها قالت له «الم يقتل سيداك ظلماً»

قال كيف لا واني مطالب بذلك
قالت اندرني لما دعوك

قال لي املك دعوني لتعشى بي الى النسطاط اخر عمر ا من العاص بخبر هذين او بخبر عنبئات العلوبيين . . أليس لذلك دعوتي ؟

قالت لي اي دعونك مثل ذلك ورك سوادك هذا وقت الحاجة اليك ولكنني اطلب اليك ان تبلغ عمر ا ذلك بدون ان تذكر اسني وابي واقفة بفطشك فلا تخيب ا ملي . اذهب الى مصر واللغ الرسالة وجئي بقتل هذين او سجنها في انت حر لوجه الله

فاقترب ريحان حاميه ونضاهر بالعتاب وقال « الا نعلمين يا مولاي املك تهيني بي بهذا الكلام من حيث تريدين سوري . انتدين اي افضل الحرية على الاستبعاد لك . فند قلت فولاً واسمعي لي ان اقول مثله . اني ذاهب لانفاذ مرامك فاذا انا فرت فيه رحوت ان تدعيني مان لا تذكرى الحرية قط »

فضخت قطام واظهرت الاعجاب بتهامة ريحان وقالت سر يا اسر املك والله خير من الف ايض



الفصل الحادي والثلاثون

* الفسطاط *

هي مدينة عمرو بن العاص بناها سنة ٢ للهجرة بعد فتح الإسكندرية . وسبب تسميتها بالفسطاط (الخيمة) ان عمراً لما فتح حصن مائل حيث هو دير مار جرجس الآن او دير النصارى نقرب مصر القديمة واستقر الصالح يسراً و بين المقوس نهض لفتح الإسكندرية وكانت خيامه منصوبة خارج ذلك الدير بين الليل وجعل المقام فأمر بنتو بضمها والرحيل فجاءه مسيءان في فسطاط الامير ياماً معتشاً تحمله صغاره لا تستطيع الصيران فقال عمرو « لقد تحرمت محواريا اقربى الفسطاط حتى يغير فراخها » ^(١) فتركوا الفسطاط منصوباً حتى عادوا بعد فتح الإسكندرية فاتسوا الدور حوله . ولما ثبتت المدينة اطلق عليها اسم الفسطاط وهي أول مدينة ساها المسلمون في القصر المصري وأخذوها عاصمة ملوكهم حتى بنيت القاهرة في القرن الرابع للهجرة فقللت الحكومة اليها (راجع كتابنا تاريخ مصر الحديث)

وكانت الفسطاط في العام الأربعين للهجرة وهو العام الذي جاءها فيه سعيد ورفيقه عبد الله قد عمرت وافتتحت بها القنائيل والأشعاعات في خطوط وحارات دينت لهم . وكانت الفسطاط مستطيلة الشكل على ضفة النيل الشرقية طولها ميلان في ما يقرب من مصر العتيقة الآن . وأمام مكان مصر العتيقة فقد كان يومئذ محى النيل المبارك . وكان اذا حرى رست سفينة اب دير الصاوى حيث كيسة المعلقة اليوم فكل ما بين الدير والنيل من اليأس وما أقيم عليه من الساء اما حدث بعد الاسلام وكان جامع عمرو النافعية آثاره هناك الى هذا اليوم مرکز تلك المدينة وحوله اشتبك الخطاط والازقة والحارات . وكان اقربها الى الجامع المذكور دار عمرو او ها داران الدار الكبير والدار الصغرى . وكان المسلمون اولاً ينزلون في الحبام فلما بنى عمرو داريه اهتم الناس في ساء المنازل . ولم يكن قبل الفسطاط هناك الا بعض الدبار لقطط متفرقة بين النيل والمقطم . وبنوا الخطاط او الشوارع على اسباء

(١) ابن دئنار ح

القبائل التي تألفت منها حملة ابن العاص في ذلك الحين ومن سرّح بعدهم وأوجههم جميعاً أهل الراية من قريش والأنصار وخربيه وغيرهم فبنوا لهم خطة سموها خطة أهل الراية ثم خطة مهرة وخططت لهم والذيف والصدف من كثنة وخولان فضلاً عن خطط غير العرب مثل خطة النارسيين وهم من حضر النفع من أهل فارس وأصلهم من بقایا جندياذان عامل كسرى على اليمن قبل الإسلام اسموا في الشام^(١) ناهيك عن خطط أخرى لا تخصى فضلاً عن الشوارع والازقة والمحارات فترى ما نقدم ان الفسطاط لم يكن يقيم فيها في أول امرها غير المسلمين واما المسيحيون واليهود من كانوا هناك قبل النفع فمن آثر البقاء تحت رعاية المسلمين اقام في الادينة خارج الفسطاط وأكبرها دير النصارى (او دير مار جرجس) وهو الحصن الذي حاصر فيه المقوص ورجاله لما جاءهم المسلمون وكان يسمى حصن بابل او قصر الشمع . وربما اقام بعض القبط او اليهود في الفسطاط لتجارة او صناعة او كتابة لأن عمرًا عهد الى القبط في نادى الرأي كثيراً من اعمال حكمته وابني الدواوين تكتب بالقبطية وما زالت كذلك الى امارة عبد الله بن عبد الملك بن مروان فابدلته بالعربية

وكانت مدينة عين شمس (المطرية) شمالي الفسطاط خربة لم يبق من ابنيتها الشاغفة ومعالمها الرفيعة الا بعض الجدران الغليظة او الاعمدنة الضخمة والمسلاط من بقایا الهياكل الفرعونية وهي مهجورة لا يقيم فيها احد فإذا احتاج الناس الى حجارة او اعمدة ينتون بها داراً كبيرة او جامعاً حملوها من انقاذهما

الفصل الثاني والثلاثون

* سعيد وعبد الله *

اما سعيد وعبد الله فانهما تأهلاً للرحيل في ذلك اليوم وأصبحا على راحتيهما وخرجوا من الكوفة يلتمسان الفسطاط وما لا يعلمان ما اعدته لها قطام من المكائد . وسارا بجدان السير بوصلان الليل بالنهار حتى اقبلوا في فجر يوم الجمعة على الفسطاط فاطلا

عليها من سفع المقطم فإذا هي ممتدة على ضفة النيل على مسافة طويلة وراءها النيل يجري وفيه السنن راسية تحمل الأغلال والآحصال بعضها قادم من الصعيد والبعض الآخر صاعد من الشمال . وفي وسط المدينة جامع عمرو حوله الائمة والدور فوفقا هنيهة يحيطان في الخطة التي يجب أن يسير عليها في أيام مهمتها

فقال عبدالله ها إنا أمام الفسطاط الآن وقد طلع فجر الجمعة الذي يجتمع فيه دعاة أمير المؤمنين في عين شمس على ما نعلم . فهل نظل هنا حتى نسير توًما إلى عين شمس أم ننزل الفسطاط ثم نخرج منها إلى عين شمس

فقال عبد وما الداعي لقائنا هنا وقد يكون في مقائنا مظنة سوء ونحن لا نعرف أحد إلا إنا من دعاة معاوية وزد على ذلك إسالاً مدربي الساعة التي يعقد فيها ذلك الاجتماع تماماً وإنما علمنا باجتماعهم في يوم الجمعة فهل هو في الصباح أو المساء أو أي متى ؟

قال عبدالله لست على يقين من ساعة الاجتماع ولكنني أظنهم يجتمعون بعد صلاة العصر إلى المساء وعلى كل لا أرى بأساساً من النزول إلى الفسطاط صلبي الصبح فيه ونجعل دوابنا في مأوى تهارج فيه . ثم أخرج أنا للبحث عن ساعة الاجتماع ومكاوا واعود إليك فنسير معـا

قال سعيد لقد رأيت الرأي الصواب ونزلنا بناقتيها حتى دخلنا المدينة وهي بوئـنـ آهلـةـ نـالـاسـ وقد ادـنـ المـؤـذـنـونـ بـدـعـونـ النـاسـ إـلـىـ صـلـاـةـ الصـبـحـ فـأـتـيـاـ الـمـسـجـدـ وـأـمـامـةـ سـاحـةـ كـرـىـ تـنـفـ فيـهـ الـدـوـابـ نـشـدـ إـلـىـ أـوـنـادـ أـوـ نـخـيلـ . فـرـاطـاـ الـرـاحـاتـينـ وـدـخـلـ الـمـسـجـدـ لـلـصـلـاـةـ وـكـانـتـ الشـمـسـ قدـ أـنـصـتـ وـنـقـاطـ الـمـسـلـمـونـ أـفـوـاجـاـ فـدـخـلـاـ فـيـ جـمـاهـيـرـ الدـاخـلـينـ

الفصل الثالث والثلاثون

* عمرو بن العاص *

ولم يكدر يستقر بها المحاوس حتى رأيا الناس في حركة وجلة وقد فتح باب في بعض جواشب المسجد دخل منه رجال في أيديهم السياط يزجرون الناس . فقال سعيد من

هم هو لاء . فقال عبدالله انهم الشرطة ينتحون الطريق للامير . ولم يكدر عبدالله بضم كلمة حتى دخل رجل ربعة قصيرة الفامة وافر المأمة ادعج ابلج عليه ثياب موشاة كأنه العقبيان تأتى عليه حالة وعامة وجة عرفها امة عمر و من العاص فقصد المبرد والناس يتظرون .

محمد الله واثني عليه وصلى على النبي (صلعم) ووعظ الناس وامرهم ونهاهم وجعل بمحضهم على الركبة وصلة الارحام ويا أمر بالاقتصاد وينهى عن النضول وكثرة العيال واختناص الحال في ذلك الى ان قال يا معاشر الناس ايماكم وخلافاً اربعاناً فانها تدعوا الى الصب بعد الراحة الى الضيق بعد السعة الى الذلة بعد العزة ايماكم وكثرة العيال واختناص الحال وتضييق المال والتليل بعد النوال في غير درك ولا نوال . ثم امه لا بد من فراغ يؤدول اليه المرء في توديع جسمه والتدبر لشأنه وتحليمه وبين نفسه وبين شهوانها ومن صار الى ذلك فليأخذ بالتصد والتصيب الاقل ولا يضيق المرء في فراغه نصيب العلم من نفسه فيجوز من الخير عاطلاً وعن حلال الله وحرامه غافلاً . يا معاشر الناس انه قد ندات الجوزاء وذلت الشعري واقامت السماه وارتتع الوباء وفُل الدوى وطاب المزئي ووضعت المحوال ودرجت السخائل وعلى الراعي بحسن رعيته حسن النظر في

اكم على بركة الله تعالى الى ربكم فحالوا من خير ولينه وخرافه وصيه واربعوا خيلكم واستهواها وصونوها واكرهوها فانها جنتكم من عذركم وبها مغناكم واساكتم . واستوصوا بهن جاورتهن من القحط خيراً واباكم ولهمسات والمعسولات فانهن يفسدن الدين ويقصرن الهمم . حدثني عمر امير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله سبحانه عليكم اهدى مصر فاستوصوا بقطها خيراً فان لهم فيكم شهرًا وذمة فكفروا ايديكم وعهوا فروحكم وغضوا ابصاركم . ولا اعلم ما اتي رجل احسن جسمه واهزل فرسه . واعلموا اني معرض الحال كاعتزاض الرجال فمن اهزل فرسه من غير علة حططته من فريضته قدر ذلك واعلموا اكم في رباط الى يوم القيمة لكنه الاعداء حولكم ونشوفه . فلوبهم اليكم ولي داركم بعد الزرع والمال والخير العاسع والبركة المأمة .

وحدثني عمر امير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا فتح الله عليكم بصر فاتخذوا فيها جندًا اكثريها فذلك الجند خير اجناد الارض فقال له ابو بكر رضي الله عنه ولم يارسول الله قال لانهم وازوا جهم في رباط الى يوم القيمة فاصحدوا الله معاشر الناس على ما اولاكم فتهنعوا في ريفكم ماطاب لكم فاذا بيس العود وسخن

الماه وكثير الذباب وحمض اللدن وصوح البزيل فانطبع الورد من الشجر فحي الي
فسطاطكم على بركة الله ولا يقدمن احد منكم ذو عيال الا ومعه تحفة لعياله على ما
اطلق من سعنوا او عسرتو اقول قولي هذا في سخنخط الله عليكم^(١) انتي
وكان عمر بخطب والناس يسمعون وقد تخشعوا لما قاله من الاوامر والواهـ .
فقال سعيد عبد الله همساً والله انه لعم الامير وشلت يد نفنه انه والله مذرة ذلك
متى دنا الاجل المضروب ولم يحبه سعيد شفاعة ان يلحوظ احد شيئاً ما لها فيه
ونعد عام الصلاة خرج الناس وخرج عبد الله وسعيد واجتمعوا في ساحة المسجد
خارجـاً وتعارفوا فعرف عبد الله رجلاً من غمار كان له معه صداقة فدعاه وسعيدـاً
إلى منزله ليقيـها عنـه فاعذرـاـ فاتحـ عليها فسـارـاـ معـه إثـلاـ بـوـحـ بـاـتـعـادـهاـ شـبـهـ فـانـزـلـهاـ
فيـ مـنـزـلـ اللهـ فيـ خـطـةـ اـسـهـاـ خـارـجـةـ بـنـ حـذـافـةـ فـأـمـرـ الغـفارـيـ عـبـدـ اللهـ اـسـتـلـمـ الـراـحـلـيـنـ
وـسـارـهـاـ إـلـىـ الـمـرـاطـ وـدـخـلـ بـالـضـيـعـينـ إـلـىـ غـرـفـةـ لـمـ يـرـ بـرـياـ فـيـ هـاـفـدـةـ الاـ كـوـةـ فـيـ اـعـلـاـهـ
فـعـيـهاـ وـهـمـ عـبـدـ اللهـ بـالـاسـتـفـهـاـمـ عـنـ ذـكـرـ وـأـوـقـةـ النـادـبـ الـحـظـ الغـارـيـ اـسـفـرـاـهـ فـقـالـ
لـهـ لـاـ تـعـجـبـ لـحـالـ هـنـ الغـرـفـةـ فـاـنـ كـذـكـ سـاعـرـانـيةـ الفـسـطـاطـ .

فـقـالـ عـبـدـ اللهـ اـنـيـ ياـ اـخـاـ غـارـاـ لـنـيـ عـجـبـ عـجـابـ ماـ اـرـىـ فـاـ الذـيـ دـعـاـ إـلـىـ هـنـ
الـاقـفالـ . فـقـالـ الغـفارـيـ أـعـلـمـ اـنـ خـارـجـةـ بـنـ حـذـافـةـ صـاحـبـ شـرـطةـ مـوـلـاـ اـمـيرـ عـمـرـ
اـنـ العـاصـ هـوـ اـولـ مـنـ اـنـتـيـ غـرـفـةـ فـيـ الفـسـطـاطـ . فـلـمـ اـعـلـمـ ذـكـرـ اـمـيرـ المؤـمـنـينـ عـمـرـ
اـنـ الخطـابـ بـوـيـنـ كـتـبـ إـلـىـ اـمـيرـ عـمـرـ بـنـ العـاصـ اـنـ «ـ اـدـخـلـ غـرـفـةـ خـارـجـةـ
وـأـنـصـبـ فـيـهـاـ سـرـيرـاـ وـقـمـ عـلـيـهـ رـجـلـاـ لـيـسـ مـالـطـوـبـ لـوـلـاـ بـالـفـصـيـرـ فـاـنـ اـطـلـعـ مـنـ كـوـاـهـاـ
فـاـهـدـهـاـ»ـ فـفـعـلـ ذـكـرـ عـمـرـ فـلـمـ بـلـغـ الـكـوـيـ فـاـقـرـهـاـ^(٢)ـ فـلـمـ يـجـنـرـ اـحـدـ اـنـ بـنـيـ غـرـفـةـ
بـعـدـ ذـكـرـ الاـ عـلـىـ هـذـاـ الـوـصـفـ وـهـوـ مـاـ الـحـقـيقـةـ اـصـمـنـ للـحـجـابـ

الفصل الرابع والثلاثون

* عـيـنـ شـمـسـ *

ثـمـ جـاءـهـاـ الغـفارـيـ بـالـزـادـ فـتـنـاـواـلـهـ وـنـدـ الـاستـرـاحـةـ التـمـاـخـرـوـجـ لـمـضـ المـهـامـ

وَهَا امَا يَرِدُ انَّ الْخَاتُونَ لِلْنَّظَرِ فِي مَا جَاءَ اَجْلُو فَخْرَجَ اَوْ مَشَّا فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ بِتَظَاهُرِهِنَّ
بِالْفَرَجِ بِشَاهَدَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْحَوَائِطِ وَالْبَيْوَاتِ حَتَّى خَرَجَ اَنْتَ اَنْتَ فَقَالَ سَعِيدٌ اَنْتَ فِي
نَحْوِ الظَّهَرِ وَمَا الْعَمَلُ

فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ دَعْنِي اَمْيَرُ وَحْدَيْ اِلَى عَيْنِ شَمْسٍ فَاهَا عَلَى اَضْعَافِ اَمْيَالٍ مِنْ هَذَا
الْمَكَانِ حِيثُ تَرَى هَذِهِ الْخَرَائِطِ وَلِنَمَاهَا هَانَانَ الْمَسَاجِدِ (وَإِشَارَ إِلَيْهَا بِاصْبَعِهِ) فَاحْسَثَ
عَنْ مَكَانِ الْاجْتِمَاعِ فَإِذَا عَزَّرْتَ عَيْنَيْ جَنَّتِكَ عَلَى عَجَلٍ . فَابْنُ الْمَنْقِي
قَالَ اِلَى اَقِيمِ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى تَعُودَ اِلَيْهِ وَاحْذِرُ انْ تَطِيلَ غَيَابَكَ
فَسَكَتَ عَبْدُ اللَّهِ وَلَمْ يَرْهُ بِمَكْرُمَتِهِ قَالَ وَإِذَا اَبْطَأْتَ فِي الرَّجُوعِ إِلَيْكَ فَاطَّلِبْ
عَيْنَ شَمْسٍ وَلَا نَظَارِيْ بِقَرْبِ هَانِيْنِ الْمَسَاجِدِ اَتَيْنَاهَا قَائِمَيْنَ هَذَاكَ وَلَا آتَيْكَ اَوْ
الْعَثَ منْ يَدِ عَوْلَكَ اِلَيْهَا

قَالَ حَسَّاً وَافْتَرَقاً وَسَارَ عَبْدُ اللَّهِ يَلْتَمِسُ عِيْنَ شَمْسٍ وَقَدْ جَلَ وجْهَتُهُ اِلَيْهَا
الْمَسَاجِدِ وَكَانَا طَاهِرَيْنِ عَنِ الْعَدَدِ . وَعَادَ سَعِيدٌ اِلَى اَمَامَعِ
اِمَامَعِ اَمَامَعِ اَمَامَعِ اَمَامَعِ اَمَامَعِ اَمَامَعِ اَمَامَعِ اَمَامَعِ اَمَامَعِ اَمَامَعِ
مِنَ الْاَسِيَّةِ اَلْاَجَدِرَانِ وَالْاَعْمَدِ وَضَافَ يَرَ خَرَائِطِهَا فَلَمْ يَرَ اَحَدًا وَلَا سَعَعَ
صَوْنَاهَا وَقُصَى فِي دَلْكِ سَاعِيْنِ يَرْدَدِ يَنْ تَلْكِ الْجَدِرَانِ تَمْ يَمْوَدُ اِلَيْهِ حِيثُ بَدَأَ فَلَمْ يَرَ
اَشْرَى لِلْاَدَمِيِّينَ فَظَنَنَ رَسْنَةَ اَخْطَأَ اِلْكَانَ اوْ سَاءَ فَهُمْ مَا لَغَّهُ مِنْ اَمْرِ ذَلِكَ الْاجْتِمَاعِ
حَتَّى كَادَ يَهُمْ بِهِ الرَّحْوَعَ وَقَدْ خَابَ مَا اَمْلَأَهُ وَخَلَلَ لَهُ اَنْ دُعَاءَ عَلَيْهِ اَمْدَلُوا مَجَتِّعُهُمْ هَنَاكَ
بِكَانَ آخَرَ

فَأَسْدَدَ طَهْرَ اِلَى جَدَارِ وَوَقَتْ بِكَرْ فِي مَاذَا يَعْلَمُهُ وَقَدْ مَالَتِ الشَّمْسُ نَحْوِ الْمَغِيبِ
فَرَأَى رَحْلًا قَادِمًا مِنَ السَّهْلِ الْمَاطِ فَتَعَلَّ عَبْدُ اللَّهِ بِسَهْلٍ بِشَاهَدَةِ بَعْضِ مَا هُوَ مَخْتَوْرٌ
عَلَى تَلْكِ اَلْآَتَارِ مِنَ الرِّسُومِ الْاهِرِ وَغَلَبِيَّةِ كَائِنَةِ يَعْصِبَ لَغْرِبِ صَعْبَهَا رِيشَهَا يَوْرَ الرَّجُلِ
وَيَغْنِيِ . وَكَانَ يَتَظَاهِرُ بِالنَّظَارِ اِلَى تَلْكِ الرِّسُومِ وَهُوَ بِالْحَقِيقَةِ يَحْتَلِسُ النَّظَارَ إِلَى ذَلِكَ
الْمَارِ . وَكَانَ الرَّجُلُ يَصْمِمُ نَارَةً وَيَجْتَنِي نَارَةً اُخْرَى فِي مَرْوَرِهِ بَيْنِ الْاعْمَدَةِ وَالْخَرَائِطِ
تَمْ اَخْتَنَى وَلَمْ يَعُدْ يَصْهُورُ

الفصل الخامس والثلاثون

* الاجتماع السري *

فجع عبد الله لامره وقال في نفسه لا بد ان يكون هذا الرجل من جملة اهل ذلك الاجتماع السري وقد نزل في نفق او نحوه . فالناس المكان الذي ظنَّه اخْفَى فيه فوجد هناك مخدراً يظهر لأول وهلة انه مسدود فنزل فيه وهو يخطو الممرات حتى انتهى الى ظلمة دامسة فوقف واصاح بسعده فسمع لغطاً عيناً فاستبشر بالوصول الى المكان المطلوب ولكنه لم يكن يعرف مدخل تلك المغارة وخاف ان يستغشة القوم فيقتلوه

فوقف سره يتربَّد بين ان يسير متسلماً او يرجع فيما تي بسعده . ثم رأى ان يتحقق المجتمع قبلاً ثم يعود خططاً بضع خطوات وهو لا يرى شيئاً امامه فلطم راسه بالسفف فجئنا ظهره وداهمه العطاس لرطوبة الماء فعطس عطسة دوى لها المكان وما شعر الا وقد ظهر نور ضعيف ونقدم بصعة رجال كلهم ملثمون وعليهم اردية سوداء تزبدن وحشة فقبضوا عليه وهو لا يدري حراً كاً . وزلوا به في ذلك الدهليز الى قاعة تحت الارض واسعة وكل جدرانها وسقفها مغطاة بنسج اسود مما يجعل المنظر رهيباً ولو لا شمعات مخفية في بعض جوانب المكان ل كانت الظلمة لاقطاب لكتافتها . ونظر عبد الله الى ما حوله فرأى في وسط القاعة دكة مغطاة بسلامة سوداء لم يدرِّ ما تحتها ولكنه لم يستطع التأمل وقد احدق به بضعة عشر رجلاً التحفوا العبي تحتها السيف وكلهم ملثمون . فخاطبه واحد منهم يسألة عما يربَّد

قال اني جئت اشاركم في ما انت فيه

قال وما ادرك ما نحن فيه

قال علمت انكم تدعون الناس الى نصرة الامام علي أليس ذلك ما تدعون الي

قال وما شأنك بذلك

قال شأنى هو شأنكم . لانسيعوا الذين بي اني قادم من الكوفة لهن الغابة

قال له رجل آخر كيف تكون اموياً وتدعى نصرة الامام علي

فأشنبه عبد الله بصوت خفافٍ انه موت صديقه الغناري الذي تزل عنده في ذلك الصباح
 فقال له المستانت صديقي الغناري . اصدقني ولا تخف اني والله جئشك بخبر
 هام اذا اشركتهونني في امركم اطلعكم عليه وتحتفتم صدق فولي
 فقال الغناري اذا كنت صادقاً في ما تقول تعال معي . ومشى فتبعدة الى الدكّة في
 وسط القاعة ورفع عنها الملاعة السوداء فإذا هناك مصحف فوقه سيف مسلول وقال
 له ضع يدك على هذا السيف واقسم بالله العظيم المك حليف الامام علي بنصر نصرين
 وتحارب عدوه

فوضع عبد الله يده على المصحف والسيف معاً فشعر ببرودة السيف فارتعشت
 انامله وأكنته اقسم لهم كما ارادوا

ثم قاده يده الى دكّة اخرى رفع غطاءها وتناول عنها قارورة فيها مسحوق اسود
 كاء الحبل فاشتاق عبد الله لمعرفة ما فيها فتناول وما هي . قال هذه قارورة فيها
 بقية من رماد ابي تكر الذي احرقه وله بالنار ظلماً فإذا شئت الهدایة ونصر الحق
 كما تدعى وجوب عليك ان تكتحل بهذا الرماد وتبكي ذلك القتيل المظلوم وتعاهدنا
 على الاخذ بشارة . فهل انت قابل بذلك باقي على قسمك ؟

قال اني باقي على ما تريدون وقد قلت لكم الصدق فلا تستغشوني
 فتقدمن اليه صاحبته ففتح القارورة وادخل فيها ميلاً عالق عليه بعض الرماد
 فاعطاها الى عبد الله فباكتحل به فهاجت عيناه وانسكب الدموع بالرغم عليه فشاركته
 الرفاق بالبكاء

ثم ازاح الغناري لثامة وقال له نعم اني صديفك كما قلت ولكن اعلم انك اذا
 كنت على غير ما تقول فاني اكون عدوك اهدر دمك بمحض هذا السيف . قل
 ما بدا لك

فلما اطهان عبد الله تذكر سعيداً فقال ولكن لي رفيقاً اريد ان ادعوه اليكم
 ليشهد ما نحن فيه ويشاركتنا في هذا الجهاد

قال له الغناري المك غير خارج من هذا المكان الاً بعد خروجنا جميعاً فقل

ما تريدين

فاطاعهم وقال «لا تتعجبوا اولاً لاني اموي . وقد اصاب صاحبي الغفارى باني من انصار معاوية وقد كنت مطالباً بدم عثمان ولكن طرأ عليَّ طارىء ساقصة عليكم اما الان اخبركم اولاً اني قادم من الكوفة وقد علمت ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب قد جمع رجاله هناك فاجتمع منهم حوله اربعون الف مقاتل (١) وكلهم مستعدون للنزال وبذل المال والرجال في هذا السبيل »

فالى ان رجالنا يعدون بالآلاف ونحن لهم واموالنا وكل ما نملكه نهدر حلاً

في نصرة الامام ابن عم الرسول

وهم عبد الله باه ام الحديث فاعتبره احدهم قائلاً عرفناك اموياً من الداعاء
الامام كما ذكرت فما الذي حملك على نصرته حتى خاطرت بنفسك وجئت هذه البلاد
فاخذ بقص عليهم حديث ابي رحاب ولكنه لم يكذب يقول كلامتين حتى سمعوا وقع
حوار الخيل فوق رؤوسهم وقد ارتج المكان فوقهم بالجلبة فانصتوا ووقع الرعب في
قلوبهم وخبل لهم انها دسسة من عبد الله فهموا بقتله ولكنهم ما لبثوا ان رأوا انوار
المشاعل متبعثة من مدخل الدهليز وقد انهالت الشرطة عليهم فأرادوا الدفاع عن
انفسهم فلم يتملعوا فشدوا وثاقهم وساقوهم في ظلام الليل الى النسطاط

الفصل السادس والثلاثون

* السجينة الامينة *

ومكث سعيد في الجامع حتى دنا الغروب ولم يعد عبد الله فتردد برها بين ان
ينذهب الى عين شمس او يتضرع عود عبد الله . ثم غربت الشمس فلم يربطا من المسير
الى عين شمس كما اوعز اليه . فخرج من النسطاط وجعل المسلمين وجهته والظلام
يكاد يتجه بها عنده فمشي وقد اوجس خيفة من ابطاء عبد الله ولم يمد برى المسلمين الا
اذا برزنا في الافق . ثم اخترنا ولم يعد براها وخاف ان يصل الطريق . وفيها
هو في ذلك سمع ديباً وقرقة كان جيداً فادماً وراءه فتخى عن الطريق فاذا

بكوكبة من الفرسان مرت به مسرعة نافخة شمس فاضطراب وخاف الدنبسة .
والتفت الى يمينه فرأى يبتأ قائمًا في بستان . فلاح له ان يتحول اليه يستفهم اهلة عن الطريق فلما دنا منه سمع صوتاً خارجًا من بعض جوانبه استوقف انتباهة فوقف
واصاخ بسمعه فسمع صوتاً رخيمًا يازجه بكاء ولم ير ماك نورًا ولا رأى احدًا في
البستان فالنمس باب البيت فإذا هو موصد وقد وضح لدبه صوت الباكى فتنصت
فسمع صوت امرأة تبكي وتقول « ألا تخاف الله يا ظالم اما كفاك ما واطأت عليه
من قتل البريء حتى رميت الوفاة من الناس تحت خطر القتل الفظيع . . . هل من
ينبئ هؤلاء الابرياء بما وشوا به عليهم فيتقذهم من خطر الموت »

فلما سمع سعيد تلك العبارات اقشعر بدنّه ولم يعد يصبر على استطلاع سبب
ذلك البكاء . فقرع الباب قرعاً خفيناً فانقطع الصوت بفترة فصبر هنئه وكرر القرع
ويده ترتعش من شدة التأثر فلم يسمع شيئاً فازداد شوقاً لاستطلاع ذلك السر ولكنه
خاف ان يقع في مكينة وهو غريب هناك فلبيث رهه والهواجس تتفاذه وفدي حدثه
نفسه ان بين ما سمعه وبين ما يسعى في البحث عن علاقته كبيرة . وكان الفرسان
الذين مرروا به قد بعدوا عنه ولم يعد يسمع من وقع حول فر افراهم غير الدوى
البعيد . فايقن انهم يلتقطون عين شمس ولم يفهم سبب ذهابهم اليها في ذلك الليل .
وبعد التأمل بما سمعه ورأه اعتقد ان في الامر سرّاً بهمة الاطلاع عليه

فهزَّ الباب بين هزّاً شديداً كأنه يريد فتحه بالعنف فلم يفتح لانه موصد ولم يعد
يستطيع صبراً والوقت ضيق فقال بصوت خافت « هل في المنزل احد يفتح الباب
اني غريب ضللتك عن الطريق »

فاجابه الصوت من الداخل « ليس في البيت سواي والباب مقفل لا سبيل
الى فتحه »

فازداد سعيد دهشة واستغراً وقال « من انت ايهما المخاطب اني اراك في ضيق
فهل من سبيل الى انقاذه »

فأجا به الصوت « يا حبذا ذلك اذا استطعته اني حبيسة بالرغم عني . من انت »
قال « قلت لك اني غريب ضللتك عن الطريق اربيني وجملك او ارشديني
الى وسيلة افتح بها الباب »

قالت « يا مج الاقفال بالعنف لعلك تستطيع فتحها فتنفذني وربما انقذت
الوفا من الناس معي »

الفصل السابع والثلاثون

﴿ الشك واليقين ﴾

فتارت الحمية في رأسه واستل خبيرة وجعل يماجع الاقفال وهي نساعده من
الداخل حتى فتح الباب فبرزت منه فتاة مغولة الشعر عليها رداء اهل السلطان
ولما رأت سعيداً قالت من انت اصدقني الخبر
قال بل انت اصدقني ولا تخافي لقد سمعتك تتدبرين الوفا من الناس فمن هم
اوئلك الالوف

فتفرست فيه وتفرس فيها فلم يعرفها ولا عرفته لشدة الظلام

فقالت له من قال لك اني اندب الوفا

قالت سمعتك باذني . افصحي ولا تخافي

قالت وما بهمك من امر هؤلاء الالوف

قال « اخاف ان اكون أنا منهم ... »

قالت وما الذي جاء بك الى هذا المكان

قال كت ذاهبا الى عين شمس فنهمت وجئت هذا المنزل لاسأل اهله عن
الطريق فسمعت بكماك وبحديثي قلبي ان حدثك بهني . قولهي لقد ند صبري

قالت اني اخاف العيون ولا اثق ب احد بعد ان غدر بي والدي ... فكيف

انق بالغرباء

قال رب غريب اقرب مئ القرىب قولهي لا تخافي

وفيها ما في ذلك سمعا وقع الحواffer وصوت الضوضاء من ناحية عين شمس
فدخلت الفتاة الغرفة وجرت سعيداً بشوبه ولم تنه بكلمة فدخل في اثرها وقد تولته
الدهشة ولبث صامتاً . ولم تمض برهة حتى دنت الضوضاء منها وسمعا من بين الاوصوات .

فانلا يقول «لقد وقعن في ايدينا ايتها الحائزون وعرفنا دسائركم» وسمعا لفظاً كثيراً من هذا القبيل فظلاً صامتين حتى مرّ الفرسان كلهم وهم يسوقون جماعة من المشاة موثقين

فلم توارى عن البيت لطمت الفدا وجهها وقالت «لقد نالوا بعثتهم قبهم الله وقبضوا على الجماعة»

قال واي جماعة . هل قبضوا على جماعة عين شمس
قالت نعم انهم قبضوا عليهم في أسناده
قصق عبد الله بيده وخرج ليطل على الفرسان كانه يريد ان يتحقق طريقهم
قالت له يظهر انك كنت ساعراً اليهم
قال نعم

قالت لقد نجاك الله من ايديهم ولم يكن ضلالك الا وسيلة لنجاتك
فاضطررت سعيد واخراج قلبه في صدره وقال بالله عليك افصحي يا اخيه فقد نفذ
صيري وقد علمت غرسي فاخبرني عن حقيقة امرك
قالت لم يعد يمكنني البقاء هنا عافية ان يأتي احد فيراك مع فتكون العاقبة
وخيبة علينا

قال وهل تريدن ان تبعد من هذا المكان

قالت نعم هلم بنا فاذا خالونا تحدثنا وعساك ان تتنافى امراً لا ازال خائفة من
وقوعه وهو شر عظم . قالت ذلك وخرجت من الغرفة فمشت امامه وهو يتبعها حتى
خرجها من البستان واوغلها في الحقول وهو يسير في اثرها الى حيث لا بدري وكلامها
صامتان لا ينوه احد بكلمة حتى دنوا من بناء عالي الجدران كانه بلا باب . فنالت له
هذا دير للقطط فلندخله بمحلة الزيارة فتكون في ما من ومشت امامه الى باب صغير
في اسفل الماء مصنوع بالحديد ففرغته فاطل عليها من نافذة في اعلى الماء راهب
في يد مصباح وقال من يقرع الباب

قالت انتا غرباء لنفس زياره الدير

ولم تمض هنجه حتى فتح الباب وسع لفهو صرير فدخله حانبي الرأس اضيقوا
فاشرفا على دهليز دخلا منه والراهب يسير بالمصباح امامها حتى انتهيا الى الكنيسة

فنظر الراهب إليها في نور المصابح فعرف الفتاة أنها من أهل الفساطاط بل هي من اعياهم فسرّ من زيارتها ورحب بها وادخلها إلى غرفة في الجانب الآخر من الكنيسة فيها مصباح فسالها إذا كانوا يجتاجان إلى شيء فقالا كلاما فتركها ورجع

الفصل الثامن والثلاثون

﴿كشف السر﴾

اما سعيد فنا مل الفتاة في النور فإذا هي شابة في مقابل العبر جملة الطلعة وقد احررت عينيها ونكسرت اهدابها من البكاء ولم يزددها ذلك الا جمالاً . وكانت قد ضفرت شعرها في اثناء الطريق وغضبت رأسها بطرف ثوبها . فجلسا على وسادة فوق حصير وسعيد يتلهف لاستطلاع حدثيّها وقلبة يخنق لما يتوقفه من النهاية الغريب فابتدرها بالسؤال حالاً عن حقيقة امرها فنظرت إليه ولم تكن مللة حتى قالت «العلم احد الغربين اللذين وصلا الفساطاط في صباح هذا اليوم

قال نعم اني هو وما ادرك بذلك

قالت رأيتكم مع جارنا الغفارى وما اني اقص عليك خبرى الغريب والتس منك ان تشرع في ملافة الخطر العظيم الذي سيدهم المسلمين قريباً قال بامنة قولي اني لهذا الامر اتيت الفساطاط فعسى ان اكون قد وقعت على ضالتي

قالت اني اطلعت على سر لا اظن احداً اعرفه قبلي ... السر على دعوة الامام علي

قال بلى اني على دعوته وقد جئت في سبيل محمداته وهمت بالتكلم ثم توافت برها واطرقـت فلحظـ سعيد ترددـها وادرـك انهـ اسـاءـت الظنـ بـهـ فـقالـ لهاـ لاـ نـظـيـ السـرـ الذـيـ مـتـبـدـيـةـ لـيـ عـبـوـلـاـ لـدـيـ وـإـذـ شـتـ قـلـةـ لـكـ . ولاـ طـئـنـ بـالـكـ اـقولـ اـنـهـ يـعـلـقـ بـالـامـامـ عـلـيـ وـفـيـ خـطـرـ عـلـيـ حـيـاتـهـ . . .

فاطأنت ولكنها تهدمت وقالت «اعلم يا سيدى ان والدى بصنع السلاح وبيعة في الفساط وقد ربيت وانا اسمعه يتشيع للامام علي فاندرس حب هذا الامام في قابي وما انا في حاجة الى امتداح والدى له وهو ابن عم الرسول وصهر ولكنني ذكرت لك امتداحه لاذكر لك النغير العجيب الذي طرأ عليه

«فازلنا ندعوا لعلي بالنصر حتى كانت واقعة صدرين منذ بضع سنين فرأيت في والدى فنوراً من هذا القبيل ولكن لم يذكر لنا شيئاً صريحاً بهذا الشأن . على اني كثيراً ما كنت اراه يخلي بمحار لنا منبني مراد كان يعلم الناس القرآن وكنت احببه من اهل التقوى . . . (قالت ذلك وتهدت) ولكنني وجدهه وأسفاه من اهل العداء . وما زال يتتساران في امر هذا العداء ولا يجرآن على الناظر به لأن مصر كانت لا تزال في حوزة الامام علي وعاصمتها محمد بن ابي بكر . فلما جاءنا ابن العاص بخيله ورجله وحارب دعاة علي فقتل ابن ابي بكر رحمة الله قتله لم يسبق لها مثيل في الاسلام استفهام الامر للامم بين فجاهروالدى بعاصاته علي وكان جارنا المرادي يزوره كرهما له . فعلمت انها نشيعاً للخارج فظلت مع ذلك صابرة كاذبة اذلا سبيل لي الى شيء اعمله وانا فتاة ضعيفة كما ترى . وكان والدى يظنه على دعوته . ففي ذات يوم جاءنا ذلك المرادي خاطباً ورافضاً والدى ان تكون خطيبة له فلم اجب لا حسناً ولا فجراً خوفاً من اكرامي على الزينة . ولكنني صدمت في باطن سري اني اذا تحفنت عزمه على الزواج فررت وتركته وما زلت اماطل في كتابة العقد الى الان »

الفصل التاسع والثلاثون

* عبد الرحمن بن ملجم *

وكان في اثناء كلامها عن الزواج قد اطربت حياماً فلما بلغت الى هذا المحد رأت سعيداً مصفيماً الى حدتها بكلمته وهي تعلم انه انا بشناق الى آخر الحديث اكثر ما الى اوله فخافت ان يمل فقلت «ولا اطيل عليك الحديث قبل ان اصل الى جوهره فاقول ان ذلك كلة احتفالية بالصبر ثم علمت ان المرادي خرج الى مكة فظننته يلتمس الحج ووددت ان لا يعود ولكنني ما لبست ان رأيتها عائداً

قالت ذلك وتنهدت وسعید يطأول لساع ما نقول وقد دهش لغرابة الحديث
فقالت «عاد ذلك المرادي بهمة جديدة يا ليني مت قيل ان سمعت خبرها . . .
ولكني اذا لم اجد من يتحمل المشقة في ملاظمها تلافيتها ببني . . . جاءنا هذا المرادي
ثاني يوم وصوته النسطاط فاخذني بوالدي الليل كلة يتكلمان وانا لا اعلم ما دار عليه
حديثها . ولكني علمت بعد ذلك انه اوصى والدي ان يصنع له شيئاً ماضياً انفق عليه
الف درهم وقضى منه يوم وهو يشغله فلم افهم معنى هذا الاستعداد ولا افهمت به
وبعد ان شعنت كلف والدي فسقاء السم . وقد علمت انه انفق على سقاية الف درهم
 ايضاً)١(. . . فويل لجسم يجرحه هذا السيف ولو جرحه خفينا »

فهل سعيد ولم بعد يستطيع صبراً على التصریح باسم ذلك الرجل والا فصاح عن
غرضه بسقاية السيف وهو لا يشك انه المؤامر على قتل الامام علي . وكان قد صبر
نفسه حتى يسمع ذلك من فم النهاة ولكنه مل الاستئمار فسألهما قائلاً « وما هو اسم
هذا الرجل »

فقالت ان اسمه عبد الرحمن بن ملجم المرادي
فلم يذكر انه يعرفه اما خولة فنهدت وقالت « فلما رأيت منه هذا الاستعداد
وهو كاتم خبر عن عمدت الى الحيلة فجاءني في صباح امس يودع والدي وقد عزم على
ال Kovfa فقلت في نفسي سذهب الرجل ولا ادرى السر فتظاهرت بايجابي بشجاعته
واقدامه واطربت غيرته على الاسلام وشعوذالك وسألته ان مر بي السيف لأن مل
فرنه فجاء بوعصاني ان اتفق حداته لان جرحه يبيت حالاً فسلنته بمذركل فاذا هو
يملع لمعاناً نقشر منه الابدان فارتعد جسدي ولكني اظهرت الجلد وقت « اراك
انفقت مالاً كثيراً على صقله وما الفائدة من هذا المعنان »

فضعل مستخناً وقال انظنين انني انفقت كل هذا المال على مجرد صقله
قلت وماذا اذا اني لا ارى فيه غير المعنان
 فقال اني سقيته السم

فاظهرت الاستغراب وقلت وماذا سقيته . وما زلت احاولة واجادلة حتى هان
عليه التصریح فقال لي « اعلمي يا خولة اني سأقتل بهذا السيف رجلاً يزعمون انه

(١) ابن الاثير ج ٢

أكبر رجل في الإسلام ويقولون إنه أقرب أقرباء الرسول » قال ذلك والشّرّ باعه في عينيه وأصفار الوجل يخلل ما كان يحاولة من الابتسام . أما أنا فلما سمعت قوله أرتعدت فرانصي واحتليج قلي واظنة قرأ ذلك على وجهي . كيف لا وقد ظهر لي أنه يريد الإمام علياً . ولكنني أحببت تحقق الظن فقلت « ومن هو ذلك الرجل » . فقال « ألا نعلم من هو ألا تعرفين سبب كل هذه الانقسامات وإذا كنت لم تنهي بعد فاقول لك أنه علي بن أبي طالب الذي يسمى بشياعة أمير المؤمنين » . قال ذلك وأحرّرت عيناه وتجلّى الغدر في وجهه وقال « احذر أن تبوح بذلك لأحد وألا فإنك تتالين جرحاً من هذا السيف » . قال ذلك وهو يزج المجد بالهزيل أما فتحتت آلة يقتلني ولا يبالي لأنّه تجرأ على قتل أمير المؤمنين فكيف لا يقتل فتاة مثلّي فلم استطع جواً وخفت إذا نطقـت أن يبدو أمري فصمت وقد عوّلت في باطن سري على السعي في إبلاغ أمير المؤمنين ذلك على عجل لأن موعد القتل قريب واظنة في ١٧ رمضان لاني كثيراً ما كنت اسمعه يذكر هذا التاريخ ويعرض بذلك الكوفة ولم أكن أفهم مراده بذلك . وأما الآن فقد فهمت جيداً أنه عازم على قتل الإمام علي في ١٧ رمضان ونحن في أواسط شعبان وآخاف أن ينال هذا الرجل بغيته قبل أن يبلغ الخبر علياً . آه يا يتنبي طير احمل هذا الخبر إليه

الفصل الرابعون

* برح الخفاء *

وكان سعيد لما وصلت خولة إلى ذكر اسم الرجل ونصر بجهه بقتل الإمام علي قد نهض وجعل يختظر في الغرفة ذهاباً وإياباً والحمدية ملُّ رأسه وندم على جعيشه قبل أن يخبر الإمام علياً ولكنه تذكر أنه لم يكن يعرف اسم المؤامر ولم تكن ثمة فائدة من إعلامه أما الآن فإنه يذهب إليه بالخبر الصريح

وكان مع شئٍ من حديث خولة لا يغفل عما يتجلى في وجهها من ملامح الجمال وما في حديتها من صدق اللهجة وقد اعجمة منها بنوع خاص غيرها على الإمام علي

فشعر بانقطاع نحوها . ولكنَّه تذكر عهده لغطام وما يظنه من حبها له فرأى ان لا يطلق لنفسه العنان في حبه سواها . على انه لم يكن ذهنه يتصرف لحظة الى هذا الموضوع حتى عاد الى التفكير بعد الله ومصيره وسبب وجود خولة في ذلك البيت المنفرد . فقال لها « لا ادرى يا مولاتي ما الذي ساقني الى منزلك حتى حظيت بك وسمعت هذا الحديث الذي انا جئت النسطاط من اجله . ولا اخفي عليك اني كنت عاماً بعزم بعضهم على الفتوك بالامام ولكنني لم اكن اعلم اسم العازم ولا من هو فجئت الفسطاط وهي رفيق من ذوي قرائي كان قد سبقني في صباح هذا اليوم الى مجتمع العلوبيين في عين شمس على ان يعود اليه بخبر مكانهم فلما ابطأ سرت في اثنين ولانا لا اعرف الطريق فضلت في الظلام حتى اهتدت بك ونعم الضلال ضلالي . ولكنني في قلق على رفيقي اذ يلوح لي ان الفرسان الذين شاهدناهم الليلة كانوا قادمين من عين شمس ويظهر انهم قبضوا على انصار علي هناك .. ألا نظرين ذلك ؟ »

فقالت خولة لو صررت علي لانتم حدثي لا كفيت نفسك مؤونة الظن وبلوح لي انك تود الا طلاع على سبب وجودي منفردة في ذلك البيت وقد أوصدت الابواب دوني . فاعلم اني لما سمعته حدثي المرادي سكت وكفأمت فخرج الرجل واظهنه شخص الى الكوفة ولشتانا في حيرة لا ادرى ماذا اعمل فتضييت بهار الامس في الهواجين والظعنون وكلما نصورت علياً مقتولاً بسيف هذا الغادر يشعر بدني وكان والدي يخرج الى حانته في كل صباح ولا يعود الى المساء وعيدهنا في المنزل عبد رباني منذ حداثتي وهو يحبني ويكرمني وكانت قلماً اكلمه فخطاري ان اغتنم غياب والدي وأكلم العبد عساه ان يطلعني على نباء جديد او لعلي افهم شيئاً آخر . لأن حدث ابن ملجم اتعبني واقلق راحتي وليس لدى من اشكو اليه امري او اكافئه سري فخرجت من غرفتي لادعو العبد فلم اجد فناديه باسمه فابعانياً ولم يحب فاطلت من الدار فرأيتها واقفنا مع عبد آخر يظهر انه غريب وكاما يخادنان ويساران . فلما رأيي تحجل واسبرع الي فدخلت غرفتي ودخل هو في اثرى وعلى وجهه امارات البغية كما انه سمع خبراً غريباً بريد قصة علي . فقلت اين كنت وقد دعوتكم فلم تحجب ؟

قال كنت واقفاً مع عبد قادم من الكوفة لمهمة سرية الى الامير عمرو
فقلت له وهل اطلعك على خبر تلك المهمة

الفصل الحادي والأربعون

﴿ ائم الْحَدِيث ﴾

فسرَّ عبدهنا لما آنسه من ملاطني واراد ان يرهن لي ثقته بي فقال «انه اطلعني على سرٍ لا اظن احداً يعرفه في كل الفسطاط سوى الامير وبعض شرطته» ثم اخبرني ان ذلك العبد جاء الى الامير عمرو بان انصار علي مجتمعون سراً في عين شمس يوم الجمعة وان عمرًا عين جندًا للقبض عليهم او قتلهم في ساعة الاجتماع . فلما سمعت ذلك لم امالك عن البكاء لشدة الغيظ ورأيت من أهم واجباتي ان ابلغ الجماعة تلك النية ليخذلوا . ولكنني لم اكن اعرف احداً اثق به في اتخاذ هذه المهمة فعولت على الذهاب ببنيبي في ساعة الاجتماع

فاصبحت في هذا اليوم وانا انوقي خروج والدي الى حانوته لا تذكر واسير الى عين شمس فاذا هو لم يخرج من البيت ورأيته في اضطراب ووجل وما علمت ان العبد اخبره بالحديث وانه اطلعني عليه فخاف والدي ان ما بوح لاحد قبل القبض على المجتمعين . فللازمي في البيت الى الغاير ثم دعاني للخروج من الفسطاط للتزهه فأتبينا هذا البيت وهو بيت اشر يك لنا في الفلاحة ولم يكن فيه احد فلم اظهر استغرائي ولا قلت شيئاً لاني كنت عالمة بان والدي -يكون في جملة الساعرين الى عين شمس فلا بد من ان يتركني فاذا تركني خرجت وانا على مقربة من المكان . وما علمت ما اضمر لي فانها لم تكدر برى الشمس تميل حتى خرج والدي ونظامه يامر هام يدعوه الى سرعة الذهاب وادعى انه اقفل الباب على خوفاً من الغرباء او ابناء السبيل ساححة الله وهو يعلم اني لا استطيع النداء واستنجاد الناس لاني اذا ظهرت بنصيحة الإمام كنت من المغضوب عليهم . فظللت هناك حتى جئت انت ورأيتي في هن الحال . فرفقاك لا شك انهم قبضوا عليه في جملة اوائل الاصار

قال سعيد هل نظلين عاليه بأساً

قالت لا اظنه الا مسجونا الان حتى يساواه اسئلة كثيرة ثم اذا رأى قتلة قتلواه وكذلك يتعلون برفاقه . ولكن لا يأس عليه باذن الله وستدبر في امره . وما العمل

الآن اني اخاف اذا عاد والدي ولم يرني في البيت ان تزيد نفقة علي فاري ان اذهب الى منزلنا في النسطاط وانظاهر باني خفت من بقائي في البيت ففتحت الباب باسلوب اكيفنة على شكل مقبول ولا بد من تجاهلي كل ما حصل لاري ما يكون . وما انت فاعل ؟
 قال اود ان اسرع الى الكوفة لاري ان ملجم فاقعه او اخر الامام علياً
 فقطعت عليه الكلام قائلة « وكيف تقعه وهو لا يقنع بل قد يسرع في القتل وليس افضل من ان نطلع الامام علياً على سر الامر وهو يدرب ما يراه »
 قال وكيف افعل رفيقي هل اتركه في السجن
 قالت « واخاف اذا تأخرت هنا ان تتوت الفرصة والمسافة من هنا الى الكوفة بعيدة واني لا عجب منك كيف كنت عالما بخبر هذه المقاومة ولم تخبر بها علياً وانت في الكوفة »

فتهجد وقال « كفى الملام قد وقع ما وقع وكانت اظن الكنان بعد المصيبة وفاتني ان اخبرك بان المقاومة ليست على مقتل الامام علي فقط بل هي على مقتل عمرو ومعاوية ايضاً » . وقص عليها الخبر مختصرًا

الفصل الثاني والأربعون

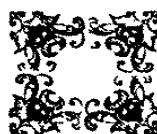
* الحب يعمي ويصم *

فاستغربت خولة الخبر وقالت « ما لنا ولذين انا يريد الدفاع عن علي الان ولكنني لم افهم كيف اشقل خبر قدومكم الى هنا وات تقول انه كان سراً مكتوماً لم يطلع عليه احد »

فكاد سعيد يسيِّر العظن بقطام ولكن الحب غشي بصيرته فانقل سبياً آخر وقال « لا ادرى » وخطر له ان يتبع علها حدثة مع قطام ثم امسك عن ذلك حنضاً لعهدها وهو كما قلنا غير من سليم الذهاب لا يعرف الدباء ولهذا السبب نسو لم يطلق لعواطفه الحرية في حب خولة مع ان الاحوال تضي عليه بجهها بالنظر لما آنسه من جماماً وحبها مع استهلاكه في نصرة الحق

على انه ادرك مع ذلك ان كنان خبر المؤامرة عن علي الى ذلك الحين خطأً ولكن حمله على غلط قطام لا على سوء قصدها ومع ذلك فقد رأى الامر سهل الملافة ولا بزال ثبت بباب منتوح لانفاذ على مجرد اعلامه . ولكن ذلك يدعوا الى السفر السريع وهو لا يعلم ما آآل اليه حال عبد الله فقال لها « اني عازم على الكوفة باقرب وقت فما الذي افعله برفيفي وما لا ادرى اذا كان حياً أم ميتاً » . قالت « غداً نعلم الحقيقة دعني اذهب الان الى مزلي بالفسطاط وامكث انت هنا الى الصاح »

قال « كيف استطيع النها هما وحدي ولا صرلي على استصلاح خبر عبد الله فاري ان ادخل الفسطاط واتردد الى المسجد ولا يعرفني احد هناك فاما ان اسمع خبراً مني ينذر على المسجد من المصاين او تعيي اليه بالخبر » . قالت لك الخيار في ذلك . ونهضت فنهض وخرج فرافتها الى قرب منزلها وودعها وعاد يلتمس بيت الغفاري للبيت وهو لا يدري ان الرجل في جملة المقصود عليهم وقد اصبح بيته موضع شبهة ولا كانت خولة نعلم بذلك وكان الجيد بعد القبض على اهل ذلك الاجتماع قد ساقوهم في الاشلال الى السجن وكان عمرو يتظاهر في داره فلم يصر على رؤيتهم الى الصالح فلما اخرجوه بالقبض عليهم امر باستقادهم اليه واحداً واحداً فرأى بينهم مجاعة من لم يكن يحيط له انهم على غير دعوةبني امية خصوصاً العناري . ولما وصل الى عبد الله عرف انه من بني امية وتذكر قرابته من ابي رحاب ولكنها تجاهل عن ذلك كلّه وامر ان يسجين كل من هؤلاء في حجر على حدة ونعت جندًا يغتون منازلهم ويقطضون على من فيها من الرجال لعلهم يتعلمون على شيء جديد وهو مموقل على اعدائهم بعد ذلك . ولم يكن الجند بمناج الى امر للنهب وقد اصبحت منازل اولئك العلو بين وما فيها مالا حلالاً لهم . فما صدقوا ان اُمرروا بالبيت فيها حتى حملوا عليها واوغلوا فيها سلباً ونهباً



الفصل الثالث والأربعون

البغثة

وكان سعيد قد زل في بيت الغاري فسأل عن صاحبه فأخوه أهل المنزل انه خرج من الظاهر ولم يعد فلم يحضره امه في جملة المفروض عليهم فالتمس الحجرة التي وضع فيها ثيابه وهم بالرقاد ولم يكدر بالي رأسه على الفراش حتى ترجمت عليه المهاجم فأخذ يذكر في عداته وماذا عسى ان يفعل لانقاده وخاف اذا ابطأ في المسير الى الكومة ان ينفذ امن ملجم بغية فيذهب سعيهم عشاً

وفيما هو في هذه المهاجم وقد طار سمه سمع لغطًا في الدار ولم تمض برهة حتى علمت الصوصاء وصح الناس فوقف وتنصت فإذا رجال عمرو قد دخلوا المنزل وأوعزوا في النهب ومن تعرض لهم آذوه فابقى انهم آتون الى حجرته وتحقق انهم مؤذون فتقلد حسامه والفتت يميناً وشمالاً املاه بجد مخرجًا ينجو به نفسه فسمع صوتاً ينادييه من وراء الحجر فاستأسس بالصوت تم عرف انه صوت خولة ولم يكن له سيل الى مشاهدتها غير نافذة عالية لا يشرف منها الا اذا صعد على مرقة فاحتلال في الصعود اليها وااطل وكان الظلام حالكاً ولكنه رأى شحناً وسمع صوت خولة تقول له « ان الشرطة سيفكون بكل من في المنزل وابداً رأوك آذوك فالبيك هذا المخار والجلباب فالسمها وفتح الباب واخرج فيضلوك امرأة ولا يتعرضون لك » فلم يصدق انه سمع ذلك حتى مدّ يده وتناول المخار والجلباب وتسكريها وتخبر وهو يرقص من الرعشة مخافة ان يسوق اجله فيدخل الشرطة قبل خروجه

فام يكن الا كلمع المصري ليس وتنتم المخار وفتح باب الغرفة وخرج بزي امرأة فرأى الصوصاء لا تزال مرتعنة والنهر جارياً فلم يتعرض له احد فاليس الشارع وراء البيت حيث كانت خولة واقفة وهو مع دهشته وفجنته لم ينميك عن الاعجاب بشهامتها والاقرار بصلتها عليه وفيما هو يذكر بها رأها تشي امامه فاقتفي خطواتها حتى وصلا الى منفرد فوقنت وقالت له « الحمد لله على سلامتك وسلامة الامام علي » فلم يفهم مرادها فاندرته قائلة « لا تعجب لنولي فان حياة الامام علي تتوقف على حياتك اذليس هنا من يعلم الحظر الذي يهدده سواك لعم اني اعرفه

ايضاً ولكنني لا اضمن اقتنادي على الذهاب ولا آمن الاعداد فيه على احد »
 فقال « وانا انا ابني البناء حياً لا قوم بانقاد هذا الامام من القتل والضل
 بالحقيقة لك انت فاخبرني كيف عرفت بالخطر المدحبي حتى جئت بهذه الحيلة »
 قالت « علمت من والدي ان عمراً امر بهم منازل اولئك العلوبيين والتض
 على من فيها من الرجال والمال واخترني ايضاً ان هذا الغناري كان في جملة المقصود
 عليهم وقد علمت املك نازل في منزله فجئت اليك بهذه الحيلة فالمحمد لله على سلامتك »
 فشعر سعيد بنفضل خولة واحس بااعطاف خوها ولكن حبه قطاماً ما زال
 غالباً عليه قائلاً على قلبه لا يترك له سبيلاً الى سواها

وبعد التأمل رهه قال « وما العمل الا ان اني عازم على الكوفة عاجلاً ولكنني لا
 ادرى ما الم بعد الله ولا ما يأول اليه حاله هل علمت شيئاً عنه ؟ »

فتشاغلت خولة عن الجواب باصلاح ثوبها كأنها تحاول اخفاء ما تعلم فظاهرها
 لم تسع كلامه فاعاد السؤال . فقلت « لا يعلم المستقبل الا الله »

فلم يعجبه جوابها فقال افصحي عما تعلمته يا خولة

قالت اعلم ان عمراً امر بقتل اولئك العلوبيين في فجر هذا الصباح ولكن من
 يدرى النتيجة

فاحتاج قلب سعيد ايا اخلاق وشعر كأنك صببت عليه ما غالباً وقال ماذا
 تقولون هل يتلون عند الله ما العمل كيف يتلونه
 فقالت « دع الامر لله وادذرني اني لا استطيع النساء معك طوبلاً لولاً يتبه
 والدي لغبائي فلا انجو من التسلل . واما انت فخيانتك في اشد الخطير فيجب عليك ان
 تخرج من النسطاط حالاً »

فقطع كلامها وقال « كيف اخرج وعبد الله سيفقتل غداً انه صديقي وان عمي
 واعز من اخي كيف العمل يا رباه »

قالت له لا خير في الواقع فان شرّا واحداً اهون من شرّين ومع ذلك ان
 الوقت ضيق لا مجال فيه للسعى او الجهد عن سبيل لانقاد حياة عبد الله اذا قدر الله
 قتله ونحن الان في نحو منتصف الليل وسيئنة التسلل عند الفجر . . . قالت ذلك
 وسكتت هنيهة

فابتدرها سعيد قائلاً بلوح لي ان اوح لعمر و بعزم بعض الناس على قتاله واحذره من الوقوع في الخطر الا نظيرته يعني عن قتل عبد الله مكافأة لهذا الجحيل قالت «ربما عنا ولكن لدها و شدتو يظن في قولك السوء فيه بضم عليك وبوجل قتل عبد الله حتى يأتي ١٧ رمضان فاذا لم يظهر صدق قولك قتلكما جميعاً . فهل انت ضامن ان المؤامر على قتل عمرو يأتي في الوقت المعين وخصوصاً اذا علم باطلاع عمرو عليه . فلا تكون النتيجة الا انك القيت بيدك الى الفهمكة . ولكنني ارى ان تترك هذا الامر الى اهتمي الى وسيلة استغنى بها والدي فاذهب بنفسك الى الامام واطلعة على هذا السرّ فاذا رأى ان يقبض على فلينعمل بالمستقبل في يد الله . اما انت فسرح الى الكوفة قبل فوات الفرصة ان الوقت قصير . . . ووقي الان اقصر منه . دعني اذهب الى والدي قبل ان يعلم بغيافي فيعرقل مسامعي ثم ارى ما يكون . وسر انت الى الدبر الذي كنا فيه في اول هذا الليل وساريك بالخبر . وقبل ان تصل الدبر ازع عنك النتاب والازار وادخل بثوب الرجال ورئيس الدبر يعرفك فلا يستشكك » . قالت ذلك وانصرفت تلمس متزها وهو يود لوانها بقيت

الفصل الرابع والاربعون

* الخلوة *

ف لما خلا بنفسه مشى وهو غارق في بحوار المواجه لا يدرى الى اين يسير . فما شعر الا وقد خرج من الفسطاط ووصل الى حافة ترعة ظنها الاول وهلة النيل . ثم ما لبث ان رأى ضيقها فعلم انها خليج . وكان الظلام حالكاً فوق برقة وافكاره تائهة في عبد الله ومصيره وكلما تصور ما هو فيه من الخطر هب جسمه واقشعر بدنه .

وظل واقفاً وقد نسي موقنه لاشغال باله فرأى بالقرب منه خلة فاقترب منها وجلس على حجر تخنثها واستند ظهره اليها وجعل ينكر في حاله وحال عبد الله وما جرءه الى تلك المدينة من الجماعات الهمامة . فتذكرة قطاماً ووعودها وما مرّ له معها من الاحوال . وكان الجوهاد لا يقدر الا تقيق الضفادع على شاطئ ذلك الخليج

فاختذ نقيتها شوًما على عبدالله ونمور انه لا يطلع النهار حتى يكون في عداد الاموات . فلما تخيل ذلك اقشعر بدنه فوقف بعنته وقال في نفسه « أأبقي انا هنا وعبد الله في حال الخطر الشديد ... ماذا تكون حالة مع عمرو ... هل يقتله ام يستجبيه آه ... ماذا اعمل هل امكث في الفسطاط لانقذ عبد الله من القتل ام اسير الى الكوفة لانقاد الامام علي ... ولكن ما النائمة من بقائي هنا وان العاص قد عوّل على قتل عبدالله في صباح الغد ... لابد من المبادرة الى انقاده » قال ذلك ومشى بمحاسب الخليج جنوباً وهو يفكري في مجرى الماء هناك ونفيق الصداع يعترض مجرى افكاره . ثم تأمل في ذلك الخليج فتذكر انها خليج امير المؤمنين وقد حفظه عمرو بن العاص لما فتح مصر من عشرين عاماً لارسال المؤونة عليه الى الحجاز تلافياً لما كانوا يخافونه من القحط هناك . وكان قد حزن باشارة الخليفة عمر بن الخطاب^(١) لما كان كرسي الخلافة في المدينة . فتذكر حال الاسلام في ذلك العهد وما كان فيه من اجتماع الكلمة وما فتحته سيف المسلمين من البلاد الواسعة في الشام ومصر والعراق في بضع عشرة سنة . وكيف تحولت تلك السيف الباتحة بعد مقتل الخليفة عثمان الى الفتنة فاقسم المسلمين فيما بينهم واشغلوا عن تأييد سلطانهم بالحروب الاهلية حتى اصبحوا يقتلون خلفاً لهم ما انزل الله بهما من سلطان . واقباع ما آلت اليه تلك الفتنة انهم تأمروا على قتل امرائهم وخصوصاً الامام علي وهو ابن عم الرسول وخيبة قواد المسلمين . ولا ذنب له غير السعي في تأييد الكتاب . ولما نصور تلك الحال انقضت نفسه وغلب عليه الكدر حتى كادت تخنقه العبرات وهو لا يدرى أينكي عبد الله ام يبكي الجامدة الاسلامية ام يبكي الامام علياً ام يبكي سوء بخنو الذي جرّه الى تلك المدينة حتى وقع في تلك الحيرة

الفصل الخامس والأربعون

* خليج امير المؤمنين *

ثم وقف بعنته والتفت الى ذلك الخليج وجعل بخطابة قائلـاً « ألسـتَ الـخـلـيـجـ

الذى اشار امير المؤمنين عمر بن الخطاب بمحرك ؟ قل لي يا تلك الذى يجري فيك هل علم ابن الخطاب لما اذن بذلك ان دولة الاسلام سيفضى عليها بالانقسام حتى يحمل عامتهم على خليفتهم فيقتلوه ثم يختلفون على الخلافة فيقتسمونها ثم يختصون على اقتسامها . هل خطر لاس العاص يوم نزل وادي النيل وحاصر هذا الحصن المنيع حصن بابل انه سجرد سيفه على المسلمين ويقتل ابن ابي بكر حرفاً بالنار ثم ينقم على ابن عم الرسول فيستخرج الخلافة من يد بالحيلة . . ابن انت يا امير يا امير المؤمنين يا جامع كلمة المسلمين . كانت المدينة مقر الخلافة وانت على كرسيها فاصبحت منقسمة على نفسها يدعها غير اهلها . . آه ياري ما هذ الحال يا ليني مت قبل ذلك . . هنيئا لك يا ابا رحاب ان عظامك ساكتة في هذا التراب وروحك تنتظر لقاء ربه في يوم الحساب . . اما اما الشقي فاني نائمه بعدك نتنازعني عوامل لا ادرى مصدرها ولا اعلم مصيرها . أأبقى هنا لأرى مصير اخي عبد الله ام اسرع الى الكوفة لانبي الامام بما نأمروا عليه؟ . . ارشدني يا جدي وياسدي . . افني هنا؟ وما المائنة من بقائي هل يعنو عمرو عن عبد الله فينقى حياً فاراه . . . ؟ لا اظنه يفعل . . اذاً ماذا يفعل ايقتله ولا استطيع الدفاع عنه ؟؟

«آه يا خولة . . . بجيئ لي ابتك ملاك ارسلك ربك لترشديني الى سواء السبيل . . . فهل يتم لي السعد على يدك فتنفذين عبد الله من القتل . . . »

* * *

الفصل السادس والاربعون

* الإغراق *

وفيما هو يحدث نفسه ويتشي الهوبناه على تلك الضفة سمع لغطاً وحركة عن بعد فاجفل ونقدم نحو الصوت وهو يحدق بنظره فعلم انه بجانب فم الخليج عند انصاله بالنيل ورأى في النيل سفناً كبيرة وسمع لغطاً عيناً كان لصوصاً يهوسون فيما بينهم بمحاذرون ان يسمعهم احد . . وكان هولايزال بلباس النساء فخاف ان يراه احد فيخترش بو فينكشف امره فازوى وراء جميرة كبيرة بقرب الشاطئ ثم خاف ان

يدنو منه أحدٌ فيراه . فتسلق فرعاً من فروعها واخذها بين الأغصان والأوراق وهو يحذر أن يمحق الورق . حتى إذا استكثن على غصن غليظ جعل يتفرس بما يراه فإذا هناك بضعة وعشرون رجلاً يحيطون ببضعة عشر آخرين كانوا مسلولون يسوقونهم إلى قارب كبير وسع بعضهم يقول « إلى أين أنت ذاهبون بما في هذا البحر أَلْعَلَّكُمْ تَرِيدُونَ اغْرِافَنَا » فشيخه أحدهم قائلاً « وما علينا إذا اغرقناكم وإنتم عصبة شريرة نا مرتم على نصرة رجل قتل الخليفة عثمان »

فصاح آخر « أهـنـ اعـمالـ ابـنـ العـاصـ يـقـتـلـ الرـجـالـ غـيـلـهـ . اـمـاـ كـفـاهـ اـنـ يـلتـمـسـ

الخلافة لصاحبـ بالـ حـيـلـةـ حتـىـ يـقـتـلـ نـصـرـاءـ الحـقـ غـرـقاـ . . . اـمـاـ تـخـافـونـ اللهـ الاـ تـخـافـونـ

يومـ الـ فـيـامـةـ »

فصاح واخر وقال « لا تخـفـ يا فلانـ اـنـاـ اـمـرـناـ بـقـلـمـكـ الىـ جـزـيـةـ الـرـوـضـةـ

تبـقـونـ فـيـهاـ اـيـاماـ » . ثم عـلـتـ الضـوـضاـءـ فـعـلـ سـعـيدـ اـنـهـ اـنـصـارـ عـلـيـ الـذـيـنـ قـبـضـواـ عـلـيـهـ

تـلـكـ الـلـيـلـةـ فـيـ عـيـنـ شـمـسـ . فـتـحـقـقـ انـ عـمـراـ اـشـارـ بـقـتـلـمـ غـرـقاـ فـيـ النـيـلـ فـارـتـعـدـتـ اـعـضـاؤـهـ

حتـىـ كـادـ يـقـعـ مـنـ الجـيـزةـ وـحدـثـةـ نـفـسـهـ انـ يـنـزـلـ لـنـصـرـهـ . وـلـكـنـ الـخـوفـ غـلـبـ عـلـيـهـ

اعـلـمـ اـنـ اـعـزـلـ وـاـنـهـ جـمـاعـةـ كـبـيرـ وـكـلـمـ مـسـلـحـونـ . فـلـبـثـ بـرـهـةـ كـاـنـهـ سـنـةـ وـهـ يـرـجـفـ

مـنـ شـتـ النـاـ ثـرـوـتـنـصـتـ لـعـلـةـ يـسـعـ صـوتـ عـبـدـ اللهـ اوـ بـرـاهـ فـلـمـ يـسـعـ شـيـئـاـ وـلـمـ يـكـنـ يـطـعـ

اـنـ يـرـىـ اـحـدـ اـلـشـأـلـ الـظـلـامـ وـلـاـ هـوـ يـأـمـنـ اـنـ يـجـيـئـ مـنـ اـيـديـهـ لـكـثـرـهـ وـلـفـرـادـهـ

وـلـمـ يـكـنـ إـلـاـ بـضـعـةـ دـقـائقـ حـتـىـ اـصـبـحـ الـكـلـ فـيـ القـارـبـ ثـمـ اـدـارـتـ الدـفـةـ وـهـ

يـنـظـرـ اـلـيـهـ وـلـمـ يـقـلـعـواـ حـتـىـ نـدـمـ عـلـيـ سـكـونـهـ وـوـدـ لـوـاـةـ جـاـهـرـ بـنـفـسـهـ لـعـلـهـ يـسـطـعـ بـنـجـةـ

اوـلـثـكـ الـمـظـلـومـينـ اوـ يـقـتـلـ . وـلـكـنـ تـذـكـرـ انـ بـقـاءـ حـيـاـ ضـرـوريـ لـاـنـقـاذـ الـامـامـ عـلـيـ

فـمـكـثـ بـرـهـةـ كـاـنـهـ فـيـ حـلـمـ وـهـ يـتـرـدـدـ بـيـنـ الدـمـ وـالـاسـفـ وـيـلـتـمـسـ عـذـرـاـ السـكـوتـوـ حـتـىـ

تـوارـتـ السـفـيـنةـ عـنـ بـصـنـ فـيـ لـجـيـ الـظـلـامـ فـاـ يـقـنـ انـ عـبـدـ اللهـ لـاـ يـلـبـثـ انـ يـبـيـتـ طـعـامـاـ

لـلـأسـماـكـ اـذـاـ كـانـ بـيـنـ اوـلـثـكـ . وـهـوـ لـاـ بـدـ اـنـ يـكـونـ يـنـهـ لـاـنـهـ عـصـبةـ وـاحـدةـ نـالـواـ جـزـاءـ

وـاحـدـاـ .



الفصل السابع والأربعون

﴿ الندم ﴾

فليست هنئه يذكر بما مرّ به فاشتدت بو هاجسة حتى بكى ونزل من الجميرة وهو يلطم وجهه ويندب عبدالله ويبكي حالة وبوشع نفسه لضعفه وتردداته . فقال «أأرى عبدالله يساق إلى القتل ولا أنصرُ يا للخيانة يا للخيانة ... كيف اتخلى عن زجل ذهب ضحية حبولي ولو لولي لم يأتِ هن الديار ولا رأى ما رأه من البلاء ... آه ياربي ما النائمة من حياتي ... » ثم سكت هنئه وهو يستحبح حواسه ويتأمل في موقفه فرأى انه ارتكب خيانة عظيم . فقال «أني لا استحق البقاء حياً ولا بد من ان الذي نفسي في هذا الماء اعلم الذي فيه حبيبي عبدالله فتنذهب بقايانا معـاً » قال ذلك وهو ان يافي شامة في النيل فشعر بقوه او قته بفتحه وقد فكر في الامام علي وما يصدق به من الخطير فقال « اذا قتلت نفسي انا اقتل علياً معي ... نعم اقتله لاني اذا لم التمس الكوفة وانبهه بعزم ابن ملجم ذهب قتيلاً بذلك السيف المسموم ... آه يا خولة ابن وعدك بانقاد عبدالله ... ولكن ما ذنبك وانت لا تعلمين انهم سيرعون في اغراقو قبل انبلاج الصباح ... ابة دهاء ابن العاص ومكروه ... ولكن سوف ينال نصيحة من اولئك المؤامرين ... يا ليتني اني انا بالمؤامنة وجعلتها فدية لعبد الله ... ولكن قضي الامر ولا خبر في الواقع »

الفصل الثامن والأربعون

﴿ خولة ﴾

ثم سكت وجعل يتأمل في ما حوله ولا يطأوعه قلبها ان ينظر الى جهة مسیر النار . فاراد ان يتحول الى المكان الذي اني منه فرأى شجاعاً مسرعاً نحوه فخاف وتهماً للدفاع اذا رأه يقترب منه . فلما اقترب الشجاع اذا هو امرأة فتعجب لقدومها وحدها في

ذلك الليل ولكنك ما لبست ان تدرس في قيافتها حتى علم انها خولة فخفق قلبها في صدره وغلب الخجل عليه لما رأه من جرأتها وقدومها في ذلك الليل وهي فتاة لعلها اعلم انه لا يحملها على الندوم الا السعي في إنقاذ عبدالله . فخدشت نفسها ان يجنبي سجلاً ولكن البغدة غلبت عليه فدنسنا منها وناداها . فحالما عرفت صوتها صاحت فيرو « اين عبدالله » فأراد ان يحييها فاختنق صوتها وسبقت العبرات فدنس منه وهي تقول « سعيد ... هل رأيت احدا جاء الى هذا المكان وما الذي جاء بك الى هنا »

قال « نعم اني رأيتهم يحملون اوشك الاسرى في قارب »
قالت « وابن هـ ... اين ذهبوا بهم ... هل رأيت عبدالله ... هل هو معهم ... »

قال « لقد حملوه في القارب ولا ادرى اذا كان عبدالله معهم لاني لم اسمع صوته ولا رأيته »

فصنقت بكفيها وقالت « لابد من ان يكون معهم ... آه ما المحيلة الان ... ما كت اظن ابن العاص يجعل بقائهم على هذه الصورة ... وكيف لم تحاول الدفاع عنهم ... »

فأ جاءها والاعذار والخجل يتباذعاً و قال « لم اكن اعلم ان عبدالله معهم وهي اني علمت فكيف استطيع انقاذه ولانا فرد اعزل وهم جماعة مسلمون ... » فصدمت خولة برهة ثم قالت « لقد فعلت حسناً فاقويت على نفسك لإنقاذ الامام علي لان حياته موكولة الى سرعة رجوعك »

فقال بهنة « وانت ما الذي جاء بك وكيف عرفت بسيرهم »

قالت « علمت ذلك من عبدهنا وكانت قد دبرت حيلة ادخل بها على عمرو لاستئصاله في قتل عبدالله باطلاعه على سر المواقف فعملت امه بعث بهم هذه الليلة لاغراقهم في النيل خفافة ان يترتب على قتالهم جهاراً فتهه وهو يعلم ان انصارهم كثار في الفسطاط . فاسرعتم اعلى استطيع انقاد عبدالله بمحيلة ... فلم يساعدني الفدر ... وآسفاه عليك يا عبدالله ... آه من اهل الظلم ... ان عمراً قد غلب علياً بمحيلته فاخراج الخليفة من بيته لجهل ابي موسى الاشعري ولكن لن ينجو بنفسه من غائلة

المواطنين . . . »

ثم دنت من سعيد وقالت « أعلم ان فدان عبد الله مصيبة علينا لامة شهر ولتكن قضى خصيصة واجباته على اتنا نرجوان بعض عن خسارته باتفاق الامام علي من خطر النقل فاركب الى الكوفة على عجل وتم المهمة التي جئت من اجهاها . فها قد عرفت اسم المقاوم وانه سار الى الكوفة فاسرع ما استطعت قبل فوات الفرصة »
وكان سعيد مع شئ تأشن ما رأه تلك الليلة من الاحوال لا يغفل عما ابنته خولة من الحمية والبسارة وقد ازداد حباً لها واعجاباً بشهامها

وفيما هو يذكر في ذلك ابتدئته قائلة « اعلم يا سعيد اني خرجت الليلة من بيت والدي تحت خطر النقل وانا احسبك في الدبر كما نواعدنا وكت عازمة على الذهاب اليك لا استحيك في سرعة المسير ثم اعود الى والدي انقل له سبيلاً في خروجي . اما وقد التقينا هنا فاني استودعك الله ونفس منك ان تسرع في الذهاب واني عائنة الى بيننا وسأرسل اليك جلائعاً عبدهنا وامن ان يسير في ركبك الى الكوفة »

الفصل التاسع والأربعون

* السفر العاجل *

فأعجب سعيد بتدبرها وثبات جاشهما ورأى نفسه ضعيفاً بين يديها ولم يستطع غالتها فقال لها « لا ثبت ان يبيين لها الخيط الا يض من الخيط الاسود . وها اني خارج الى جبل المقطم فهل يوافيكي عبدك وجملك الى هناك »

قالت « انه سوافيتك حالاً سر براسة الله واحد ان تفونك الفرصة . ان ابن ملجم قد سفك الى هناك . . هل فهمت ذلك ؟ » قالت ذلك ومدت يدها اليه فصافحها ويدت ترتعش وقد نسي حالة لحظة ثم تذكر ما هو فيه من الامور الهامة . وربما اضطرب قلبها بين يدي خولة ولكن حبه قطاماً ما زال غالباً عالياً على انه عوّل في باطن سمع اذا نجح في مهمته ان لا يدع خولة تخرج من يده فجعل لها مقاماً في قلبه . فقال لها « ارجوان تذكرني وتدعي لي بال توفيق »

فالت وقد فهمت مراده « سراني معلمك وإن كنت في النسطاط وارجو ان يجعلعني بك يوم ينجو به الامام من ايدي الظالمين وبنال ما يتحقق من الاستقلال بالخلافة » فانخذل قولها تعينا له لافتخاره بالحب ونحوه وهو في مهمة ارفع منزلة من ذلك اما هي فاسرعت في وداعه وألحت عليه في سرعة المسير وأكذلتة ان يلاقي عبدها والجمل وراء المقطم ثم تحولت بسرعة الى الفسطاط فلما تركته وحدها حول وجهه الى اليم حيث كان القارب . وتأوه وتحسر وقال « استودعك الله ايها الصديق الحميم استودعك الله ايها الاخ الحبيب لا غزو اذا ذهبت ضحية في سبيل نصرة امير المؤمنين لك اذا قضيت عزيزاً وانت حي ستلقى ربك باسم مفترقاً فادع لي ان القاء منتصراً على القوم الظالمين » قال ذلك وتحول يائساً جبل المقطم ولم يدركه حتى انباج الصبح فلقي العبد قد سبقة الى هناك ومعه الجمل وسائر معدات السفر

الفصل الخمسون

* تمام الحيلة *

فلتركت صاعراً يطوي اليديه ولنعد الى قطام في الكوفة وما كان من دهاءها ومكرها بعد سبع . فقد ذكرنا ارسالها عبدها الى الفسطاط للوشایة بسعید وعبدالله ثم خلت بلباقة فقالت لها « لقد ثقت لـها الحيلة في قبل هذين المغرورين فـانها مقتولة لا محالة . بـني علينا ان نعلم من هو المؤامر على قتلـعلي فـاذا عـرفناه نـشـطـناه عـلـى قـتـلـه وسـاعـدـناه فـانـقـيـاتـيـ كلـها تـصـرـ فيـ ذـلـكـ »

فيـضـحـكتـ لـبـابـةـ وـقـالـتـ « اـنـهـ اـمـرـ سـهـلـ فـانـ عـبـدـكـ رـيحـانـ مـاهـرـ باـسـالـيـبـ الدـهـاءـ مـثـلـ سـيـدـتـهـ وـلـاـ نـظـرـةـ الاـ عـادـاـ اـلـيـناـ بـالـخـبـرـ اليـقـيـنـ وـاـمـاـ نـحـنـ يـخـرـيـضـ ذـلـكـ المـؤـامـرـ عـلـىـ قـتـلـهـ فـهـوـ اـسـهـلـ وـخـصـوصـاـ اـذـاـ رـأـيـ هـذـاـ الـوـجـهـ الجـمـيلـ فـاـنـهـ مـفـتـنـ بـهـ لـاـ مـحـالـةـ فـاـ عـلـيـكـ حـيـثـ الاـ اـنـ تـعـدـهـ بـالـزـواـجـ وـتـجـعـلـيـ قـتـلـ عـلـيـ مـهـرـاـ حـلـلاـ لـكـ كـيـفـ رـأـيـتـ رـاـيـيـ ؟ـ »

فقالت قطام بورك فيك يا خالة والله املك معتبرة عن احساسي . اما عنده بالزواج فهو امر سهل على . ولا نظينا نحتاج في البحث عن ذلك الرجل الى كبير مشقة فانه اذا دنا المبعاد المضروب لا بد من قدومه الى الكوفة واذا جاءها فلا بد من ان يطلع احداً من اهلي على عزمه اعلمها انتا على دعوته . فاذا عرفناه هان علي كل عسير صدق القائل « كل سرجا وز الاثنين شاع » فلم يدخل شهر رمضان حتى نحدث اهل الكوفة في حادث فظيع بمحاجفة على حياة امير المؤمنين وكان الناس يتداولون ذلك الخبر هساً وهم لا يعلّمون بولاه غير مسند الى شاهد ولا احد عرف القائل . فضلاً عن علم العقلاء منهم ان امثال تلك الاشاعات جائزة في مثل ما كان فيه الامام علي يومئذ . ولم يفت الامام واهل حاشيته شيء من تلك الاشاعة ولكنهم لم يعبأوا بها وحملها اهله واصحابه على اشاعات ينشرها ذوو الاغراض . وما تحسن الاشاره اليه املك قلما ترى حادثاً فظيعاً لم تقدمه الاشاعات المتبعة لقرب وقوعه . وهو سر لا يفهمه ومهما يكن من الامر فان اهل الكوفة كانوا يتحدثون سلاء بمحاجفة على امير المؤمنين ولكن اكثراهم كانوا لا يكتترتون

ووصلت ايام ودخل شهر رمضان فاصبحت قطام قلقة لتعرف من هو المؤامر على قتل الامام علي لتنصر او تخرصه . فلما اقترب اصف الشهر ولم يأت احد ولا سمعت باحد ظنست المؤامرين عدوا عن عرهم تهباً وفرقوا واستطاعت عدوها ريحان وقد كانت في انتظار قدومه لعلها . تسمع منه شيئاً عن اولئك المؤامرين ولذلك نسأله عما آلت اليه حال سعيد وعبد الله . على انها لم تكن تشك في وقوعها في الخ

الفصل الحادي والخمسون

﴿ عود ريحان . ﴾

واصبحت قطام في الخامس عشر من رمضان والباب يُقْرَع وكانت لبابة تبيت عندها بعد سفر ريحان . فنهضت لبابة فسمعت جماعة جمل عرفت انه جمل ريحان فاسرعت الى الباب ففتحته فاستقبلها ريحان فقبل يدها وهو لا يزال بلباس السفر ودخل .

توا الى غرفة سيدته فلما رأته اشمت له ابتسامة عوضت عليه كل شفائه . فتقدمن لنقيل يدها وهو مشرق الوجه اشاره الى نجاح مسعاه . فقالت اني اقرأ آيات البشر على وجهك وان كان اسود اللون فاقصص عليّ تفصيل ما أتيته من آيات الدهاء والمهارة

فقال وهو ينفض الغبار عن لحيته ووجهه « ركبت الى الفسطاط فوصلتها يوم الخميس قبل وصول سعيد وعده الله يوم غسرت نوا الى الامير عمرو بن العاص وقصضت عليه خبر الفادمين وان في الفسطاط جماعة من انصار علي مجنعون في عين شمس كل جمعة . فاما رئيس شرطه ان يتماماً للوقت المعين وخفت ان يهاجموا المكان قبل وصول سعيد وعبد الله ولكنها وصلا في اليوم التالي وذهبوا الى المخنم وقضى الشرطة عليهم جميعاً ولكن لم ارسيداً في حملة الاسرى »

فقطعت قطام كلامه قائلة وهل قضوا على جماعة كبيرة من اواتك الانصار

قال قضوا على نحو عشرين وعده الله معهم
قالت وسعيد ؟

قال لم اره واظنه تأخر عن الاجتماع فلم يحضر فتحا بنفسه

قالت وماذا فعلوا بالاسرى

قال ساقوه الى النيل واما تهم غرق في الليلة التي قضوا عليهم فيها
فاشرق وجه قططيم ثم انقضى بفتحة ولابة تنظر اليها كأنها تلذذ بالتأمل في
ملائعاها . فلما رأتها اقبضت همت بها وقالت ما المالك ؟ ما الذي كدرك

قالت ان سعيد لا يزال باقياً فاخاف ان يعرقل مساعدينا

قالت لابة لا خوف منه لانه كما نعلم سبط القاتب سهل الانقياد تنطلي عليه
الحيلة سهولة . واما عد الله رفيقة فقد رأيت فيه دهاه ومكرًا فالحمد لله على
نجاتنا منه

قالت صدقت ولكن سر المؤامنة عند سعيد . فاخاف اذا جاء واسأ عليه
ان يحيط عليّ بنفسه فيذهب سعينا هباءً مشوراً

فاطرقت لابة سره ثم التفت الى ريحان وقالت « هل عرفت الرجل المؤامر
على قتل عليّ »

قال علمت انه من بي مراد واسمه عبد الرحمن بن ملجم
فبعثت لبابه وصاحت أأن ملجم هو . . ؟ لقد هان الامر
فقالت قطام وهل تعرفينه

قالت اعرفه جيداً وهو جريء قل ان يقدم على مثل هذا العمل سواء وادا كان
عبد الرحمن بن ملجم هو المؤامر فقد لنا المaram فانه يحب المحسان ويستهلك في
سبيل مرضاهن تم ادانت فمها من اذن قطام وقالت ولا اشك اذا راك الا خاطبتك .
تم تحولت الى ريحان فقالت وهل رأيتها قبل مجيك

قال لا ولكنني سمعت انه سافر الى هنا يوم وصولي المسماط وكانت اظهة وصل
الىكم ولا اشك انه اذا جاء قدم اليكم لأنني آنسنت من خبر حزنا هناك ما يدل على
ذلك فهم يعتقدون فيما الكون الشديد لعلي وانا سعيد قتلها وخروج الامر من يدك .
ولذلك فاما لا اظن المؤامر اذا انى الكوفة الا مكاشفا بعض اسيادي من اخونك
او اعماك

فقالت والله ألا سرت الى اهلي ومحنت عن الرجل فاذا سمعت بخبره إئنني على
عمل واحد ان يعلم سائقك مرسل من قبلي لهن العافية واست فطين عاقل ولا توقع نفسك
في ما نلام عليه

وخرج ريحان ولم يدل . تباهي فتشعرت لبابه الى حدبة البيت فوقبت به في ظل
خلة وهمست في اذيه قائلة « اذا لقيت الرجل قل انه ان خالتك لبابه هنا وهي ترید
ان تراك لامرها » وعجلة بالمجيء واذكر له اني مقيدة في منزل سيدتك قطام واحتل
في حدبيتك حيث يفهم مثلك ما عليه سيدتك من الحسن والجمال واني ربما ساءدته
على الزواج بها . واست فطن عاقل لا تحتاج الى تدريب في ذلك . فقبل ريحان
يدها وهو يصحك ويهز رأسه كأنه يقول « يظهر انك لا تعتقدين فطامي واولا
ذلك لم يكن ثمت داع لهذا البصرج »

الفصل الثاني والخمسون

* لبابة وابن ملجم *

وانصرف ريحان وعادت لبابة الى قطام وملامحها تدل على اعجابها بدهاء
قطام وابتسمت وهي تقول لاربي عندي اننا فزنا بها يريد وقلبي يحذشي ان علياً
سيقتل ويشفي غليلنا منه على اهون سبيل

اما قطام فطلت صامتة وقد اقطبت حاجيها كأنها تذكر في امر ذي بال
فقالت لها لبابة ما بالك يا قطام ما الذي حدث لك فاوجب هذا الاهتمام
قالت اني خائفة يا خالة

قالت ما الذي يخيفك

قالت اني خائفة من سعيد فقد قال لنا ريحان انهم لم يقبضوا عليه في النسطاط
ولا بعد انه اطلع على اسم المؤامر وموعد القتل ولا اخالة الاً قادماً بخين الى علي فاذا
اخبره بأمن نعرقلت مساعدينا وذهب سعينا عشاً

فقالت لبابة وما الرأي يا بنية

قالت لا بدّ لنا من تدبر الامر بالحكمة وتدراك الحادث قبل وقوعه

قالت هات رايتك

قالت ارى أولاً أن نسعى في امساكه عن الذهاب الى علي . اذ قد يتراهى له
ان يسير اليه حال وصوله الكوفة

فقالت وهذا سهل فاننا نبعث ريحان فللاقيه في مكان خارج الكوفة لا بد له
من المرور فيه فاما ان يوْجَنَ عن دخول الكوفة او ان يدعوه اليها بمحنة اشتيافك
الشديد اليه !! ولا اشك انه اذا سمع بشوقك نسي كل شيء وطار اليك . ومتى
جاءنا استيقنناه باي حيلة كانت وإذا لم ينق مختاراً ايقنناه محوراً . ما قولك ؟

قالت ارى مثل رايتك ولكننا الان في الخامس عشر من رمضان ولم يبق الا
يوم واحد قبل اليوم المعين فلا بد من المبادرة في ارسال من يوقفه خارج الكوفة
او يستقدمه اليها وريحان قد سار الى اهلي ورها ابطأ علينا

قالت لبابة دعي هذا اليها اني ذاهبة في اثر ريحان فابعثه الى خارج الكوفة

وأبحثت عن ابن ملجم بمنسي وذلك سهل على لاني أعرفه شخصياً . قالت ذلك وترقعت وتناولت عكازها وخرجت نعدوا ولا عدو الشباب وخلت قطام ب نفسها فتأملت بما هي فيه من الامور وراجعت في مخيلتها ما دبرته من الحيل في سبيل قتل الامام فرأيت انها احسنت بارسال ريحان فإذا تجح في اتفاف سعيد وبتحجت لبابه في استئدام اي ملجم وتم لها اغراه وتشيعه نالت هي بغيبتها وانتفمت لايها واخيها . ولما نصورت وقوع ذلك افبضت نفسها لفظاعة ذلك الامر ولكن شوقها للانتقام هوَن عليها كل صعب

وكانت قطام زكية المؤاد منوقة الذهن ولو انها كانت حسنة الخلق رقيقة العواطف واستخدمت ذكاءها وفطنتها في سبيل الخير لا تأت باعمال يعجز عنها اعظم الرجال ولكنها خلقت شريرة شديدة للانتقام فاستخدمت تلك الجوهرة الثمينة في سبيل الاذى . وذلك كثيراً ما يحدث بين الناس اليوم وغداً . فترى انباساً خصتهم العنابة بذكاء ومهارة وصفاء ذهن فيصرفون تلك الفوبي في سبيل الشر وبوجهونها الى الاضرار بالناس طوعاً لمطامعهم او رغبة منهم في انتقام او نحو ذلك فـأعمـلت قطـام فـكرـتها بعد ما بهـا هـا من ضـروبـ الحـيلـ فـوجـدتـ اـمـةـ لاـ يـزالـ يـنـصـهاـ اـحـيـاطـ وـاحـدـ لـاـ بـدـ مـنـ تـدارـكـهـ . وـذـالـكـ اـنـ سـعـيدـ رـهـاـ لـاـ يـلـقـيـ بـرـيحـانـ لـاـ خـلـافـ فـيـ الطـرـقـ اوـ رـهـاـ النـقـيـ وـوـلـمـ يـصـعـ اـلـىـ قـولـهـ وـالـنـسـ الـذـهـابـ اـلـىـ الـامـامـ عـلـىـ فـأـ طـلـعـةـ عـلـىـ سـرـ المـوـاـمـرـ . فـلـمـ نـصـورـتـ ذـالـكـ خـفـقـ قـلـبـهاـ وـاضـطـيرـتـ حـوـلـهـاـ وـنـهـضـتـ الـحـلـ وـجـعـلـتـ نـشـيـ فـيـ غـرـفـهـاـ ذـهـابـاـ وـيـابـاـ وـخـرـجـ مـنـهـاـ اـلـىـ الـفـرـفـةـ الـاخـرىـ وـهـيـ تـوـدـانـ نـعـودـ لـبـابـهـ لـتـدـاـولـ وـيـابـاـهـاـ فـيـ هـذـاـ الـامـرـ وـدـمـتـ عـلـىـ اـرـسـالـهـاـ فـيـ تـلـكـ الـمـهـةـ قـبـلـ الـافـكـارـ فـيـ ذـالـكـ

ولما نعاظم بليها خرجت الى حدبة التحيل وكانت الشمس قد تكبدت السما . وانكسرت الاظلال وانتفق وقوع شهر رمضان في تلك السنة (٤٠) في ابان الشتاء ، لانه بدأ في العاشر من بنابر (لك ٢) ^(١) وكان يوم خروج قطام الى المدينة يوماً صحا جوه نحسن الخروج به الى الخلاء في ساعة الظهر الاستدفاء بأشعة الشمس . فمشت بين التحيل متبعنة عن السور الذي بي الطريق الى ما بي الجين وهي لا تتبه لما حولها من صريراً او تغريداً او نقيقاً ولم يكن هنها الا أيام مرامها

الفصل الثالث والخمسون

﴿لقاء ابن ملجم﴾

قضت في الحديقة ساعة وهي وحدها في كل تلك الدار فملأ الشيس وحرارتها فعادت نحو البيت . وفيها هي عائنة سمعت اماماً يتكلمون عن بعد فوقت على ارومة نخلة كانوا قد قطعوها لارقوه منذ عامين و التفتت نحو الطريق فرأت شجعين ولم تلبث ان عرفت انها لبابة ومعها رجل غريب الذي علمت انه عبد الرحمن ابن ملجم . فعمّلت اتهابها الى اتمام هذه الحيلة فدخلت البيت على عجل وكانت قد رأت لبابة تكلم عبد الرحمن وتشير اليها باصبعها . ولما دخلت الغرفة عمدت الى النافذة فارسلته على رأسها وجلست على وسادة تعودت الجلوس عليها اذا استقبلت الزائرين من الغرباء . واباحت صامتة تنتظر دخول لبابة وما عنم ان سمعت صوت ضحكتها قل ساع خلق نعاهما . وبعد قليل دخلت لبابة وحدها فاستقبلتها قطام استقبال المشتاق ودعنها الى الجلوس

فقالت لا اجلس قل ان ادعوريفاً لي صحبتة لزيارتك

فقالت اهلاً بك وبرفاقت اجمعين مايدخل .

فصاحت لبابة للحال ادخل يا عبد الرحمن

وما انت كلامها حتى وقف في الباب رجل طويل القامة نحيف البدن خفيف اللعنة اشطرها براق العينين بمحبت يكاد الشرر يتطاير منها وعليه العباءة والقطان و العامة في ثار السفر لا تزال بادية على نواعي . وجهه وخصوصاً الانف فقد كان شديد الاحرار . فلما عذر عبد الرحمن نعالة خارج الباب وحياناً ودخل . فردت قطام النعجة وهي تهم بالوقوف وأشارت اليه ان يجلس فجلس الاربعاء وسيقة مستعرض، على حضنه وظاهر من كيفية جلوسو انه شديد الحرث على ذلك السيف كأنه يخاف عالي الضياع ففتحت قطام الكلام قائله الى من يتنسب ضيقها

قال الىبني مراد

قالت والنعم والبركة

فقالت لبابا وهو عبد الرحمن ابن ملجم من القراء المشهورين فرأى على معاذ بن جبل^(١). اظنك سمعت به

قالت انت تعلمين حالى يا خالة بل انت ادرى مني بما هو شاغل بالي من الاحزان وال المصائب فلم يبق لي عقل اذكر به شيئاً غير مقتل اخي واي . . آه من الظلام اهل العدوان . قالت ذلك واجهشت بالبكاء وما اسهل ما تستنزل به الدموع

الفصل الرابع والخمسون

﴿ خطبة جديدة ﴾

وكان عبد الرحمن ينظر اليها من طرف خفي ويلاحظ ملامحها فافتتن بها اياها افتنان وكان قد سمع بمحاجتها وود لوابتها تكون له . ولما لقيته لبابا لم تذكر له شيئاً ما عرفه عن عزمه ولكنها قالت له علمت بمحاجتك الكوفة واعلم انك تحب الحسان واعرف واحدة منها ليس اجمل منها في العراق . فجاءه ولما رأاه تحقق ما سمعه فانشغف بها ومن عجيب امر هذا الرجل انه مع عظم ما انتدب نفسه له من الامر المايل بقتل امير المؤمنين وقرب اليوم المعين لم يشغلة عن مغازلة الحسان شاغل . فلما سمع كلام قطام ورأى اجهاشها قال وما الذي يحزن مولاتي ؟ ألا استطيع تفريح كربتها

فقالت لبابا لا يخفى عليك ما اصابها على اثر اقعة التهروان فقد قتلت فيها والدها واخوها رحهما الله وهي لا يضي يوم لا تذكر تلك المصيبة وتبكي ذهنيك الفقير بن ولكنني اريد ان اشغلاها عن هذه الاحزان بن يليق بها . . .

فهم عبد الرحمن انها تلمع الى خطيبها له فقال اني والله اكون اسعد حظا من الجميع اذا تم لي ذلك

فتجاهلت قطام وقالت وما الذي تسميه يا سيدى

قال لقدر جهلك خاطباً وانت في احزانك عساي ان استطيع تفريجها فاطامي مني ما نشائين ما نقر به عيناك

فتهجدت قطام ثم قالت اني لا اعمجب من تسرعك في الطلب ونحن لم نلق قبلاً

فقطعت لبابة كلامها قائلة « نعم انكما لم تلتفقا قبله ولكن لبابة نعرفكم جيداً فإذا اذنت مولاتي بكلمة فأقول انكما انتم خلفتنا لتهيشا معنا »

فسكت قطام فقال ابن ملجم « ومع ذلك فاطمي ما تثنين فيكون لك » فظلت قطام ساكتة برهة تتظاهر بالحياة والتردد انما للحيلة . ثم التفت الى لبابة كأنها تقول لها « اني استعدي ان اقول » فقالت لبابة انا اقول .. اجعل مهرها ثلاثة آلاف دينار وعداً وقيمة

ـ رلم ثم لبابة قولها حتى صاحت قطام « لا . لا يرضيني ذلك ولا مطبع لي في المال كما تعلمين » فقال عبد الرحمن « اطامي ما تريدين » فتظاهرت بالمنع وصبرت هنئها كأنها تستجف بما اقترحة عليهما من المطلب ثم قالت « ان مهرني انا هو قيل علي بن ابي طالب قاتل ابي طاحي »

فابتسم عبد الرحمن ونظر اليها ويدع على قبضة سيفه وقال « ان ذلك وما قالته هذه الحالة سيكونان لك : ثلاثة آلاف دينار وقتل ابن ابي طالب وعبد وقيمة . فان مثلك لا يعز في سبيل نيلها مهر . واعلي اني انا جئت الكوفة هذه الغاية انظري الى هذا السيف (وجرده فلم نصالة لمعانا شديداً) اني اشتريته بالف وسبعينة بالف لا اقل علي بن ابي طالب بـ

ـ فاتسنت وقالت ولكنني ارجوان يكون ذلك عاجلاً لثلاً تفوت الفرصة فقال ان موعدنا قريباً لم يتحقق منه الا يوم وليلة سأقتله في صباح ١٧ من هذا الشهر المبارك اي بعد غد فاطمئني

ـ قالت وكيف عينت اليوم وال الساعة الا يستحسن ان يكون ذلك غداً قال ان بذلك سبباً ساذكاً لك بعدئذ ولكنني اقول الان اني مقيدة في اتخاذ مهمتي في صباح ذلك اليوم

ـ فسكت قطام وهي تتجاهل ما علمته من امر المؤامرة وكانت لبابة عالمة بغياب ريحان وان لا بد من زاد بتناوله الضيف فاستدعت عبدها في اثناء قدومها فجاءه ولعدّ لهم طعاماً تناوله

ـ وما صدق قطام ان خلت لبابة لحظة فاشارت اليها انها تحب مخاطبته في امر ذي بال على انفراد فاحتالت هذه على عبد الرحمن حتى التمس الخروج الى السوق في شغل له وخلت قطام ببابها للبحث في تمام الحيلة

الفصل الخامس والخمسون

﴿ مِهْمَةِ رِيحَانَ ﴾

اما ريحان فان لبابة ادركته في الطريق قبل عثوره على عبد الرحمن فامرت ان يسرع في ملائفة سعيد خارج الكوفة واقتتاليه من اساليب المكر والدهاء ما يكفل نجاح مهمته . فسار اولاً الى ساحة كبيرة في وسط الكوفة تجتمع فيها الدواوين من الفوائل وغيرها . ولا بد للقادم الى تلك المدينة من المرور بها او النزول فيها وقبل وصولها اليها سمع جمير المجال وصهل الخيل وما وصل رأى الساحة خاصة بالدواوين وبينها الناس في هرج بين راكب ونازل ورأى الاحمال ملفاة هنا وهناك فجعل يتفرس بالوجوه لعلة برى سعيداً او احداً من خدامه . فلم ير احداً . فجاء بيت سعيد فسأل عنه فعلم انه لم يأتي بعد . فخرج يلتئم الطريق خارج الكوفة وهو ينظر الى الافق لعلة برى هجاناً او فارساً . فمشي ساعتين ولم ير احداً فوصل الى شجرة كبيرة يستظل بها المسافرون للراحة قبل دخولهم المدينة ولا بد من كأن قادماً من الشام او مصر من المرور بها . فجلس هناك وعيناه شائعتان الى عرض الافق ينكر في حيلة تطلي على سعيد فيستيقظ هناك او يسير الى بيت قطام . فغربت الشمس ولم يأتي احد وكان القمر بدرًا فلم تكن تغرب الشمس حتى طلع البدر واعكس الظلال من الشرق نحو الغرب . فانكلا على حجر وعياته تنظران الى الافق .

قضى ريحان هناك ايام الليل وعياته شاختان وقلبة يخفق وكلما رأى شجراً ظلة سعيداً فائتد بو البرد وهو يكافرو يجادل . وحدثته نفسه ان يرجع فخاف ان يأتي سعيد في اثناء غيابه فيذهب سعيه هباءً مثوراً فالنفث بشيء . وبعد نصف الليل غلبة النعاس وهو يخلد ولكنه لم ينفو على سلطان النوم فاغمضت عيناه على اية لم يتم طويلاً فاستيقظ مبغونا فاسف لما تولا من الرقاد فهو يخاف ان يكون سعيد قد مر او لم ين . فوقف برره ينكر في ماذا يعمل فصبر نفسه الى الصباح فلم يأتي احد فخيله ان سعيداً مر في اثناء نومه فعاد الى الكوفة باسرع من لمح البصر فجئ في ساحتها وسار الى بيت سعيد فتحقق انه لم يأتي بعد فرجع الى الشجرة وقضى معظم النهار تختبئها

او حوطاً كاًنة على جمر الغضا . وهو مع ذلك صابر لا يتذمر ولا يتضجر حتى غابت الشمس وطلع القمر . فقال في نفسه لم يبق الا هذه الليلة فاذا لم يصل الرجل لم يبق ثمت حاجة الى بقائي اذ يكون قد تهذب السهم وقتل علي . فازداد اضطرابه وتنوى ان لا يأتي سعيد فيتخلص هو من تدبير الحيل في اخذه الى قطام وهو مع ذلك لا برجو ذهابه معه لقرب ميعاد القتل

ولم يدن العشاء حتى رأى جملين قادمين عن بعد وعليهما راكمان فاخذناج قلة واصطكثت ركباه وزاده البرد ارتعاشاً . فلما اقتربا وقف وانقدم نحوها فاذا ها سعيد وبلال عبد خولة وكاما ملتهين فعرف سعيداً من قيافته واما بلال فلم يعرفه

الفصل السادس والخمسون

ريحان وبلال

وكان سعيد قد قضى مسافة العاريق في قلق على الامام وما صدق انه اطل على الكوفة فانفرجت ازمه وعوّل ان يسير توا الى منزل علي . فلما وصل الى تلك الشجرة ترجل وترجل عنده على بية الاستراحة هنيهة ثم المسير . فاستقلله ريحان وسلم عليه فلما رأاه سعيد استأنس بو ورد السلام ثم قال الله ما الذي جاء بك يا ريحان قال « ان سيدتي منشغلة بالاطلاق طول غيابك » وأشار اليه ان يدنو منه ليبيتاليه ما اوتهن عاليه من السر . فدنا منه على افراد وانشغل بلال بسياسة الجملين فقال ريحان « ان سيدتي قطاماً ترىك السلام وننول لك لقد اطلت الغيبة عليها انت وسيدي عبدالله »

فتشهد سعيد وقال « لا تذكر عبدالله فقد تركاه في مصر » قال ذلك وهو لا يريد ان يطارح العبد في مثل هذه الشؤون انته وترفعاً فاكتفى بالسكت فسكت ريحان عن سؤاله وهو يعلم ان عبدالله اغرق في جملة من اغرقهم عمرو بن العاص في النيل ولكنه قال « وماذا اقول الان اسيدي هل انت قادم للبيت عندنا الليلة فانها قد اعدت لك كل وسائل الراحة »

فابى سعيد برها نتهازعه عوامل الشوق الى قطام وبراعت الجلة الى علي فرأى

ان ميعاد القتل قد آن فإذا بات تلك الليلة في منزل قطام يمتع برويتها وبشف سماة بمحلو حدتها اصبح في الغد وقد قتل على لان المؤمر لا يتأخر عن فعلته الى ما بعد صباح السابع عشر فقال « اذا ذهبت اليها الليلة اراها برهة ثم اسير الى علي » قال ذلك والتفت الى بلال فرأه منها في اعداد العشاء فناداه باسمه فجاء فلما سمع ريحان اسم بلال اخراج قلبه في صدره ولما دنا منه وفترس فيه عرف انه عبد خولة وكان قد لقيه في الفسطاط وباخ له بهبهه ولم يكن يخطر بباله يومئذ انه سبأني مع سعيد . فارتبك في امن وحاول اخناه حالي لثلا يراه بلال فيعرفه . اما بلال فلما دعاه سعيد اسرع الى ما بين يديه فقال سعيد « ألا ترى ان نسير توًا الى الكوفة » قال بلال « الامر مولي ولكنني اعدت لك طعاماً ألا تتناوله ونستريح هنئه ثم نسير الى حيث نشاء »

قال « ولكن بعض اهلي بعثوا في استئذاني للعشاء » .

والتفت بلال الى ريحان فرأه قد نهر الى جزع الشجن بستر بظلمها فلم يتبه له وكان سعيد قد أنس بلال في اثناء الطريق واطلعة على حديث المؤمرة . فاغتنم بلال تلك الخلوة فقال لسعيد « ألا ترى يا مولي ان تم مهمنا الى جتنا بها من الفسطاط قبل كل شيء اني اخاف ان يكون ذهابنا الى اهلك سبأا في التأخير وهم ربما لا يعلمون الغرض الذي يدعونا الي الاسراع وربما حدث المك بعد العشاء ما يُؤخرك عن تلك المهمة اما اذا انذنا مهمنا واطلعنا الامام على ما خاصه له اهل مالبيه نصي الى حيث نشاء هذا ما اراه والامر المك . على اني قد اعدت لك الطعام الان فاذا شئت اكلت ثم فعلت ما يتراوي لك »

فارتاح سعيد لهذا الرأي ولكنه اراد ان يخبر بلالا باطلاع ريحان على سر الامر فقال له « ولا اخفي عليك ان هذا الهمام (وأشار الى ريحان) من جملة الساعين في ما نحن فيه »

فقال بلال « فهو يعذرنا اذا ادار رأى انتا تفضل المسير الى منزل الامام . تفضل الان الى المائدة ولما استغل معه في هيئة الجملين فاذا فرغت من الطعام سرنا جميعا »

الفصل السابع والخمسون

* انكشاف الخديعة *

قال ذلك وتحول نحو ريحان وكان ريحان وإنما يحيى الشجاع وهو يود أن لا يخاطبه أحد . وحدثته نفسه أن يرجع إلى الكوفة لثلاً يراه بلال فينكشف أمره . ولكنه ما لبث أن رأى بلالاً يدنو منه ويكلمه فرد عليه بصوت مخفض وهو يتشاغل باصلاح نعليه وشماليه لا يرفع نظره إليه . فاستغرب بلال ذلك فتقدم إليه وناداه وقال « تعال يا أخي نكث هيبة ربنا يتناول مولاي طعامه ثم نسير معًا »

فسكت ريحان ولم يجيب ولكنه تظاهر بأنه أضاع عصاه وتحول للبحث عنها وبلال يتبعه ويعجب لما يهدو منه . فلما بعد ريحان عن ظل الشجرة بانت سمعة فندذكر بلال أنه يعرفه وفطن الحال انه هو الذي اسر إليه خبر مهمته إلى الفسطاط . فاتبه ان في الامر خديعة وخصوصاً لما رأه يحاول اختفاء وجهه . فتقدم إليه وأمسكه بيده وقال « تعال يا صاحبي نكث هنا ربنا ينهض مولانا فنسير معًا » فلم ير ريحان خيراً من أن يجيئ ذنب بيده ويتظاهر بالغضب فتبعته بلال وهو يقول « يظهر انك لم تعرفي يا صاح الا نذكر اننا التقينا في الفسطاط »

فصاح بـ ريحان « واي فسطاط .. اني لا اعزف الفسطاط ولا اعرفك قبل الان ولبني لـ لم اعرفك فقد اضعت عصاي بـ سببك »

فسمع سعيد صياحه وكان قد جلس إلى الطعام فنظر اليه اعن بعد فرأها ينعاوران فوق ونادي عبد قطام قائلاً « لا تغتصب يا ريحان ان بلالاً على دعوتنا » فلم ينهياً لـ ريحان غير السكوت والجمي . إليه لثلاً تناً كـ الشجاعة عليه . ولكنه اصر على نكران ذهابه إلى مصر

فلما دنا من سعيد قال له « ما بالك تخاصم بـ لـ لـ »

قال « اني لا اخاصمه ولكنه اضعت عصاي وفيها انا اجت عنها جاءني محدث لا اعرف له اصلاً »

قال سعيد « وما ذلك يا بلال وما الذي قلت له »

قال « لم اقل له شيئاً ولكنني تذكرت اني رأيتها في النسطاط منذ بضعة عشر يوماً وهو ينكر ذلك كل الانكار »

فلا سمع سعيد ذلك استغربه وقال « يحق له ان ينكر عليك ذلك لانه لم يبرح الكوفة منذ شهر »

فاعاد بلال النظر الى ريحان وترس في وجهه وقال « بل اما على يقين ما اقول وقد لقيته هناك غير مني ولكنه معدور في الانكاره لان وجوده هناك عاد باشر العواقب على سيدتي ورفيقه »

فيبعثت سعيد وكانت اللقمة في فيه فلم يعد يستطيع ازدرادها وكاد يغص سرمه ووقف للحال وقال « ما نقول يا بلال اظنك تخلط في القول ان ريحان عبد قطام بنت شحبة وقد تركته هنا يوم سفري ولانا وانق ماشه لم يبرح الكوفة ولعل الذي رأيتها في النسطاط عبد آخر يشبهه »

الفصل الثامن والخمسون

﴿ بِحَوْلٍ عَبْثًا ﴾

فلا سمع ريحان ما التمسه سعيد من العذر عنه اطئان بالله وقال بصوت هادئ « يظهر انه غلطان كما قلت لان الشر يتشاربون ولكنه سائحة الله جاءني مغضباً واما افتش عن عصاي فاغاظني حتى سمع مني كلاماً مؤلماً فانا اطلب اليه ان يعذرني على ما فرط بي» والتفت الى بلال وهو يبتسم اليها سلامه نيته اما بلال فكان في اثناء ذلك ينظر الى ريحان ولا يزداد الا اعتقاداً ماشه هو الرجل الذي خاطئه في النسطاط وبادته سيدته سعادته خولة في اثناء خطابه وقص علىها خبر كما مرّ . فلما آس منه ذلك اللين ظل يترس فيه وهو صامت فلما اتته ريحان كلامه قال له بلال « ربما كنت مخطئاً في ظني ولكنني اسألك سؤالاً ارجوان تحييني عليه »

قال « قل ما بدا لك »

قال « ألا تذكر امك رأيت هذا الوجه » (وأشار الى وجهه هو)

فتغرس فيه ريحان وهو يطبله يتول ذلك بسذاجة ثم قال «لا يا اخي لا اذكر
اني رأيتك قبل الان»
فقال «يا للعجب ولكنني واتق باني لقيتك وخطبتك فرأيت هذا الوجه وسمعت
هذا الصوت . فالظاهر انك سرت الى السلطاط قبل هذا العام»
قال «نعم اني سرت اليها منذ بضعة اعوام»
فحشك بلال وقال «ولكنك قلت الان انت لا نعرفها»
فارتتك ريحان في نفسه وعمد الى المغالطة فقال «دعنا من هذه الاوهام ولا
تشغل بانا بما لا طائل تختنه»

وكان سعيد في اثناء ذلك يسمع كلامها والاخلاص لا يزال غالباً عليه
اما بلال فخاف ان يترب على سكته ذهب سعيد مع ريحان . فقال لريحان
« اذا كان الحال على ما تقول فعليك ان تساعدنا في انجاز المهمة التي نحن قادمون
بها دعا بذهب الى منزل الامام الان»

قال «انا اكثرا رغبة منك في هذا السبيل ولكن الليل طويل فاذا ذهب معى
مولاي الى سيدتي قطام فتراء ثم يذهب الى حيث شاء كان ذلك اوفق»
قال «فليذهب هو معك وانا امضى الى منزل الامام بالنيابة عنه»
فضاق ريحان ذرعاً وظهرت الغلة على وجهه ولم ير له مخرج من ذلك غير
الظاهر بالغضب فقال «وماذا هذه الظنون أعلمك تسيء الفان سأ ونحن اولى
منك بهذا الامر»

فتحقق بلال حيث ان طه في عالي فقال «نعم اني اطن السوء لك ويسيدتك
بعد هذا»

خاف ريحان ان ينضي الامر الى انكشف امنع فتضاهير بالغضب وقال «اني
لأعجب من هذا الاحمق ويظهر ان مولاي صار على وقارته فاما ذاهبمنذ
الآن وافعلا ما تشا آن»

قال ذلك وتحول يعدو نحو الكوفة وظل سعيد وبلال صامتين كأن على
راسهما الطير

الفصل العاشر والخمسون

﴿انقشاع الفشاوة﴾

مضى ريحان وها ينضران اليه لا يفوه احدها بكلمة . فلما توارى قال سعيد « ما الذي ارأه يا بلال اني احسب نفسي في حلم ؟ ما الذي قوله عن هذا العبد هل اتيت متحقق انك رأيته في الفسطاط ؟ »

قال « نعم يا مولاي اني شديد الوثوق بذلك وقد رادني وثوقاً تناقض اقواله وتنبع بعد ما افترحنه عليه »

قال « فلو كان قدم الفسطاط ما الذي يدعوه الى التستر »

قال « يدعوه الى التستر ما ارتكبه من الخيانة هناك : آه من هذا النذل يا ليني قبضت عليه وأهرقت دمه قبل فراره من بين يديّ . آه وشي كما لعمرى ان العاص »

فغت سعيد وبدأت الفشاوة تحسن عن بصيرته وتذكر ما قصته خولة عليه من حديث عدها مع عدد آخر وتبى لها الى ان العاص . وانه استغرب يومئذ ان يتصل خبرها الى الفسطاط وهو اها قدما اليها سرّا لا يعلم بها احد غير قطام ولباقة وهذا العبد . فانجلت لدبّه الواقعه وخطر له لن ريحان لا يسير الى الفسطاط الا ما يعز سيدته وتذكر ما كان بواسة في ان عمّه عد الله من الشك في قول قطام فدم على انسلامه لها وعص على سماته وظلّ ماقها لا يبني حرّاكاً وبلال وافق بين يديه صامتاً . ثم قال سعيد آه يا بلال سورك مخولة وبورك بين رضعة انها والله كانت ملاكاً ساوياً بعنة الله لكشف تلك المخدوعة . ولكن يا ويلاه قد نفت حيلة قطام على عد الله فمات غريقاً . ولكنها لن تستند على الامام على فاحمد الله على اكتشاف امرها فهل اقضاء اجل المؤامة

تم صمت وتذكر حبة قطاماً وما بذلك لها من الاخلاص وما اجرته عليه من الحيل فعظم الامر لدبّه وامست عواطفه تتراوح بين ما انفرس في قلبه من الحب وبما اكتشف له من المخدوعة فلم يفالك عن البكاء . ولكنها تحمل ان يذرف الدموع بين

يدي بلال فاشار اليه ان يهوي الجمال وحول وجهه الى الخلاء ومشى وقد اطاق لنفسه عنان البكاء وهاج به الاسف لما اصاب ابن عموعبد الله من البلاء بسيء وجعل يندبه ويندب سوء حظه ويقول

«تبأ المك يا قطام . اصحىع المك اندت عبدك للوشایة بنا الى ان العاص ليقتلنا ... ابن عهودك واين وعودك ابن ما سمعته منك من الرجوع عن قتل الامام علي ... وااسنافه عليك يا اخي وحبيبي عد الله المك ذهبت ضحية جهالتي ودهاء هذه المرأة آه يا قطام هل يوجد في الدنيا اناس قساة القلوب الى هذا الحد (قتل الانسان ما اكتفر) انسحبين قتل محب استهلك في سابل هواك ونقتائين سريعا حملته غيرته على السعي في اقاذ امير المؤمنين وتسحبين مع ذلك بقتل امير المؤمنين واست تنظرین ... »

«آه لا يسمح لي الوقت ان اميراليك فاتقم منك قتل الذهاب الى الامام تم وقف بعنة واسنه لنفسه كأنه افاق من رقاد ونظر الى ما حوله فادا هو في ليلة مفمن صفا هواوها ورق سيمها فجعل يراجع ما مر به من الاحوال والاهوال وتنذكر حبة قطاماً فغلب عليه حسن الظن بهافقال في نفسه « ولعل قطاماً سرية وربما كان ريحان صادقاً وبلا مخطئاً » فلما تصور ذلك انبسطت نفسه . والمحب الغبور كثير الظنون الا في ما باول الى الاضرار في حبيبه . على انه ما لبث ان تدبر الفرائين والحوادث حتى رجح التهمة

وفيما هو ينادي نفسه التفت فرأى بلا لا قد اعد الجميلين وهو بالقدوم اليه فمسح دموعه وتحول نحوه وهو يقول في نفسه « لقد نفذت حيلتك في اخي عبدالله ولكنها لن تنفذ في الامام علي . ها اني ساعر الساعة الى بيته وسأستعين به على قتالك وقتل تلك العجوز المعنالة وذلك العبد الشرير .. »

قال ذلك وركب جمله وركب بلال في اشع وسارا بلتسان منزل الامام علي

الفصل السادس

* منزل الامام علي *

وكان منزل الامام علي بجنب المسجد بينها ناب السدّة يدخل منه الامام للصلاه .
وكان المنزل دار واسعة فيها المقاعد والمحالس لمن يقد عليه من العمال واهل الامصار .
وبحوار المنزل ساحة واسعة فيها مرابط للخيل ومواقف للجماعات لا تبرح غاشه
بجهازير الناس من دعاء الامام وكلهم مستهلكون في نصرته معترفون بما مامته لا يرون
احدا اولى بها منه . وكان اهل العراق وغيرهم قد اجمعوا في تلك السنة على نصرته
فتايمه منهم اربعون الفا على الموت ^(١) . ولعله كان يتضرر الفراغ من صيام رمضان
لتحمل على معاوية بذلك الجند العظيم لا يغيره بثيل ما مرّ به من الحيل في صفين
وغيرها بعد ان رأى ما آآل اليه ذلك من تأييد سلطان معاوية

وكنت اذا دخلت محلس الامام في تلك الاشلاء رأيت رؤساء القائلين يتربدون
عليه ولا حديث لهم الا ما كان من اجتماع كلنهم وما يتوقعونه من النصر وما يرجونه
من احقاق الحق وكصح جمأح الصاغرين للخلافة من غير اهل البيت

ذلك كان شأن الكوفة في ذلك الشهرين المارك اما علي فلم يكن يستغل عن فروض
الصوم والصلوة شاغل فاذا دبت الساعة واذن المؤذنون تبادل الناس في صحن
المسجد لسماع كلامه بما فطر عليه من البلاغة وشدة الغيرة على الاسلام وال المسلمين .
فاذا وقف على المنبر رأيت الناس سكوناً كأن على رؤوسهم الطاير اعجازاً بما يسمعونه من
درر العاظه وبديع حكمه وبلغ آياته وهم يتعجرون لما قام في أنفس المعارضين من تحليق
عن بيته وخصوصاً الخوارج الذين اختلفوا لمعاداته اساياً ما ازل الله بها من
سلطان

فاذا فرغ من صلاة الغروب تحول الى داره ومرة جماعة من الامراء يتقدمهم
اولاده وسائل اهله فيجاون الى الاصحه للافطار والقراء بتلون القرآن في جوانب
الدار والكل يسبعون وبهملون حتى يحمل لك انهم في موقف يتوقعون فيه الحساب

^(١) ابن الاثير ج ٢

وما فيهم من يخاف عقاباً لما يعتقدونه من صدق دعوتهم وفي أيام بالحق المبين
وكان الإمام إذا فرغ الناس من الإفطار وجلسوا للحادي رأيته أقليم
كلاماً وأصرم عن التهديد. وربما مكث ساعة أو بعض ساعات لا ينبع بنت شفقة
كأنه يفكر في أمر ذي بال وربما كان تكين في ما يخشاه من سنك الدماء إذا حمل
برجاله على الشام وتنوس الناس ودعاة عنده يضمن بها أن تذهب ضياعاً ولا يضمن
بها أصحابها في سبيل نصرته

الفصل الحادي والستون

* ضمير ابن ملجم *

كان ذلك شام خصوصاً في أوسط رمضان وعلى الأخص في ليلة السابع عشر
منه وهي الليلة التي بات فيها ابن ملجم يتربص بسلاح الصبح ليقتلك بابن أبي طالب .
وفي تلك الليلة أسرع سعيد وعبيده إلى منزل الإمام ليتباهى بعزم ذلك الرجل
وما ظنَّكَ بابن ملجم تلك الليلة . . هل تظنه بات ساكن الجانت معلمَين المخاطر
. . هل عرف الكري جناء . . . كلاً . لا نحالة قضى ليلته إلا قلقاً مضطرباً
لهول ما عوَّل عليه من الأمر العظيم . وما اعظم من أن يسلك دمًا بريئاً دم رجل
جمع إلى كرامة الخلافة شرف النسب وأحرز من العلم ما لم يحرزه أحد من المسلمين
في ذلك العهد ؟ أليس هو ابن عم الرسول وخليفة وصهره . أليس هو ذلك العالم
النبي العادل الملحس الغيور على الإسلام والمسلمين ؟ لا نظن ابن ملجم والحالة هذه قضى
ليلته إلا على شوك القتاد لم يغمض له جفن وقد طال ليلة . وربما حدثته نفسه
بالرجوع عن عزمه فغلب عليه عهده لرفقاءه ونعتده لخطيبته قطام بنت شعنة
وخصوصاً بعد أن اشتركت معه في ذلك الفعل ابن عم لها يقال له وردان حرضرته
على الأخذ ناصع . ولقي هو رجلاً من أشجع يقال له شبيب استثنى على ركوب ذلك
المركب الخشن معه . فتواعد الثلاثة على العمل معاً في فجر الغد . فهل تظنه بعد
ذلك العهود والمواثيق يصغي لنداء ضمير إذا كان له ضمير . ولو أصغى لما ارتكب
ذلك المنكر

على انك لو سبرت غور قلبي في تلك الليلة وهو ينقلب على فراشه وسيدة المسموم الى جنبي لرأيته ينادي نفسه ويدفع تكبيره بمحنة انة انا عمد الى ذلك دفعاً لفتنته كان سببها نزارع على معاوية وعمرو على السلطة والفتنة شر من القتل وكان نفس الامام علي حدثة نحو ذلك الزمن مخاطر يتوقعه على حياته . فكان مذ دخل رمضان يتعشى ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند جعفر لا يزيد على ثلات لقم ثم يقول « احب ان يأتيني امر الله وانا خميس » ^(١) واما في تلك الليلة فانهم نعشوا جميعاً في منزل الامام وهو جالس على المائدة لا يأكل الا شيئاً واولاده بين يديه ينظرون اليه ويعججون حاله وكان حاجته قدر رجلاً من اهل المحيشة كهلاً اذا نام على مات عند باه و كان في تلك الليلة اشد الجميع فلقا لم يتراول الا فطار ولا هدا له بال . اكل الناس وهو جالس القرصاء عد الباب وعيناه شاخصتان الى النساء كأنه يتوقع قドوم قادم وهو لا يكلم احداً ولا اتبه احد لحاله ولو سأله بعضهم عن سبب فلفو لباخ له بما اطلع عليه من الاسرار التي ظن نفسه اكتشفها وهم يبحثون عنها عيناً وبعد صلاة العشاء ارضض المجلس فذهب كل الى منزله . وناموا جميعاً الا قدر فامة لست ساهراً وقد اخذ الا ضطرب والقلق منه مأخذاً عظيماً . وما جلس للحراسة وهو يعلم ان الامام لا ينتمي حرساً بحرسه ^(٢) ولكن جلس يذكر في امر اذهب رقاده والفاء في حيرة

الفصل الثاني والستون

فخرٌ جديدٌ

اما سعيد وبلال فانهما دخلوا الكوفة واسرعا يلتسان دار الامام علي وكان القمر بدراً (او حوالي الدر) وقد تكبد النساء فارسل اشمعة على اسيبة الكوفة وقد انقضت الغيوم عن السماء على غير المعتاد في ذلك النصل . فلما دخلوا الكوفة رأياها

(١) ابن الاثير ح ٣ (٢) الحميس ح

سَاكِنَةُ هَادِئَةٍ لَا نَفْضَاهُ مِيقَاتُ السَّهْرِ . وَقَدْ نَامَ النَّاسُ وَهُمْ يَتَوَقَّعُونَ أذَانَ السَّحْرِ
لَيَنْهَا لِلسَّعْوَرِ

سَارَ سَعِيدٌ وَهُوَ يَسْخُتُ جَمْلَهُ وَقَلْبَهُ بِرْقَصٍ طَرَبًا لِمَا يَتَوَقَّعُهُ مِنْ نَجْاحٍ مَهْمَتِهِ وَقَدْ
شَكَرَ اللَّهُ لَا طَلَاعَهُ عَلَى حِيلَةِ قَطَامٍ قَبْلَ فَوَاتِ الْوَقْتِ . فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَسْجِدِ تَرَجَّلَ وَقَالَ
لِبَلَالَ خُذِ الْجَمَلَ وَسِرْ بِهِ إِلَى سَاحَةِ الْكَوْفَةِ وَامْكِنْ حَتَّى آتَيْكَ

فَلَمْ يَسْعِ بِلَالًا غَيْرَ الطَّاعَةِ فَتَحَوَّلَ نَحْوَ السَّاحَةِ . وَمَشَى سَعِيدٌ عَلَى قَدْمَيْهِ وَرَكْنَتِهِ
تَصْطَدِكَانِ مِنْ شَدَّ الاضْطَرَابِ . وَمَا صَدَقَ أَنَّهُ افْتَلَ عَلَى دَارِ الْإِمَامِ وَلَكِنَّهُ رَأَى
السَّكُونَ سَائِدًا عَلَيْهَا . فَوَقَفَ هَنْيَةً يَنْكُرُ فِي السَّبِيلِ الَّذِي يَدْخُلُ بِهِ الدَّارَ وَأَهْلَهَا يَوْمَ
فَلَمَّا بَرَهَةٌ يَتَرَدَّدُ وَهُوَ يَخَافُ أَنْ يَسْتَغْشِيَ أَحَدًا لِقَدْوَمِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَهُوَ لَمْ يَدْخُلْ
تَلْكَ الدَّارَ مِنْ قَبْلٍ وَلَا لَقِيَ الْإِمَامَ عَلَيْهِ لَفَاءَ أَهْلَ الْوَلَاءِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرِدْ مِنْ الْأَقْدَامِ فَمَشَى
بِخَطْوَاتٍ مُتَرَدِّدٍ حَتَّى دَبَّا مِنْ بَابِ الدَّارِ فَرَأَى شَجَّاعًا جَالِسًا لَمْ يَعْرِفْهُ وَلَكِنَّهُ سَرَّ بِهِ اعْلَمُو
أَنَّهُ لَا يَخْلُوَانِ يَكُونُ مِنْ بَعْضِ رِجَالِ عَلِيٍّ فَيُسَاعِدُهُ فِي مَهْمَتِهِ . عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَقْبِلْ عَلَيْهِ
حَتَّى وَقَفَ ذَلِكَ التَّبِيعُ لِعِنْتَهُ وَنَقْدَمُ نَحْوِهِ وَهُوَ يَقُولُ « مِنَ الْقَادِمِ »

فَقَالَ سَعِيدٌ وَهُوَ يَتَلَجَّاجُ بِكَلَامِهِ « أَنِّي رَسُولُ إِلَيْكَ إِمَامُ عَلِيٍّ . وَمَنْ أَنْتَ؟ »

قَالَ « أَنِّي قَنْدِرٌ حَاجِبُ الْإِمَامِ وَمَنْ أَنْتَ؟ »

قَالَ « أَنِّي سَعِيدٌ الْأَمْوَيُّ أَرِيدُ مَقَابِلَةَ الْإِمَامِ عَلِيٍّ »

فَصَاحَ قَنْدِرٌ قَائِلًا « أَأَنْتَ سَعِيدٌ تَعَالَ مَعِي... »

فَسَرَّ سَعِيدٌ لِسُرْعَةِ الْإِجَاهَةِ وَمَشَى فِي أَثْرِ قَنْدِرٍ حَتَّى دَخَلَ بَابَ الدَّارِ وَتَحْوَلَ إِلَى
حِجْرَةٍ فِيهَا مَصْبَاحٌ فَدَخَلَ قَبْرًا أَوْلًا وَاقِيظَ اثْتَيْنِ كَمَا نَاءَيْنِ هَذَاكَ وَسَعِيدٌ يَتَبَعَّهُ بِسَذَاجَةٍ
وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ الْحِجْرَةَ حَتَّى رَأَى الرِّجَلَيْنِ قَدْ اطْسَقَا عَلَيْهِ وَقِيدَا يَدِيهِ وَرِجْلِيهِ وَهُوَ وَاقِفٌ
لَا يَدِي حَرَاكًا مِنْ شَدَّ الْبَغْتَةِ فَلَمَّا رَأَاهَا يَغْلَانُهُ وَقَنْدِرٌ وَاقِفٌ وَقَدْ تَغَيَّرَتْ سَعْنَتُهُ قَالَ لَهُ
« مَا الَّذِي نَفَعَكَ مَا هَذِهِ الْوَقَاهَةِ أَيْنَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ؟ »

فَقَالَ « لَقَدْ كَذَبَ فَأَنْكَلَكَ إِيَّاهَا الْوَغْدَ الْلَّثِيمَ إِنَّكَ لَمْ تُرِي عَلَيْهِ حَتَّى تُرِي
الْمَوْتَ قَبْلَهُ »

فَبَغَتْ سَعِيدٌ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ سَبِيلًا لِذَلِكَ الْعَمَلِ فَقَالَ « مَا بِالْكَمِ نَسْتَغْشُونِي وَقَدْ جَشَّتُكَمْ
فِي مَهْمَةِ انْقَذَبَا الْإِمَامَ عَلِيَّ مِنَ الْفَتْلِ »

قال « اخسأ ولا نطل الكلام انك اموي ونطلب انت ترى الامام لتفتله
انظن قتله امراً هيناً »

فقال « وكيف ارد قتله وانا انا جئت لانقاده من القتل »
فامسكة قبر بيته ويداه ترتعدان من شدة التأثر وقال له « انظن حيلتك
تنطلي علينا ؟ أما كفى ببني امية ما فعلوه حتى جئتم لقتلون الامام في منزله »
فبهرت سعيد وقد جمد الدم في عروقه وقال « ما بالكم تسيئون بي الظن وانت لم
ترى مني خيراً ولا شراً الا نسمعون قوله ثم ترون رأيكم »

فقال قبر « وما الذي سمعة من قولك واست اموي وقد تعهدت بقتل الامام علي
مهراً لفتاة خطتها من اهلها على هذا الشرط »

فامدهل سعيد واراد ان يدافع عن نفسه فرأى قبر يخرج من جيبه رقاً فلما
استخرجها دفعها الى سعيد وجذبه بيده الى المصباح وهو يقول له « اقرأ ... اليك هذا
خطك ؟ »

فلما وقع نظر سعيد على الرق علم انه الصك الذي كتبه لقتام يوم خطتها
فایقين ان قطاماً هي التي ارسلت هذا الرق الى دار الامام لتوقع به . ورآها
لفتر حيلتها قد محت اسمها عنه وبوضعت اسم فمها اخرى فصمت ولم يجرب .
فاختذ قبر سكتة شديدة عليه فصاح فيه « اجب قل ... اليك هذا خطك ؟ »
فارتبك سعيد في امره ولكنك ما زال يرجو الفخلص بما يحفله من المني الاكيد عن
مكينة ابن ملجم فقال له « هب انه خطى ولكنني جئكم خبر المكينة التي كادها بعض
الناس على الامام الا تهلوكي ربها اخركم »

فلم يصبر قبر على سمع كلامه وصاح فيه قائلاً « واي مكينة اعظم من ان تعهد
قتل الامام ... امكث هنا الليلة وغداً الساظن قريب »

قال ذلك وخرج واغلق الباب عليه



الفصل الثالث والستون

— بلال —

فَلَمَّا خَلَا سَعِيدٌ فِي تِلْكَ الْحَجَرِ طَنَسَهُ فِي مَنَامٍ وَجَعَلَ يَفْكِرُ فِي أَمْنِ وَفِي دَهَاءِ قَطَامٍ وَكَيْفَ أَوْصَلَتْ هَذِهِ الْوَرْقَةَ إِلَى هَذَا الرَّجُلِ لِأَمَامِ حَيْلَتِهَا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكْتُرْ ثَبَّا عَالِمَةً بِهِ فَبَدَرَ وَعَوَّلَ عَلَى مَفَاتِلِ الْإِمَامِ فِي الصَّاحِحِ مَا كَرَّا وَاطْلَاعَهُ عَلَى سَرِ الْأَمْرِ وَلَمَّا اِبْصَالَ ذَلِكَ الصَّلَكَ إِلَى قَبْرِ فَانِّا سَعَتْ فِيهِ لِمَاهَةِ الْمُعْنَالَةِ بِإِشَارَةِ قَطَامِهِ وَلَمَّا تَدَاوَلْنَا فِي أَنَامِ الْحَمِيلَةِ مُخَافَةً أَنْ يَطْلُعَ سَعِيدٌ عَلَى مَكْيَدَتِهَا قَبْلَ وَصْوَلِهِ إِلَيْهَا أَوْ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى مَنْزِلِ الْإِمَامِ قَبْلَ الْمَرْوَرِ بِهَا . فَاسْتَخْرَجَتْ ذَلِكَ الصَّلَكَ وَغَيَّرَتْ فِيهِ النَّاظِرَا رَفَعَتْ بِهَا الشَّهِيْهَةَ عَنْهَا وَكَلَّمَتْ لِمَاهَةَ فَانِّا فَانِّا مَنْزِلَ قَبْرِ فِي صَاحِحِ ذَلِكَ الْيَوْمِ بَدْعَوْيَ اِنْهَا دَلَالَةَ تَبَعِ الْاَقْفَسَةِ وَالْفَتَتِ إِلَى قَبْرِ حَدِيثًا لِفَتَنَةِ مُجَبِّثِ ثَبَّتِ الشَّهِيْهَةَ عَلَى سَعِيدٍ فَلَا يَصْغِي أَحَدٌ إِلَى كَلَامِهِ . وَكَانَ اِنْصَارُ عَلَيْهِ قدْ سَمِعُوا طَبِيبَنَا عَنْ عَزْمِ بَعْضِ النَّاسِ عَلَى قَتْلِ الْإِمَامِ . فَلَمَّا رَأَى قَبْرَ الصَّلَكَ وَعْلَمَ أَنْ صَاحِبَهُ اِمْوَيْ رَبِّي فِي بَيْتِ عَنَانِ وَقَامَ بِتَصْرِيْتِهِ لَمْ يَقُلْ عَنْهُ شَكٌ بِتَهْمَمَتِهِ وَخَصْوَصًا بَعْدَ أَنْ رَأَاهُ قَادِمًا قَدْوَمَ الْلَّصِ بَعْدَ مَنْتَصِفِ اللَّيْلِ . فَلَمَّا قَضَ عَلَيْهِ حَسَنَهُ فِي تِلْكَ الْحَجَرِ إِلَى صَبَاحِ الْغَدِ لَيْرِي رَأَيَ الْإِمَامَ بِهِ نَعْدَ إِنْ يَعُودُهُ مِنْ صَلَةِ السَّعْدِ . وَمَا عَلِمَ مَا خَبَأَتْهُ الْاِقْدَارُ لِلْإِمَامِ قَبْلَ أَنَامِ تِلْكَ الْصَّلَةِ

اِمَا مَلَلَ فَانِّهُ مَكَتَ بِالْجَهَلِيْنِ فِي سَاحَةِ الْكَوْفَةِ يَتَظَارِقُ دُوْمَ سَعِيدٍ . فَلَمَّا اِنْطَلَّ عَلَيْهِ اِشْغَلَ بَالَّهُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَظْلِمْ سَوْءًا مَا يَعْلَمُ مِنْ سَلَامَةِ نَيَّةِ سَعِيدٍ . وَفِيهَا هُوَ جَالِسٌ يَشْكُرُ فِي ذَلِكَ سَعْيَ آذَانِ السَّعْدِ فَعَلَمَ أَنْ عَلِيًّا مُجَرِّدًا يَخْرُجُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ لِلصَّلَاةِ فَهُرُولَ نَحْوُ الْمَسْجِدِ وَهُوَ عَلَى مَقْرَبَةِ مِنْهُ فَدَخَلَهُ فَرَأَى فِيهِ قَنَةً مَصْرُوبَةً عَلَمَ أَنَّهَا قَبَةُ بَعْضِ النَّسَاءِ مِنْ يَمْلَسِنَ لِسَاعَ الْصَّلَاةِ . فَوَقَفَ وَعِينَاهُ شَانِعَتَانِ لِعَالَمَ يَرِي سَعِيدًا . فَإِذَا بَرَجَالٍ دَخَلُوا وَفِيهِمْ رَجُلٌ مُلْمِثٌ وَقَدْ اِتَّفَقَتِ النَّسَاءُ بِخَنَقِهِنَّهَا سِيفًا فَتَفَرَّسَ فِيهِ عَنْ بَعْدِ فَرَأَى عَلَى جَهَنَّمَ اِثْرَ السَّعْدِ وَفَعَلَمَ أَنَّهُ اِبْنَ مُلْجَمٍ^(١) فَأَرْتَعَدَ فَرَائِصَهُ

وحدثته نفسه ان يصبح به وآكله خاف على نفسه وهو لا يشك مع ذلك ان علياً اطلع على مكيدتو ولا يلبيت ان يدخل المسجد حتى يأمر بالقبض عليه ثم رأى ابن ملجم مشي ومعه رجل آخر هو شبيب نحو تلك القبة وكلما من فيها وكان فيها قطاماً بنت شمسة^(١) ثم مشى ابن ملجم حتى اقترب من السدة وللال براعبه ينظر ويتوقع ساع الامر بالقبض عليه حالما يدخل على

واعد هنجه فتح باب السدة ودخل منها عليٌّ يمشي الهويما وعامتة على رأسه نفطي صاعنة وكان ذا بطئ ولحية كثيرة الشعر ضخم العضل^(٢) وفي يده درة (سوط) كان يوقظ الناس بها للصلوة كل صباح . فمشى الامام وان النباح المؤذن بين يديه واحسن بن علي خلفه . فلما دخل انصت الناس وللال ينظر اليه ولا يشك في انه سينادي من يقىض على ابن ملجم . فاذا يو قد وقف وبادى « ايها الناس الصلاة »

الفصل الرابع والستون

* مقتل الامام *

والنفت بلال الى ابن ملجم فاذا هو لا يزال واقفاً لكن رفيقه (شبيب) نقدم مسرعاً وسيفه يده ضرب بوالامام علياً فاصاب عضادة الباب وسقط السيف من يده فاجفل بلال وهمَّ ان يسرع الى علي يجبره بأمر ابن ملجم فاذا ابن ملجم قد اقبل على علي باسرع من لمح البصر والسيف يرق بين يديه وضرمه على جبهته وهو يقول « الحكم لله يا علي وليس لك ولاصحابك »

فصاح علي « فزتَ وربَّ الكعبة » ثم قال « لا يفوتككم الرجل » فتكلاث الناس على ابن ملجم فدفعهم بسيفه ففرجوا عنه فلجم عليه المغير من شعبه وتلقاه بقطينة فرمها عليه واحتله وضرب بوالارض وقعد على صدره وابتزع السيف منه ولما شبيب فاقفلت في الغلس وخرج من باب كندة

(١) تاريخ الخميس ج ٢ (٢) ابن الاتير ج ٣ (٣) الخميس ج ٢

وانحرط عقد الناس ونظر بلال الى الغبة المضروبة فرأى امرأة خرجت من نحنتها وإذا هي قطام اسرعت وفرت في غمار الناس . فاندهل لما رأه ولكنة رجا ان لا تكون الضربة قاضية ثم تذكر ان سيف ابن ملجم مسموم فيئس من حياة الامام . وجعل يتغرس في الناس لعله يرى سعيداً فالم يقف له على اثر فتقديم في جملة من نقدم الى السنة حيث كان علي مطروحاً فاداً هو يقول « احضروا الرجل عندي » فاحضره فقال له علي « اي عدو الله ألم أحسن اليك »

قال ملي

فقال « فما حملك على هذا »

قال « شهدت سيفي هذا اربعين صباحاً وسألت الله ان يقتل به شر خلفه »
فقال علي « لا اراك الا مقتولاً به ولا اراك الا شر خلق الله » ثم التفت الى من حوله وقال « النفس بالنفس ان هلكت فاقتلوا كافناني وان بقيت رأيت فهو رأيي . يا بني عبد المطلب لا الفيتكم تخوضون دماء المسلمين فقولون قد قتل امير المؤمنين الا لا ينتلن الا قاتلي . انظر يا حسن ان امامت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بصرية ولا تثنن بالرجل فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ايهاكم ولائحة ولو بالكلب العقور »

قال ذلك وابن ملجم مكتوف وكانت ام كلثوم ابنة علي وافنة بجانب ايمها فقالت لابن ملجم « اي عدو الله لا تأس على اي والله مخربك »

قال « على من تبكون والله ان سيفي اشتريته بالف وسبعينة بالف ولو كانت هذه الضربة باهل مصر ما بقي منهم احد »

ثم نقدم جندب بن عبد الله الى علي وقال « ان فقدناك ولا نفقدك فنهاي الحسن »

قال علي « ما امركم ولا انهاكم اتم ابصر »

الفصل الخامس والستون

لات ساعة مندم

ولما علم الناس ان سيف ابن ملجم مسموم تتحققوا دنو الاجل وخافوا المقتلة في من يختلف الامام . فسأل الله جندب بن عبد الله ما سأله عن يعلمه فاجابه علي بآية لا يأمرهم ولا ينهاهم كما نقدم ثم يقلوه الى داره ماشياً وهو يتوكأ على ولديه الحسن والحسين والدم يغشى جبينه وكان السم لم يفعل فعلة بعد

اما ابن ملجم فكان لثامة قد وقع عن وجه ومات سجنة وكان اسرى الجرح في جبهته اثر السجود^(١) فساقوه الى السجن ولو لم يوص امير المؤمنين بان لا يقتلوه الا اذا مات هو اثر الصربة لقطعه ارباً ارباً . ولكنهم اضطروا امتنالاً لامر الامام ان يسوقوه الى السجن ربما ظهر لهم عاقبة ذلك الجرح

اما بلال فامض سار في اثر الجميع الى منزل الامام علي وقد تولته الدهشة لمول ما رأاه في تلك الساعة وما زاد اسفه وضياعه حزنه ما اصابه من الفشل بمحبوط مسعاه ومسعي سيدته لامة ائمها كان يود نجاة الامام من تلك الموامة اكراماً لمولاته خولة وخصوصاً بعد ان صحب عنده الله وسمع منه في اثناء الطريق ما حدثه به جده او رحاب من فضائل الامام علي التي يندر اجتماعها في رجل . وقد وردت في كلام أبي رحاب

على انه كان مع ذلك في شاغل عما كان فيه الناس بالغوغاء والانهاك امر الامام وجرحه والتفكير بسعید وحاله وقد عجب لفشل مهمته مع علمه انه اما اسرع بعد طول شقة السفر والسعى في منتصف الليل لينجي القوم بذلك الخطر . فمضى بلال وهو يتفرس في الناس واحداً واحداً لعله يرى سعیداً بينهم فلم يتف له على اثر . على انه لما لبث ان رأى الجميع دخلوا المنزل وادخلوا الامام محموداً الى غرفته وفرق الباقون في صحن الدار جماعات تحدث كل جماعة منهم بحديث ذلك الصباح

(١) تاريخ الحسين ج ٢

ومدار اجتثهم ما اصاب الاسلام في تلك الساعة ما لم يكن في الحسبان وما فيهم الا من يقول « ليتني اشي غالي بصرة في عين ذلك المباغي » وفيها هو ينظر في وجوه الناس لعلة يرى - سعيداً اذا يقترب حاجب الامام علي قد خرج من الغرفة والدمع ملئ عينيه وهو يقول « افتلوني ايها المسلمين افتلوني اني جئت على امير المؤمنين »

فنهض الناس وتناثروا اليه وهم لا يهبون مراده فادا به قد اخترق الجميع ومشى الى الحجرة التي كان سعيد مسجوراً فيها وفتحها واخرج سعيداً منها وهو لا يزال مثلاً

الفصل السادس والستون

﴿الوصية﴾

وكان سعيد لا يزال في تلك الحجرة وقد اقتلوها عليه ولم يدر ما اصاب الامام علياً . فلما اخرجه قنبر على تلك الصورة ورأى الجميع متکافناً هناك ظلمة يرى به سوهاً . فقال أروني الامام علياً فاطاعه على دسيسة درها له اهل الغي ولا نغلبوا في سوهاً

فعلا صوت قنبر باشتكاء وقال « لقد نفذ السهم يا سعيد انهم فتكوا بما يرمي المؤمنين » فصاح سعيد « ومن فتك به »

قال « ان ان مجرم صرخ ضرورة فانه قتل الله »

فصاح سعيد « وبلادنا حسرناه كيف يغله وقد قطعت البراري والقمار سعيها في تلافي ذلك المصاص .. ألم افل لك ذلك يا قنبر »

قال « المك لم تفصح المثال وقد نفذ السهم وجروح الامام جرح لا اظنه ينجو منه ولو اصغيت لما قالك لنها امير المؤمنين ولكن وقع القضاء ولا مرد لقضاء الله »

ولم يتم قنبر كلامه حتى تكى سعيد وبكاء الناس وعلا الصياح وهي مبهوتون ينظرون الى قنبر يتوقعون منه تصديلاً

اما هو فاشتغل بجعل قيد سعيد بيده وهو يقول « قاتل الله تلك العجوز المحتالة

انها اغرقني بك وقد نجحت حيلتها »

فهم سعيد ان ينص عليهم حديثه على اثر ما رأه من رغبتهم في ذلك فإذا بعض الناس يقول « ان الامام قد شعر بالراحة وهو يخاطب ابنيه الحسن والحسين » فتحول الجميع الى غرفته كالسيل واغتنم بلال تلك الفرصة فدعا من سعيد كائنة يستنهضه عن سبب ذلك الفشل . فنص عليه الخبر باختصار ووعده باتمام الحديث في فرصة اخرى . وسار مع الجميع الى غرفة الامام فلم يستطع الدخول اليها لترابم الاقدام . فاطلق من ماقنه فرأى عليها متوسداً فراشاً وهو مصوب الرأي بمنديل يغطي الجرح وكانت قد غسلوا الدم عن وجوهه ولكن آثاره ما زالت ظاهرة على بعض ثيابه فتذكر سعيد جد ابا رحاب وما اوصاه به فلم يتمالك عن البكاء على انه ما لبث ان سع علیاً يتكلم فوجه اليه انتهاء فرآه يخاطب ولديه الحسن والحسين وهذا جاثيان عند رأسه وامارات الكعبة والحزن ظاهر علىهما وهذا يخليدان تحمل الرجال وقد اصاخا سبعها وحولاً اعيتها الى وجه والدهما الجريح والناس سكت وكمهم آذان يسمعون ما يتلوه الامام من الآيات البينات وهي آخر خطبة القادما . فاذا هو يقول « اوصيكما بتفويت الله ولا تغيا الدنيا وان يغتكما ولا تنكها على شيء زوى عنكما وقولا الحق وارحما اليتيم واعينا الصانع فاصنعوا للآخرق وكويا للظلم خصيماً وللمظلوم ماصراً واعملوا بما في كتاب الله ولا تأخذكما في الله لومة لائم »

ثم نظر الى محمد بن الحسينية فقال « هل حنطة ما اوصيت به اخويك »

قال « بعم »

قال « فاني اوصيك بثلو واصيك بتوفير اخوك العظيم حقها عليك وتربيه امرها ولا تقطع امراً دونها » ثم قال « اوصيكما به فامة شقيقةكما وان ايكمما وقد علمتنا ان اباكم كان يحبها » وقال للحسن « اوصيك اي نبي يتفويت الله واقامة الصلاة اونتها وابتلاء الزكارة عند محلها وحسن الوضوء فاما لا صلاة الا ظاهر واصيك بغير الذنب وكظم الغيظ وصلة الحرم والحمل عن الجاهل والتنفه في الدين والشتت في الامر والتعاهد للقرآن وحسن الجوار والامر المعروف والنبي عن المنكر واجتناب الفواحش » ^(١)

الفصل السابع والستون

* موت الامام ومقتل ابن ملجم *

وما انتَ وصيّبَهُ حتى تعب من الكلام وما عهدناهُ يتعب من امثالك في الوعظ والخطب ساعات متواالية . ثم امر بذلك الوصيّة فكتبت ودفعت الى المحسن ولم ينطأق الامام بعد ذلك الا يقول « لا اله الا الله » حتى مات^(١) فعلاً الضجيج وزاد العويل والبكاء . ثم غسلة المحسن والحسين وعبد الله بن جعفر وكفن بثلاثة اثواب ودفن وما سعيد فلما تحقق وقوع المصاب بموت علي نذكر قطاماً وخليها وقال في نفسه والله لم يقتل الا هي ولو لاها لم يقتل امير المؤمنين

وفيها هو يفكّر في ذلك ويبيكي جاء قنطر قبض على يده وجرّه فسار في اثره وهو لا يدرى ما يريد منه . وسار بلال في اثرها حتى دخلوا سجن ابن ملم و كان مغلولاً هناك . فلما دخلوا عليهم سعيد بالكلام فقال قنطر تهلل لنرى ما يقول هذا القائل . فلما رأهم ابن ملجم قادمين عليهم ظلّ جالساً ولم يعيّا لهم واكبه خاطب قنطر قائلاً « اظلك جئت تدعوني الى القتل لان صاحبكم مات »

قال « الى ذلك جئت ولكنني اساً لك عن هذا الرجل هل تعرفه » (وأشار الى سعيد)
قال « كلام »

وكان قنطر قد اراد ان يتحقق برأه سعيد وقد شرك في اشتراكه مع ابن ملجم في تلك المؤامرة . فقال له « الم يكن لهذا الاموي شركة معك في القتل »
فتبرّأ ابن ملجم وقال « انا اضعف من ان اقدم على ذلك . اني لا اعرفه »

(١) هذا ما رواه ابن الاثير من امر مقتله . وذكر صاحب تاريخ الحميس انه توفي في صبيحة يوم ١٧ رمضان مثل صبيحة بدر . وقيل ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة منه سنة اربعين (من اي عرب ابن عبد البر) وفي الصفوّة قال العطاء بالسید ضربه عبد الرحمن بن ملجم بالکوفة يوم الجمعة لثلاث عشرة بقيت من رمضان وقيل ليلة احدى وعشرين منه سنة اربعين ففي الجمعة والسبت ومات ليلة احد وقيل يوم احد وغسلة ابنه وعبد الله بن جعفر وصلى عليه المحسن ودفن في الصحر . وقالوا غير ذلك ما ليس هنا مكان تحقّقه وذكروا انه دفن في مسجد الكوفة وقيل حمل الى المدينة ودفن عند فاطمة وقيل غير ذلك (من تاريخ الحميس)

فقال بلال « ولكنك ألا تعرف قطاماً بنت شحنة؟ »
 قال « اعرفها وهي خطيبتي ودم ان ابي طالب مهر لها »
 فلم ينالك قنبر عن ان صاح فيه « احسأ يا لثيم انك سلقي حننك فربما قم الى
 الموت »

فوقف لساعتين ومشي وهو لا يكتثر بها ينهده من الاجل العاجل
 اما سعيد فلما سمع قوله ان قطاماً خطيبته خنق قلبها غيظاً من تلك المرأة وقال
 في نفسه اني والله سأخذ بالثار منها يددي

وكان الحسن هو الذي امر باحضار ابن ملجم ليقتلها عملاً بوصية ابيه فلما حضر
 بين يديه نظر الى ما حملة فرأى الناس ينظرون اليه باعین تائب حنقاً وكل يود
 ان يقتله يد فلم يعبأ ان ملجم بما راه ولم يصبر حتى يخاطبه احد منهم فنظر الى الحسن
 وقال « هل لك في خصلة اني والله قد اعطيت الله عهداً ان لا اعاده عهداً الا
 وفيت بـه واني عاهدت الله عند المحظيم ان اقتل علياً وعماوية او اموت دونها فان
 شئت خليت بيدي وبيهه . فلما عهد الله على اني لم اقتل ثم بقيت ان آتاك حتى اضع
 يدي في يدك »

فقال له الحسن « لا والله حتى نعائين النار ^(١) »

وكان الناس قد جاؤوا بالبنط والبواري والنار وقالوا « خرقه »

فقال عبدالله بن جعفر وحسين بن علي ومحمد بن الحنفية دعونا ننشئ فأنفسنا
 منه . فقطع عبدالله بن جعفر يديه ورجليه فلم يجزع ولم يتكلم ثم كحل عينيه بمسار محمى
 فلم يجزع وجعل يقول « انك لکحل عینی عمرک بکھول عدص » . وجعل يقرأ
 « اقرأ باسم ربک الذي خلق » حتى اتى على آخر السورة وان عينيه لتسيلان على
 خديه ثم أمر به فعولج على اسنانه لقطعة فجزع فقيل له « قطعننا يديك ورجليك
 وسلينا عينيك يا عدو الله فلم تخزع فلما صرنا الى لساك جزعت » . قال « ما ذاك
 من جزع الا اني اكره ان اكون في الدنيا فواقاً لا اذكر الله » . فقطعوا لسانه ثم جعلوه
 في قوصرة فأحرقوه بالنار ^(٢)

الفصل الثامن والستون

﴿ سرُّ جديد ﴾

ولما اشتم سعيد رائحة الفتل المتصاعد عن تقابيا ان ملجم اشنفي غليلة واكهة ما زال قوله « ان قطاماً خطيبتي وإن قتيل على مهرها » يرن في اذنه وزداد تعينا من دهاء تلك المرأة واستغرب ان يكون في النساء واحدة في مثل ذلك الدهاء وتنذكر ما مر له معها من الوعود وما ارتكبته في سبيل الانقام لوالدها واخيها من الجرائم وكم قتيل بسيبها من الرجال وعد الله ابن عمها في جملتهم . فلما نصور بذلك كاد يتقد غيظاً وظل يرهه وهو غارق في مثل هذه المهاجمس لا يتبه لما دار حولة من الاحاديث ولا فقه لاشتغال الناس في مبادئ الحسن . ولم يتبه حتى ناداه بلال فلباه فقال « لأنخرج بما مولاي من هذا المكان ان لي كلاماً اقوله لك »

قال « هياً سا » وتحولوا ولم يتبه لها احد لاشتغال الناس بمبادئه
وعادا نـا الى ساحة الكوفة حيث تركا الجمـلين وسارا من هناك الى منزل سعيد
وكما في اثناء الطريق يلتقيان باهل الكوفة مسرعين زرافات ووحدان الى منزل
الامام علي على اثر ما سمعوه من مقتله وها لا يكلمان احداً

وكان سعيد لم يدخل منزله منذ ذهب الى الفسطاط فلم يجد فيه احداً لان الخدم
ساروا في جملة من سار الى منزل الامام . وكان النعب قد اخذ منه ما خذل عظيمـاً
اطول ما قاساه من الشهر والليل بعد سفر الطويل . فدخل الدار من باب خصوصـي
كان منقادـه معه وترك بلا لا يهم بالجمـلين . وبـالـثـيـابـهـ وـهـوـ غـارـقـ فيـ بـحـارـ المـهاـجمـسـ
ينـكـرـ فيـ ماـ رـأـهـ منـ الـاهـوالـ وـمـاـ يـتـوقـعـ بـعـدـ مـوـتـ الـامـامـ عـلـيـ مـنـ اـخـيـلـ الـاحـوالـ
وـلـمـ فـرـغـ مـنـ تـبـدـيـلـ ثـيـابـهـ توـسـدـ وـسـادـهـ يـلـتـمـسـ الـاسـتـراـحةـ وـهـوـ يـنـكـرـ فيـ مـاـ يـتـوقـعـ
سـاعـهـ مـنـ بـلـالـ وـلـكـنـ النـعـبـ تـغـلـبـ عـلـيـهـ وـغـلـبـ عـلـيـهـ بـيـعـاسـ فـنـاـمـ . وـدـخـلـ بـلـالـ عـلـيـهـ
فـرـأـهـ نـائـماـ فـتـوـسـدـ مـقـعـدـاـ فـيـ غـرـفـةـ أـخـرىـ وـجـعـلـ يـسـتـعـدـ لـمـاـ يـجـولـ فـيـ
خـاطـرـ مـنـ الشـوـؤـنـ حـتـىـ نـامـ

الفصل التاسع والستون

﴿خولة وابن ملجم﴾

وظلاً نائبين الى الغروب فأفاق سعيد من صوت الخدم وهو ينخون الباب بعد عودتهم الى البيت وقد بعنوا لما رأوا سيدهم هناك على غير انتظار .
اما هو فعذرهم لغيا لهم ودعا بلا لا فوقف بين يديه فدعاه للجناوس فاستاذن في اغلاق الباب والاخذله . فامر بعض الخدم فأضا له مصباحاً وضعه على مسرجة وخرج فاغلق بلال باب الغرفة وجلس الى سعيد والاهتمام باد على وجهه
فقال سعيد «تكلم يا بلال ما بدالك»

قال «ابا ذن لي سيدى ان اسا له اولاً ما الذي دعا الى فشل مهمته»
فتهجد سعيد وقال «ان السبب قد يم يا بلال لم اكن لاقصر عليك لوم اواس منك ما آتسته من الغيرة والشهامة»

قال بلال «ولم يكن من شأني ان ابا لك عنه لوم الحظ من خلال الوفائع ما يشف عن حقيقة السر ولعلي اذا اطعنت على حقيقة الحال ان آتيك بخبر جديد»
قال «لا اخفي عليك بعد ذلك ان السبب في فشلي امرأة اظنك سمعت اسها في هذا الصباح من فم ابن ملجم» .
قال «اظنها قطام بنت شحنة»

قال «نعم هي قبحها الله من داهية معنالة . فانها كانت سبباً في قتل ابن عبي وقتل الامام واس ملجم . ولا يحيى عليك ان قتل الامام لا يقتصر شره على مجرد قتل النفس ولكننا نخاف منه النتنة . ولا ريب انها ارادت ايضاً ان تقتلني بوسيلة درتها» وقص عليه حدثه مع قطام مختصرًا من اول معرفتي بها الى تلك الساعة
فلما فرغ من كلامه عض بلال على امامله وتحرق ثم تنهد وسكت
فقال سعيد «ما يخطر لك يا بلال وما الذي يدعوك الى التنهد»

قال «يدعوني اليه بدعي على ما فاتني من النهض على هذه المرأة في صباح هذا اليوم لاني رأيتها في قبةها بالمسجد وقد مرّ بها ابن ملجم ورفيقه فكلماها قتل اقدامها على تلك

الفعالة الشناعاء ولكنني كنت اظن علياً والهفي عليه قد علم بذلك بما ينويه اس ملجم فلا يترك له فرصة لارتكاب ذلك المنكر . . . وقد رأيت بنت شحنة خارجة من المسجد بعد ان تحققت بيل بغيتها بقتل الامام فيها ليتني قبضت عليها . . . ولكن ما قدر فقد كان . وقد قتل الامام وقتل قاتله والامر في ذلك الله . على اني اذا عشت فاني منتقم لك وللإسلام من هذه الماجنة . ومن غريب الانفاق ان ابن ملجم هذا كان قد خطب سيدتي خولة من والدها ولكنها لم تكن تحبه ولا ترضي به «

ولم يكن بلال عارفاً باطلاع سعيد على ذلك الخبر من خولة فلم يشأ سعيد ان يعترف له به فتجاهل وظل صامتاً ليسع بقية الحديث

فقال بلال « ولا شك ان سيدتي خولة اذا سمعت بقتل هذا الغادر فرحت لخلاصها من شراكه »

فقال سعيد « وما الذي كان يحملها على القبول به ألم يكن لها ان ترفضه »

قال « كلاماً يا مولاي لأن سيدتي والدها هو الذي اطعمها بها ووعده بزفافها اليه مما هي فقد تحققت من قراين مختلفة انها كانت مصممة على رفضه ولو معاً كلها ذلك من العناء »

الفصل السبعون

* قلب خولة *

فتذكر سعيد حديث خولة وتمثلت له صورتها كالملاك وتذكر ما آنسه فيها من الحمية والآفة والشهامة وما شعر به نحوها من الميل يوم لزيها في السلطان . وهو لا يزال مخدوعاً بوعيد قطام ومشغولاً بامر الامام علي فلم يترك لقلبه ومشد عجلال العجب فلما سمع ذكرها الآن تجددت ذكرها في ذهنه وقال اسع اخبارها فظل على تجاهلو فقال « اوهل انت متحقق انها كانت مصممة على رفضه ولو اغضبت والدها »

قال « نعم اني واشقها اقول وقد لحظت شيئاً آخر . . . » وسكت وهو يبتسم

قال « وما هو »

قال « ألم تلحظه انت »

قال «كلاً وما هو . قل »
 قال « لحظت المك وقعت من نسها موقعاً عظيمَا . ولحظت ايضاً المك لم تجهل ذلك
 قال « كيف عرفت اني لم اكن اجهله »
 قال « عرفته ما رأيت من خروجها اليك غير من بالليل التماساً لنجاتك وهي
 تسجّهاني ولا تنبه للاحظاتي . ولكنك كنت متشغلاً يومئذ بلهتك على اقاذ الامام علي
 من مخالب الموت . . . »

فتعجب سعيد لما ظهر له من اطلاع بلال على سرهِ وتدكر انه شعر بشيء معه يوم
 كان في الفسطاط وان انشغاله بهمته على الامام وخوفه عليه مع تعلقه بقطام وعهودها
 حال يسنه وبين تكين علاقتي المودة مع خولة . فلما سمع ما سمعه من بلال ساعده
 احب ان يستطلع جالية الخبر فقال له « افصح عما في نفسك اني لم افهم مرادك »
 فقال بلال « ان مرادي واضح ما ذكرته لك واقول بالاختصار ان سيدتي اسررت
 اليه يوم امرتني ان اسير في ركبك انت اذا اتمننا مهمنا بكشف دسيسة ابن ملجم
 وانذنها الامام علياً ان اطلعك على رغبتها في عودك الى الفسطاط لانها تكون قد نجت
 من خطبة ابن ملجم وتكون انت قد فرغت من مهمتك ولا ادرى ما تنوّبو هي في
 رجوعك ? »

ففهم سعيد ما وراء ذلك فقال له « اما رجوعي الى الفسطاط فلا يخلو من الخطأ
 علي لاني انا جئت منها فراراً من القتل . فاذا عدت انا اعرض نفسي لما هو شرّ من
 القتل وان العاص لا يعنيوني على اني اكره ان ارى الفسطاط بعد ان فقدت فيها
 امن عي رحمة الله . . . » وسكت هيبة وتنهد ثم قال « هل انت واثق بيلها اليه فاني
 والحق يقال قد آمنت في خولة من الحمية وعراة النفس مع الاستهلاك في نصرة الامام
 ما جعل لها في نفسي مقاماً رفيعاً . ولا اكرهك ما خالج ضميري يومئذ من الميل اليها
 ولكنني كنت عالق القلب بقطام اخراها الله اتها خدعني . . . »

فقطع بلال الكلام عليه قائلاً « لا تذكر هذه المخائنة يا مولاي اني والله اكره
 ان اسمع ذكرها لاني اشعر بقصوري وجهلي اللذين سببوا نجاتها وهي والحق يقال اصل
 هذا الشر المظيم . . . ولكنها انتقمت لوالدها واخيها فارتکبت اعظم اثم حدث في
 الاسلام فقتلت ابا عم الرسول (صعلم) ولكنني سوف اذيفها حنثها واسنك دمها

وأوكفني ذلك بذل نفس « قال ذلك وهو يحرق اسنانه حرقاً وإنما
فقال سعيد « وما ظنك بها الآن . هل هي باقية في الكوفة؟ »
قال « لا اظنها تبقى هنا بعد ما ارتكبته وقد فضح أمرها وعلم الخاص والعام إنها
شريكه في القتل »
قال « وإلى ابن نظيرها خرجت »
قال « لا ادري وسأبحث عن ذلك في صباح الغد اما الآن فلنعد إلى ما كنا
فيه فانك اذا لم ترجع معي إلى المسلط احسبني متصرّاً بالواجب على ». وخولة
يامولي يندر مثاها بين البنات جمالاً ونعنةً وآفة ولو لا والدها ونشيئه لمعاوه يلأن
بما لم يأثره اعظم الرجال . ولكنه كثير التشيع لأن أبي سفيان كما قد علمت وهو
وسيدي خولة يحسبي ساذجاً لا افهم الامور ولذلك فكثيراً ما كانا يخنقان امامي
ويختصان على امور استدل منها على ذلك »

الفصل الحادي والسبعون

* حب جديد *

فاحسّ سعيد بتجدد عواطفه نحو خولة وتأقت نفسه إلى الحصول عليها ولكنها
استفشل الذهاب إلى المسلط مخافة الوقوع في قبضة عمرو بن العاص . ثم ذكر بعثة
أن المؤامرين كانوا قد أفرزوا على قتله وقتل معاوية في مثل ذلك اليوم فقال « ألم
أخبرك أن اثنين آخرين تآمرا على قتل ابن العاص ومعاوية أيضاً »
قال « بلى أخبرتني ولكنني لا أخاف على ابن العاص الوقوع في تلك الشراك »
قال « وما الذي يبعيده منها وهو لا يدري بما نوّه له ... فإذا كان المؤامر على
قتله قتل هان عليه الدخول إلى المسلط ويكون ذلك أهون إذا قتل أيضاً
معاوية في الشام »

قال بلال « إن البحث عن ذلك يمناج إلى وقت ولا بد لنا من الترخيص به
نبضم الأخبار أو أن نسير للبحث عنه بانفسنا »
قال سعيد « لا صبر لي على الترخيص ولا اظنك تنصبر عليه . فارى ان نسير أنت

على عمل الى النسطاط تستطلع جلية الواقع وتعود بالخبر اليقين ، و اذا جعلت طريقك
بالشام جئت بالخبرين معاً

قال « ذلك اليلك يا سيدى . وانت ماذا تعمل ؟ »

قال « اني اود البقاء هنا للبحث عن تلك الخائنة قطام لعلي اتوقف للانتقام منها
و اذا لم اتوقف الى ذلك عشت منغص العيش طول عمري . آه كيف يهنا لي عيش
وهذه المرأة حية وقد فعلت ما فعلته معي ... قتلت ابن عمي وامير المؤمنين
وكادت تقتلني ! »

قال « بالله دع امر الانتقام اليّ فاني اريد ان اشفى غليلي منها ومن عبدها المذموم
رجان لا اراحة الله ... ولكنني ارى سفري الى النسطاط ادعى الى العجلة ...
فا العمل »

فاعجب سعيد بمحاسة بلال و زاد ميلاً اليه والى سيدته ولبس برهة ينكر في
حاله وهو يزداد شعوراً بالاعطاف الى خولة ويردد في ذاكرته ما آنسه فيها من
الخلال الحميدة والغيرة نحوه وكيف كان التفاوٌ بها سبباً في نجاته من القتل ليلة ذلك
الاجتثاع . فضلاً عما رأاه فيها من الغيبة على امير المؤمنين . ولكنها لم يكدر يتغلب ينكره
إلى عاقبة ذلك السعي وحيوط تدابره في انقاذه حتى هب جسمه وتمرر في داخله على
انه لم ير حيلة في ما مضى فقال « لقد قضي الامر يا بلال ولم تقد لنا حيلة في ملاقاة
ما مضى فاذهب انت الى النسطاط وعرج في طريقك الى الشام ثم عد اليّ بالخبر
اليقين عن عمرو ومعاوية . واما انا فاني باق هنا ابحث عن قطام وعجزها وعبدتها
وإذا انت عدت من سفرك افتقدني في هذا المنزل وسبرى ما يكون »

قال « وخولة ؟ ماذا اقول لها »

قال « قل لها اني لا اقدر اصف شوقي اليها وان ما عندي اضعف ما عندها
ولها مني عهد الله ان هي رضيت بي ان لا التفت الى سواها والا يام بيننا »

قال « اما رضاها فانا الخمين لك به ... » وسكت بلال وقد ابرقت اسرته
سروراً بما سمعه . ثم اقطب وجهه بغتة وقال « ولكن هب ان ان العاص ما زال حياً
والدها كما تعلم شديد التشيع له فلا اظنه ياذن زفافها اليك اختياراً فما الحيلة ؟ »

قال « ذلك راجع الى اختيارها ومتى عدت اليّ بالخبر تقدّر الامر في حينه أبا

الآن فينبغي ان لا نضيع الوقت . امضى الى الفسطاط على عجل وعذ الى الخبر
اليقين وعلى الله الازكال »

فأخذ بلال بهم بالرحيل وسعيد صامت يذكر في ما حدث له من المهاجمين
المجده . واصبح المحمول على خولة شغلة الشاغل ولكن فشله في اغاثة الامام ثار في
خاطره حب الانتقام من قطام . فصمم على العنك بها اما يد واما بمساعدة الحسن
بعد توءه عرش الخلافة

الفصل الثاني والسبعون

* خولة في الفسطاط *

فلترك سعيداً وللا لأن في حالها ولعد الى خولة في الفسطاط . فقد تركها هائنة
في ذلك الليل الى مترتها وكان والدها كما علمت قد حسنه في ذلك البيت على طريق
عين شمس . فلما اخرجها سعيد منه كما رأيت وسارا الى الديبر ثم خرجت هي وحدها لم
تر خيراً من ان تظاهرة بالبكاء والخوف . فهرعت الى منزل والدها باكية وكان هو لا يزال
غائباً لاشغاله بمقابلة عمرو من العاص بشأن الذين قبض عليهم في ذلك الداهيز . فلما
فرغ من امرهم وحرّض ان العاص على اغراقهم سارا الى محسن استئناته فرأى الناب
منتوحاً وليس هناك احد . فاستغرب الامر وعادتا الى منزله فرأى خولة جالسة
في غرفتها تبكي . فتجاهل سبب بكائها وقال لها « ما بالملك يا خولة »

قالت « كيف تركني وحدى في ذلك البيت ألم تخف علىي ابناء السبيل »

قال « ألم تري انني اقمت الناب وأصدت خوفاً عليك من ذلك »

قالت « كيف تفعل بي هذا النعل العلي عاصية امرك » واستغرقت في البكاء
فتحركت فيه عاطفة الا سوة وظنها ان تول ذلك عن سعادة فقال لها « وكيف خرجت »
قالت « لما رأيت نفسي حبيسة هناك خفت على حياتي فجعلت اماديك واستغيثت
بك ثم سمعت فرقعة وضجيجاً ووقع حوافر كثيرة فازداد خوفي فصحت واستجررت فقيض
الله لي بعض الناس فتح الياب سعنف فخرجت وهرولت الى البيت وانا ارتعدت من

شدة الاضطراب

فطأيّب خاطرها ولا مهرا على خوفها ولكنّه سرّ اظنه باطنلاه حيلته عليها . وما زال يهون عليها حتى تظاهرت بالرضا فتركها وخرج وهو يظنها عازمة على الرقاد ثم سمعت خولة لغط الناس في المدينة فانتبهت ان الجند لا يلشون ان يبغضوا بيت الغفارى فإذا رأوا سعيداً هناك قبضوا عليه فخرجت لانقاده كما تقدم . وقبل خروجها اوصلت عبدها ان بوصد الباب وإذا سأله والدها عنها ان يقول له انهانا مت واوصى الباب وراءها لشدة ما اعتراها من الخوف في ذلك المساء . فمات والدها تلك الليلة وهو يحس بها نائماً اما هي فبعد انقادها سعيداً عادت الى غرفتها وهي لاتزال مضطربة فلم تستطع رقاداً وجعلت تفكّر في طريقة تقدّم بها عبد الله ولم تكث قليلاً حتى سمعت لغةً في دار والدها وفهمت من خلال اللقط ان عمراً عوّل على اغراف اسراء تلك الليلة في الشيل وسمعت والدها يصيح سروراً بذلك الاقرار . فاستن اسناً شديداً ولشت سرهه : كر في ماذا نعمل حتى حدثها بمسها لشدة التأثر ان تخرج في اثر الخارجين لعلها تستطيع انقاد عبد الله . فاستغفلت والدها وكان قد ذهب الى فراشه وخرجت واوصى الباب وراءها كالمق الاولى وبلال نائم امام عنبيه وسارت تائمس ضفة اليل حيث ظلت اتهم ساقوهم وهي عزلاً لاسلاح معها ولكنها ائماً اندفعت الى الخروج بحبيتها . فالتفت هناك بسعيد ودار ما دار بينها وبينه ووعدته بارسال عدها لبحبة الى الكوفة كما تقدم . تم عادت وحدها

فلم اشرفت على المدخل رأته هادئاً واهله يوم فانسأت الى الدار فرأته عبدها بلا لاً نائماً فايقظاته فهرب من رقاده مذعوراً وكانت تعلم باسمه لاكتو في مرضها فدعنه الى غرفتها فتنعمها فلما خالت به قالت « اندري لماذا دعونك »

قال « كلّاً يا مولاني ولكنني رهين اشارتك »

قالت « انتطعني يا بلال »

قال « كيف لا واما عبدك ورهين اشارتك »

قالت « اعلم ذلك ولكنني اريد ان اعهد اليك امرًا خطيراً فهل است مستعد للقيام به حتى الموت »

قال « ان الموت هين في سبيل مرضاتك . قولي يا سيدتي مرى بما تثنين فقد

قضيت عمري في خدمتك وانا اتوقع مهمة ترضيك ولو الى القتل »
 قالت « أسمعت ماحدث اليوم في عين شمس وما فعل ابن العاص بالجنبيين هناك
 قال « نعم وقد ارتكب اميرنا في يوماً عظيماً وقتل كثيرين »
 قال « اما سررك ما فعله ابن العاص باولئك العلوبيين »
 قال « اذا كان ذلك سررك فانه يسرني »
 قالت « وما ظنك بي »
 قال « لا اظننك راضية عن ذلك لعلك اتيت على غير دعوة الامويين وان يكن
 سيدتي والدك مستهلاً في سبيل التشيع لهم »
 قالت « وكيف عرفت ذلك »
 قال « انت تخسيبني سادجاً وقد قضيت في خدمتك اعواماً طولاً واطلعت على
 مكونات قلبك وانت لاعلين . واما الان وقد دفعتني الى التصرّح فاقول لك اني
 اعلم غرضك ولم يفتنني شيء مما تقاسمه في سبيل الدفاع عن الامام علي . . . وخصوصاً في
 بالامس وانت لا تعلمين الا اني احرس هذا الباب الموصد واكتم خروجك منه عن
 والدك »

فاستغربت خولة قوله ولكنها سرت بما سمعته منه وقالت « وما مرادك بما حدث
 بالامس »

قال « اينظرين اني غافل عما قاسيته في سبيل انقاذ ذلك الشاب الغريب الليلة
 وقد كان في جملة من خيف عليهم الوقوع في شراك ابن العاص فانقذته بغيرتك »
 فتحققت انه كان يراقب حركاتها وسكناتها . فتهلل قلبها سروراً فقالت « اما
 والحال على ما ارى فاخبرك ان ذلك الشاب مسافر الان الى الكوفة واريدمنك ان
 تذهب اليه بالجملين الى سفح المقطم فاذا التقى به هناك سر في ركبها الى الكوفة
 واحذر ان يدرى بك احد او ان تذكر ذلك لأحد »

ولم ثم كلامها حتى تحول مسرعاً بهم باعداد الجملين فاسترجعته وقالت « قف
 يا بلال بورك فيك واسمع كلمة اخرى اقوها المك »
 فعاد وقال « ليك يا مولاتي قولي ما تثنين »

قالت « اتيت ذاهباً مع هذا الشاب الى الكوفة لانقاذه الامام علي من القتل وستعلم

تفصيل ذلك منه . وأما الآن فيكفيني أن أوصيك بـ خيراً وإذا إنما فرغنا من تلك المهمة أرجع به اليانا فاني أكره ابن ملجم الذي يزيد والدي أن يجعله خطيباً لي ... هل فهمت؟ »

فضحك بلال وهز رأسه ولسان حاله يقول « فهمت »
 فقالت « سر بحرارة الله وكنت أود ان ازيدك بياناً ولكن الوقت ضيق فاذهب وعد سالماً باذن الله واحذر ان تبوح لأحد بما سمعت او رأيته »
 فخرج وهو يلتفت إليها كأنه عاتب على ما ظهر من ضعف ثقافتها بما نسبه ولتكنة كان يبتسم فرحاً بما كلفته به . فاعده الجماليين وخرج إلى سفح المقطم وصحب سعيداً كما نقدم

الفصل الثالث والسبعون

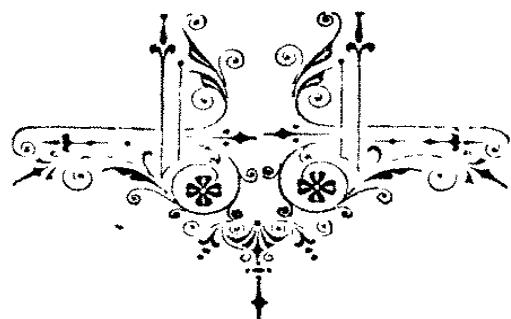
* نفوذ الحيلة *

اما هي فلما خرج بلال عادت إلى غرفتها وأوصدت الباب وراءها واستلقيت في فراشها وقد تعجبت مما قاسته في ذلك اليوم من المشاق وكان يجب ان تنام لولم يشغل خاطرها ما شغلة من الامور المأمة . ويختتم ذلك شعور داخلي جديد لولا الحشمة واهتمامها بانقاداً الإمام لصرحت به . ألا وهو انعطافها إلى سعيد لما آنسست فيو من الرغبة في انقاداً الإمام على واستهلاكه في سبيل ذلك مع ما في قلبه من التنور الشديد من ابن ملجم حتى كرهت والدها من اجله وأجل تشيعه للأمويين
 وقضت بقية تلك الليلة لم يغمض لها جفن وهي تارة تفك في سعيد وتألمها بخنق انعطافاً له وخوفاً من فشل مهمته . فجعلت تقدر الوقت اللازم لسفرها إلى الكوفة فرأرت انه اذا اسرع لا يفوته الوصول إليها قبل الاجل المسمى للقتل . وكان يعترض تسلسل افكارها خوف ما رأها يطأ عليه في الطريق فيعيق وصوله فترتعد فرائصها فرقاً من قتل الإمام . وفي قتله ضربتان كبرتان الاولى موته والثانية عود ابن ملجم إليها . ولكنها كانت تتعزى بأن ابن ملجم اذا ظفر بقتل الإمام لا ينجو هو من القتل . ثم

تحول ذهنها الى والدها وخروج عبدها بالجملين واعدت اعذاراً تتعلما في سبب خروجه فلم تجد خيراً من ان تدعى فراره الى حيث لا تعلم وكان والدها قد افاق في اثناء الليل وهي غائبة في غرفة ابنته ليرى حالها فرأى الباب موصداً فسأل العبد عن ذلك « فقال ان سيدتي بانت مبغوثة وقد نولتها الخوف على غير المعناد في تلك الليلة فاوصدت الباب واوصتنى ان انا هم خارجاً » فقال والدها في نسخه « مسكنينة خولة يظهر ان رعبها من ذلك الحبس لا يزال مؤثراً عليها » وعاد الى فراشها وهو مفتفع بصدق ما قاله العبد وفي الصباح جاء الغرفة فرأى الباب لا يزال موصداً ولكن بلا لامامة فقرعه فتهض خولة وفتحته وهي تنظره بالذوق املؤ استغراقها في النوم . فامسكها والدها بيدها ووضع يده على كتفها وهو يقول « العلّك لا تزالين خائفة يا بنتي » قالت « كلاً يا سيدتي اني تحت جناحك في امن وطأنية » فقال « بورك فيك تعالى تناول الطعام » ثم نادى بلا لاماة فلم يجده احد فقال « ابن بلال »

قالت « لا أدرى اهلة خرج الى السوق في غرض »

فصربرهنيه فلم يحضر فارسل بعض الخدم في اثنين فلم يقف له على خبر . ثم علم بضياع الجملين ولما انسى معظم النهار ولم يعد بلال ولا الجملان اشكلا عليه امره قالت خولة « يظهر انه اخذ الجملين وفر » فبعث الناس في اثنين الى ضواحي المدينة فلم يتبئه احد بخبر فصدق فراره



الفصل الرابع والسبعون

﴿ خولة ووالدها ﴾

أما خولة فلما تحقققت اطلاع الحيلة على والدها عادت الى هواجسها ونذكرت المهمة التي سار فيها سعيد واخذت تذكر في ابنه وهي خائفة ان يتأخر في الطريق عن الوقت المعين لقتل الامام فيذهب سعيها هباءً مثيراً، ولكنها كانت مع ذلك مطمئنة الخاطر بتجانسها من ابن ملحم لعلهما آمن وإن فاز بقتل الامام عليٌ فلا ينحو من سيف اشياعه، وهم كثار في الكوفة

على أنها نامت منشغلة الخاطر على سعيد بعد ان فرغت من تدبير الحigel في ارساله لانها لم تتحقق وقوعها من نفسه مثل وقوعه من نفسها وودت لو يسرع عبدها بلال بالرجوع لنرى ما تم، ولكنها حسست الايام المأذية ربما يرجع فرأت الاجل لا يزال بعيداً فصبرت نفسها ولمنت تنتظر ما يأتي به الفدر

وبعد مضي ايام من ذلك جاء والدها ذات مسا، بعد عودته من حانته وعلى وجوه امارات البشر فتوسعت في طلبها خبراً جديداً فمالت الى استطلاع ما في خاطره لعلها تعلم منه شيئاً عنها، فلما جلسا الى المائدة احنالت في اجداب حديثه فذكرت له ما مر في تلك الايام من القبض على اوثيق العلوبيين وتهافت في امراضها فاتسمت باللقة ملء فيها وكانه يريد ان يقص عليها قصة بعد ان يزدرد تلك اللقبة، فكفت هي عن الطعام ولم تعد تستطع صرراً على ساق الحديث

فلما ابلغت اللقبة تصحح ومسح شاريء ولحينه والنفث اليها وقال وهو لا يزال يتنفس «لقد عودتني يا خولة ان احاذر الكلام بين يديك في ما اخشى افشاءه» فتضاهرت بالاستغراب وقالت «اني لا أتعجب يا ابناء من سوء ظلك بي مع علمك اني فتاة محجبة في هذا المليت لا اعرف من اهل الدنيا احداً سواك وكيف تقول انك تحاذر ان تذكر بين يدي ما تخاف افشاءه، ايه سرّ بحث به الي فافشنه» قالت ذلك وكادت تجهش بالبكاء

فتناشروالدها من منظرها ولكنها عادت فابتسم وقال لها «لم اقل انك تبوحين

بالسر ولكنني . . . » وسكت

فقالت « ولكن ماذا يا اباها انك والله ظالمي بظنونك ويسوّني ان لا يكون لي
نصيب من الثقة حتى ولا من الذي الذي لا اعرف احداً سواه »

قال « لا اخفي عنك يا ولادي اني كنت ولا ازال اعتقد انك موالة الى الاعداء
..... و »

فابتدرني وهي تظاهرة بالبغنة والاسفراط وقالت « واى اعداء تبني . . . اعوذ
بالله من هذه النهم . . . كيف تقول ذلك . . . » وتنحّت عن المائدة وظاهرة بالاعراض
فقال « اعترف لك اني اراك ميالة الى حزب العلوبيين فانت تعلمين ان علياً
حاربنا وقتل منها جماعة كبيرة في التهروان وغيرها . . . ولا الومك لانعطافك نحوه
لاني كنت انا ايضاً مثلك وقد كنت في جملة المتشيعين له . ولكنني اصبحت بعد واقعة
صفين نافياً عليه لما ارتكبه في مسألة الحكمين بجحث اخرج الخلافة من يد وجعل
لعاوية يداً دونه »

الفصل الخامس والسبعون

* خبر جديد *

فادركت ابها اذا اقرت بحقيقة ميلها الفت نفسها في تهلكة فلم تر خيراً من
المبالغة في الانكار فقالت « وما ادركك اني ما زلت على القدم اذا كنت قد عدلت عنه
ومن اكون اما حتى اخالفك في امثل ذلك »

قال اولم تكوني كذلك لما كان ثبت داع لم تعلك عن القبول بابن مليم زوجاً
وانت تعلمين ان هذا الرجل قد عاهد نفسه على القيام بعمل لم يقدم عليه احد غير من
ال المسلمين في هذا العصر . انه كما تعلمين قد تعهد بقتل علي »

فاجذبت عدد ساعتها ذلك التعبير وحدتها نفسها ان تبوح بحقيقة ميلها ولكنها
خافت ضياع الفرصة وهي ابا افتتحت الحديث ل تستطلع مافي نفس والدها فانكرت
تهلكة كل الانكار وقالت « ان ما تنسبني اليه من امر ابن مليم ظلم يا مولاي فاني لم

ارفض هذا الرجل وهو لا يزال خطبي متى عاد من رحلته هذه . وكيف تقول اني لم اقبل وانا لم اقه بكلمة في هذا الموضوع « فضحك والدها وهو ينشاعل بقطع عرضي فخذ من المأون بين يديه وقال وهو ينظر الى تلك الفخذ « نعم انت لم تقوهي بكلمة ولكنني فهمت من تحمل حالك انك غير راضية به » وكان قد اتم قطعه الحم فندم لها قطعة فابت ان تناولها واعرضت دللاً وحقنا

فقال لها « خذني كلي يا خولة ولا يسووك قولي اذا كان صحيحاً » « قالت وهو انا ساءني لاني اراني بـ مظلومة واظبتك بناء على هذه الظنوين قد عاملتني معاملة العدو فحبستني في ذلك البيت المظلم سامحك الله »

قال لقد اذكرتني حدث تلك الليلة وما كان فيها من الا هوال وهو الامر الذي جئت لاقص خبر عنك ولكنني لا اقول كلمة قبل ان تصدقيني الخبر هل انت على ولاه والدك تأثر بنـ امنـ اـمـ ماـذاـ »

فظهورت بالغضب وقالت « اني لا اراك بهذه الظنوين الا ت يريد ان تعيثي على الشكوك وتلغييني الى الانحراف واما لا علم لي بها ورا هذا البيت ولا ابغى من هذه الحياة غير مرضانك »

فمدّ بينه وهو لا يزال قابضا على قطعة الحم وقال لها « خذني اذا هذه النوبة وأصغي لما اقوله لك »

فتناولت خواة اللقمة من يده وقالت « تفضل » ووضعت اللقمة في فمها وهي لا تعرف كيف تتضخها لانشغل خاطرها بما ترجو ساعتها من والدها فاذا هو يقول « اعلى يا خولة ولا ازيدك علماً ان اميرنا حفظة الله علم منذ ايام باشرين اتها من الكوفة لخاتمة بعض كمار العلوبيين الذين كانوا يجتمعون سراً في خرائب عين شمس فبعث جداً من شرطه فقضى عليهم وهو في مجتمعهم تحت الارض الا تعلمين ذلك ؟ »

قالت « لحظت شيئاً منه بعد حدوثه »

الفصل السادس والسبعون

* عبد الله حي *

قال «فأعلى أسا وجدنا في جملة المقوض عليهم في تلك الليلة واحداً من ذيئن الآذين اسمه عبدالله . ولما الثاني فات نجا ولا ندرى من هو والظاهر أنه لم يكن في ذلك الاجتماع لامة عمر عن كان طوبلاً . أما الأول فات سبق في جملة من سبق تلك الليلة إلى دار الامارة . وربما بذلك ان الامير عمر رأى ان يقتل أولئك المقوض عليهم وقد كتب أنا في جملة من اشار عليه بذلك مخافة الفتنة اذا ظلوا أحياء . فأمر عمرو باغراقهم في البيل وبعد الله معهم وقد عدت أنا من حضر الامير وهم ينهاون لارسالهم إلى البيل وعلمت في الغدائهم اغرقوهم »

فلم تر خولة بجديده شيئاً لم تكن تعرفه ولكنها علمت ان الحديث لم يتم فصرت نفسها ونظاهرت بخلو الذهن من هذا الموضوع وهي تبدي الاستغراب

اما هو فقال «وما زلت اعتقد انه اغرقوهم جميعاً الى البوم ولانا في منزل الامير فرأيت في بعض جوانبه غرفة مغلقة كنت كلما جئتني في هذه الاشارة اراها مغلقة فلم اهتم بشأنها فلما كان عصر هذا اليوم دخلت على الامير وما عائد من عملي فذكرت له امر ابن ملجم ومهنته وطلبتها تحدث في ما عسى ان يكون من امعن في الكوفة . فلما وصلنا الى ذلك رأيتها بيتسم وتوسمت في وجهه خراراً فرغبت اليه أن يطلعني على ما حدث واستعلمته ما لي من الدالة عليه . ولكنني رأيتها يتردد في الامر فالراجحت عليه فقال لي «انعلم من هو المقيم في هذه الغرفة»

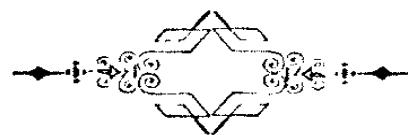
فقالت «لا يامولي لا اعلم وليس من شأنني السؤال عما في منزل الامير» فضحك عمرو حتى رقصت لحينة وقال «اني حبس فيها رجلاً سبقني حياني من القتل»

فعجبت لقوله واستغربت ما يشير اليه ولبشت انتظار الافصاح فقال لي «اعلم يا صاحبي التي حبس في هذه الغرفة عبدالله الاموي الذي كان قد ومه سبباً بقتل الملعوبين منذ ايام»

فَلَمَا سَمِعَتْ خُوَلَةً ذَكَرَ عَبْدَ اللَّهِ عَلِمَتْ أَنَّهُ رَفِيقُ سَعِيدٍ وَخَنْقَ قَلْبِهَا فَرَحًا بِنَجَادَهُ مِنَ الْفَتْلِ وَلَكِنَّهَا اسْتَغْرَبَتْ سَبَبَ تَلْكَ الْجَنَاحَ عَلَى إِنْهَا ظَلَّتْ مُتَجَاهِلَةً وَهِيَ نَوْقَعُ سَاعَ نَهَمَةِ الْحَدِيثِ وَوَالَّدُهَا يَتَشَاغِلُ عَنِ اتِّهَامِهِ بِالْمُضَغِّ وَالْإِبْلَاعِ وَكَانَ أَكْلًا

فَلَمَّا خَلَّا فَمُهُّ مِنَ الطَّعَامِ عَادَ إِلَى الْحَدِيثِ فَقَالَ « فَاسْتَغْرِبْتَ مَا يَقُولُهُ وَقَلَّتْ مَا الَّذِي عَسَاهُ أَنْ يَنْجِيَكَ بِهِ مِنَ الْمَوْتِ » فَأَخْرَجَنِي فَائِلًا » أَنَّ أَنَّ مُلْجِمَ خَطِيبَ خُوَلَةَ الَّذِي قَاتَلَتْ لِي أَمَّةَ عَازِمٍ عَلَى قَتْلِهِ عَلَيْهِ أَنَّهُ هُوَ مَوْاْمِرُ رَجُلًا آخَرَ عَلَى قَتْلِي وَلَيَنْهَا تَوَاعِدُهَا عَلَى قَتْلِهِ عَلَيْهِ وَعَرَقَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ » . قَالَ عَمْرُو — « فَلَمَّا قَالَ لِي عَبْدَ اللَّهِ ذَلِكَ اسْتَغْشِيَتْهُ وَلَمْ أَصْدِقْ قَوْلَهُ لِغَرَائِبِهِ وَلَعْنِي أَنَّ مُلْجِمَ مِنْ رِجَالِ دُعُونَا وَخُصُوصَهُ بَعْدَ أَنْ خَطَبَ بِإِبْنِكَ فَقَلَّتْ فِي نَفْسِي لَوْصُحُّ حَدِيثِ هَذَا الْأَمْوَيِّ لِمَا خَفِيَ ذَلِكَ الْحَدِيثُ عَلَيْكَ وَإِنْتَ لَوْعَلَّتْهُ مَا كَنْتَ تَهْنَئَهُ عَنِي فَلَمْ أَرَ خَيْرًا مِنْ أَنْ اسْتَبَقْهُ وَاحِمْسَهُ فِي مَنْزِلِي رِبَّشَا يَأْتِي الْأَجْلَ الْمُضْرُوبَ لِفَتْلِ هَذِينَ الْاثْنَيْنِ وَهُوَ يَوْمُ ١٧ دِيْنَارًا فَإِذَا تَحْقِقَنَا قَوْلَهُ أَفْرَجْنَا عَنْهُ وَالْأَضْرَبْنَا عَنْهُ »

فَقَالَ وَالَّدُ خُوَلَةً « فَلَمَّا سَمِعَتْ قَوْلَهُ عَمْرُو اسْتَغْشِيَتْهُ كُلَّ الْاسْتَغْرَابِ وَخَفَتْ أَنْ يَكُونَ عَمْرُو قَدْ سَاءَ الْبَلَانِي فَاقْسَمَتْ لَهُ الْأَيَّاهُنَّ الْمُفَلَّظَةَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ عَالِمًا بِغَيْرِ عَرْمِ أَنَّ مُلْجِمَ وَسَائِلَتْ عَمْرًا هَلْ عَرَفَ أَبْنَى الْمَوْاْمِرِ عَلَى قَتْلِهِ . فَقَالَ أَنَّ ذَلِكَ الْأَمْوَيِّ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفَ الْأَسْمَاءَ . وَلَمْ أَدْعُ اعْرِفَ بِهِ خُوَلَةً كَيْفَ أَوْكَدَ لَهُ صَدْقَ أَخْلَاصِي أَنَّهُ مُخَافَةً أَنْ يَبْقَى عَلَى سُوءِ ظُنُونِهِ فِي اظْهَارِ الغَضَبِ مِنْ أَنَّ مُلْجِمَ وَقَلَّتْ لَهُ أَنِّي لَوْ عَرَفْتُ خَدَاعَ هَذَا الرَّجُلِ مَا رَصَبْتُ بِهِ صَهْرًا وَلِمَا مِنْذَ الْآنِ مُحْرَمَةٌ مِنْ خُوَلَةٍ فَلَمَّا قَلَّتْ لَهُ ذَلِكَ التَّفْتَ إِلَيْهِ وَقَالَ « لَا يَكْنِيَنِي هَذَا الْوَعْدُ وَلَا يَأْتِيَنِي اعْرِفَ خُوَلَةً وَإِعْرِفَ مَقَامَهَا وَطَالَمَا كَنْتَ أَرِيدُهَا لَاحِدًا أَوْ لَادِيًّا وَلَمَا الْآنَ فَانِي اطْلَبُ إِلَيْكَ إِذَا صَدَقَ هَذَا الْأَمْوَيِّ بِقَوْلِهِ أَنْ تَكُونَ إِبْنَكَ خُوَلَةً عَرْوَسًا لَهُ لَانَ الرَّجُلُ أَمْوَيٌّ وَكَانَ عَلَى دُعُونَا وَلَكِنْ بَعْضُ النَّاسِ اغْرَوَهُ عَلَى النَّشْيَعِ لِعَلِيٍّ »



الفصل السابع والسبعين

* عريس جديد *

فَلَمَا وَصَلَ إِلَى ذَلِكَ الْحَدِيثِ عَلِمَتْ خُولَةُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ لَا يَرْجِعُ حَيَاً وَاطَّانُ بِالْمَاءِ عَلَيْهِ
وَعَلِمَتْ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ خَبْرَ الْمُؤَمِّرِ ثَالِثَ عَلَى قَتْلِ مَعَاوِيَةَ مَخَافَةً أَنْ يَرْسُلَ عُمَرُ
بْنِ حِيرَةَ إِلَى السَّامِ فَيُخْوِي مَعَاوِيَةَ مِنْهُ

وَلَكِنَّهَا لَمَّا سَمِعَتْ ذَكْرَ خَطِيبِهَا لَهُ اطْرَقَتْ حَيَاً وَنَظَاهَرَتِ السُّكُوتُ وَقَابِهَا يَمْتَلِجُ
فَرْحًا بِنَجَاتِهَا مِنْ أَنْ مُلْجَمَ . وَلَكِنَّهَا تَذَكَّرَتْ حَيْبًا سَعِيدًا وَمَا نَعْشَتِ الْيَوْمُ مَعَ عَبْدِهَا
بِلَالَ فَاحْتَارَتْ فِي أَمْرِهَا . عَلَى أَنَّهَا لَمْ يَسْعُهَا إِلَّا كُفَّارٌ كُلُّ ذَلِكَ وَالنَّظَاهِرُ
بِالْأَسْتَغْرَابِ فَقَالَتْ وَهِيَ بِهِرَ رَاسِهَا اسْتَغْرَابًا « أَصْحَيْعُ أَنَّهُمْ نَأْمَرُوا عَلَى قَتْلِ عُمَرٍ وَإِيْضًا
أَنَّهَا لَصْدَفَةٌ غَرِيبَةٌ »

قَالَ « مَا الْحَقِيقَةُ أَنَّهَا صَدَفَةٌ يَنْدَرُ مَثَانِهَا وَلَكِنْ مَا قَوْلُكَ مَا قَتْرَاجُ عُمَرٍ وَعَلَكَ
فَسَكَنَتْ وَلَمْ تَحْبَبْ

فَقَالَ « مَا مَعْنَى سُكُونُكَ وَأَنْتَ تَعْلَمِينَ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِعُ ردَّ ذَلِكَ الْاقْتَرَاجَ »
قَالَتْ دُعَى ذَلِكَ الْآنَ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِالْأَمْرِ أَمْمَهُ وَمَا خَوْلَةُ الْأَجَارِيَةِ حَقِيقَةٌ لَا تَسْخُنُ
هَذَا الْأَهْتَامُ وَلِنَصْرِ الْمُهْمَنِ الْأَجْلُ الْمُسْعَى لِرَأْيِي مَا يَكُونُ . »

فَقَالَ « أَنَا صَارُونَ وَلَكِنِي أَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَطِيبِكَ الْجَدِيدُ أَهْلًا لِكَ وَلَيْسَ
مِثْلَ أَنْ مُلْجَمَ الْمَخَائِفَ عَلَى أَنَّهُ ادْرَكَتْ مِنْ خَلَالِ حَدِيثِ عُمَرٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَجُلٌ
صَادِقٌ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ أَمْوَيٌّ رَبِّي فِي مَزْلِ الْخَلِيفَةِ عَنَّانَ وَلَكِنَّهُمْ أَغْرَوْهُ عَلَى التَّشْيِيعِ
أَعْلَى ثُمَّ عَادُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ . وَإِذْ كَرِي رَأْيَتِهِ لِيَلَةَ قَبْصَوْا عَلَيْهِ فَإِذَا هُوَ شَابٌ فِي
مَقْتِلِ الْعَرَبِ وَاظْنَنَكَ سَرْتَاهِينَ الْمَوْ »

فَظَلَّتْ خُولَةُ سَاكِنَةٍ فَحَسِبَ وَالدَّهَا سُكُونُهَا قَوْلًا فَسَكَنَتْ وَكَانُوا قَدْ فَرَغُوا مِنْ
الْطَّعَامِ فَنَهَضُوا وَنَهَضَتْ خُولَةُ سَاكِنَةٍ فَغَسَلَتْ يَدِيهَا وَالْمَسَتْ غَرْفَهَا وَهِيَ تَكْرَرُ فِي مَا سَمِعَتْهُ مِنْ
وَالدَّهَا وَتَحْسِبُ نَفْسَهَا فِي حَلْمٍ

فَلَمَّا خَلَتْ نَفْسَهَا تَذَكَّرَتْ سَعِيدًا وَحَبَّا لَهُ وَجَعَتْ نَقَادِفَهَا الْمُواجِسُ وَهِيَ

تخاف ان يحصلها عمرو على الاقتران بعد الله قبل ان تعلم مصدر سعيد في مهنته الى الكوفة وقد اعجبت بدهاء عبد الله لامة باح بخبر المؤامر على قتل عمرو وكم امر المؤامر الثالث . وهو مذور في ما اباح به افاداً لحياته . ولكنها خافت ان تلقي نبوته فلا يأتي المؤامر في الاجل المعين فيقتل عبد الله . على انها كانت اذا نصحت صدق نبوته ونجاته من القتل بمحنة قاتلها الاضطرارها عند ذلك الى القبول عبد الله زوجاً لها وهي تحب سعيداً . فهاجت اشجانها وارتكت في امرها وجعلت تحب عن طريقه تتبعو بها من هذا التردد فلم تزخيراً من الصدراً لما يأتي به الفدر

الفصل الثامن والسبعون

* نبأة عمرو *

اما عبد الله فكان قد جنح الى هذه الحيلة املأ بالحياة وهو مع ذلك يحاف ان لا يتأخر المؤامر عن الوقت المعين لسبب من الاسباب فيذهب سعيد عشاً وظل عمرو اياماً لا يخرج للصلاة ولما كان فجر ١٧ رمضان شكا من بطنه فلم يخرج واتيق خروج خارجة بن أبي حبيبة صاحب شرطته للصلاحة وهو لا يعلم بخبر المؤامرة ولا امن عمرو بالخروج ولو علم بخروجه لمعه . على الله لم يكن يحسب المؤامر يأتي لقتله في الفجر وهو يصلى بل كان يحسب انه يرافق خروجه في اثناء النهار الى بعض الاماكن . ولكن منية خارجة عاجلة فخرج في فجر ذلك اليوم الى الجامع ليصلى في الناس ولم يكدر يبدأ بها حتى هم به رجل من الوقوف وهو يحسنه عمراً فضربه السيف فقتله^(١) فقبوا عليه وساقوه الى عمرو فلما رأاه عمرو نفت وصاح به « ويلك قد قتلت صاحب شرطتي قتلت خارجة من ابي حبيبة » فاجابه الرجل نقلب لايهاب الموت « والله اني كنت احسنت انت »

فقال له عمرو « اردتني واراد الله خارجة . من انت يا غادر »

قال « اني عمرو بن تكر »

قال « ومن انت »

قال « من تيم »

فقال اقتلوه فقتلوه وقد استوا لمقتل خارجة ولكن المفتر كائن لا يحيى
اما خولة فانها باتت ليلة ١٧ رمضان على مثل الجمر وهي متوقعة ان تسمع خبراً
جديداً في اليوم التالي ولم تكن متوقعة ان يفعل المؤامر فعلته في الفجر فاصبحت
وقد ضجعت النسطاط بخبر خارجة وجاءها اسوها فاخبرها به ولسان حاله يقول « لقد
صحت اقوال عبد الله فتاً هي الاقتران به »

اما هي فانها تتحققت وقوع المخذلور ولم تعد تدري ماذا تفعل وبدمت لانها
لم تخرج من بيت والدها سراً قبل ذلك اليوم على انها لم تكن من الجهة الاخرى
موقنة ببقاء سعيد على عيدها او امه رضي بها . وكانت لما تقيتها في النسطاط لم تتحقق
ميله نحوها . فوافقت في حيرة ولكنها كانت من الجهة الاخرى في قلق على الامام
علي لاندري هل نجا كما نجا عمرو ام ذهب فريسة امن ملجم وودت لو ان عيدها
يعود في ذلك اليوم بالخبر اليقين لتعلم كيف تصرف

الفصل التاسع والسبعون

﴿ ضياع قطام ﴾

قلت بعد الى سعيد وبلال في الكوفة فقد تركا بلا لا يتأهبا للقدوم على النسطاط
وسعيد يفكر في ماذا يفعل بعد وكان قد امن بالذهاب الى النسطاط على ان يبقى
هو هناك حتى يعود اليه بالخبر عن عمرو . تم رأى ان المسافة بعيدة ربما لا يصر عليها .
فقال له « لقد امرتك بالرجوع الى الكوفة ولكنني ازني الاجل بعيداً فاني شاخص
الى دمشق فاذا سرت الى النسطاط واطلعت على ما جرى بات الاحوال وافني الى
دمشق فاني اكون هناك في انتظارك في المسجد بعد عشرين يوماً سواء تمكنت من
الفتك بقطام الخائنة ام لا ولكنني اكون قد اطلعت على مصير معاوية »

فودعه بلال ومضى وصبر هو الى الغد فخرج الى الكوفة يلتئم بيت قطام فرآه
مقرراً ليس فيه احد فوقف عند باب الحديقة وجعل يتأمل بخلالها وطرقها ويفكر
في ما مرّ له هناك من الاهوال وما طلي عليه من خيانة قطام غير من فشعر بضنه
ونذكر آخر مرة زار بها في ذلك المنزل وعمة ابن عمّه عبد الله فاسف لفقد وازاداده
الميل للانتقام من قطام ففكري امرها وفي المكان الذي عماها ان تكون قد انصرفت
اليه فخطر له ان تكون قد سارت الى اهلها في جوار الكوفة فخرج للبحث عنها فلم ينفع لها
على خبر فملّ البحث وخاف ان يتضي الاجل الذي ضربه لبلال فيعود اليه في دمشق
ولا يجد فخطر له ان قطاماً ر بما سارت الى دمشق تلقيت على معاوية بعد ان نجحت في
قتل مناظره علي فسار يلتئم دمشق على ناقه نساق الرياح

اما قطام فكانت في الليلة التي وصل بها سعيد الى الكوفة قد علمت بقدومه من
ربحان اذ عاد اليها دارينه وبين ملال عدد خولة واحكم لها ما فصحه بلال من
سره وكيف كان ذلك سبباً في اكتشاف امره لدى سعيد فلم يبعد بصدقه ويدهب
معه الى منزلها فخفقت على ملال وعلى سيدته ومازوج ذلك الحق غيره من خولة . لان
قطاماً اللعينة مع كرهها لسعيد لم تكن تصر على من بجهة وخصوصاً لما علمت ان خولة
كانت عوناً على عرقلة مساعيها في قتل الامام علي فاصبرت لها السوء ولكنها شغلت عنها
تلك الليلة بما كانت فيه من انتظار النبك بعلي وكان ابن ملجم باشناً عندها . فلما
كان الفجر خرجت هي ونجوزها وعدها وضررت قيتها في المسجد كما نقدم وفي ذلك
من الجرأة والوقاحة ما فيه ولم تكن تخاف اكتشاف حيلتها ولو تعمد سعيد ان يكشفها لما
درسته من الحيلة في اصال الصك بعد تحويله الى قبر حاجب الامام علي مع لامة
المحتالة كما دامت

الفصل الثمانون

* نجاة معاوية *

فلما قُتل الامام علي على ما نقدم ورأى ابن ملجم مقوضاً عليه وكانت نتائج له

ذلك من ذي قبل فرَّتْ بعدها وعجزها إلى مكان خارج الكوفة وقد شفت غليلها بقتل الإمام . ولكنها مازالت باقية على سعيد وزادت سقمها عليه بعد ما علمته من أمر خولة فعولت على المحقق بالفسطاط لتشي بها إلى عمره من العاصم لاغفادها أنه يقدر خدمتها له حق قدرها لأنها أباً له مجتمع العلويين . وهي لا تشک أنها مجرد وشایتها على خولة وإنها من دصار عليٍ يقتلها عمرو إذا كان لا يزال حياً . وإذا كان قد قتل فتدبر حيلة أخرى . فلما خطر لها ذلك انتشارت المأبة سرًا فاستحسن رأيها وحضرتها على المسير إلى النسطاط واستشارت ريحان فقال لها أبي في ركبك رحلت أو أقيمت فائست على غيرته بالفاظ ما وها التمهيد والرياء وأصحت في اليوم التالي تائس النسطاط على أن تمر بدمشق و تستطلع حال معاوية وما كان من أمن بعد ١٧ رمضان حتى إذا كان قد نفذ السهم وقتل معاوية تحمل ذلك الخبر إلى عمر وتحرضه على الناس السلطان لنفيه

ف لما وصلت دمشق سمعت أن المؤامر على قتل معاوية وأسمه البرك بن عبد الله التميمي الصربي قعد لمعاوية في فجر ١٧ رمضان في مسجد دمشق . فلما خرج معاوية للصلاوة شد عليه بالسيف فوق السيف في بيته^(١) فسيق البرك إلى معاوية فقال لمعاوية إن عدي خرراً أسرتك به فأن أخبرتك فنافعي ذلك

قال له معاوية ثم

قال إن أخا لي قد قتل علياً هذه الليلة

فقال « فلم يقدر على ذلك »

قال « بلى إن علياً ليس معه أحد يحرسه »

فأمر به معاوية فقتل وجعل يطيب جرحه

ف لما علمت قطام بخواه معاوية لم يبق لديها إلا الشخوص إلى النسطاط
للإيقاع بخولة



الفصل العادي والثانون

﴿ عبد الله في دار الامير ﴾

اما عبد الله فاذه مكث في عبسه وقلبه واجف ما قد يطرأ من تغيير محطة المؤامر وقد خطرا، الاحتياط من ذلك فلما ماح لعمره بالسر اشترط عليه ان لا يطلع احدا عليه لانه اذا شاع وعلم المؤامر به ربما غير خطته فيقدم المعياد او يتوخن فيظهور ذلك من عدد الله مظاهر الكذب . وهذا الذي دعا عمراً لكتاب امر المقاومة عن كل واحد حتى عن صاحب شرطته . ولما و الد خولة فقد كان من اكثرب الناس نقرة من عمره واعظمهم غيبة عليه فكان عمرى يساره في مثل هذه الشؤون ولو لا رغبته في معانته على خيانة صهر ابن ملجم ما كشف له الامر

فلما كان ليل ١٧ رمضان اخذ الفلق من عبد الله ما خذل عظيماً لعله انة ليأخذ بين الحياة والموت . فاصبح ذلك اليوم وهو لا يزال محبوساً لا نافذة في عبسه يطال منها او يسمع ما يجري على انة سمع لغطاً لم يفهم منه شيئاً صريحاً فتر بص حتى جاءه الخذير بالطعام على مغاربي العادة فاستهله فطأته باختصار فسرّ ولد الى مساء ذلك اليوم

وبنض العشاء جاء بعض رجال عمره الى محسن عبد الله فتحة ودخل عليه فعل قبوده ودعاه الى الامير فمشى في اثنين وقد انسط وجهه لما كان من نجاته بعد ان كان في عداد الاموات . فقاده الرجل الى قاعة في صدرها عمر بن العاص على وسادة وفي يده درة (سوط) يلاعيبها بين أصابعه وليس في القاعة احد سواه . فلما اشرف عبد الله على القاعة زرع حذاءه في الخارج ودخل توأما الى مجلس الامير وهو يقبل يد باحترام فامسكه ابن العاص به وبه واجلسه الى جانبه وهو يتول بصوت مخض " لقدر كانت نجاتنا على يدك فوجبت علينا كرامتك ولكن الماسف ان صاحب شرطتنا وقع في الشراك" التي كانت منصوبة لنا ولو علمنا الساعة او المكان المعينين لتلك الليلة الشيئا، لاستطعنا تداركها او لو اطاعت خارجة على سر الامر فربما كان نجا نسبي ولكنني لا اظنه كان يستطيع ذلك وهو لا يعلم الزمان وللمكان المعينين »

قال عبد الله «اعلم يا مولاي ان كثيرون هذا الامر توقف عليه حياتي اذ لو شاع خبر اطلاعك على هذا السر لغير المؤمن خطأ فربما اخر موعد اسبوعا او شهر افكتت انا المفتوح بدلا من خارجة لانك نسي «الظن في فتنتني» . ومع ذلك فهو القضاء يجري الى حيث لا نعلم» .

ولم يتم كلامه حتى دخل بعض الخدم يقول «ان في الباب ابا خولة»
ـ ف قال عمرو «ادخلوه»

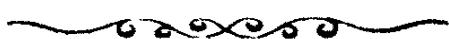
فرجع الخادم ودخل ابو خولة وهو صاحبنا والد خولة ولم يكن هو من مصاف الامراء ولا من القواد الانداد حتى تكون له تلك المنزلة عند عمرو ولتكنه نال تلك المحظوظة خصوصا بعد ان اطلع عمرا على عزم ابن ملجم على قتل علي . ثم ما زال يتتردد على دار عمرو وبذل ما في وسعه لخدمته فعده عمرو من اصحابه

ـ لما دخل ابو خولة القاعة حي وقبل ان يجلس قال له عمرو اغلق الباب ومر الخدم اتنا لا نريد احدا يدخل علينا . ففعل ودخل . فدعاه عمرو الى جانب وعرفه بعبد الله فاعجب ابو خولة بعبد الله لامة كان شاباً جميلاً مع نباهة وذكاء . وسرّ لما دخل عمرو من مصاهرته له . ولما عبد الله فكان لا يزال خالي الذهن من ذلك

ـ فلما جلس الثلاثة الفت عمرو الى عبد الله وقال له «لقد عرفتك بصاحبنا الى خولة ولم اعلم لك المعرفة فاز بذك علمًا امة من اعز اصدقائي وقد كنت امر المؤمنة عن كل أحد سواه ولكنني اشترطت عليه شرطاً اظهأه بمودة عليك بالمنفة وقد فعلته مكافأة لك على خدمتك لي»

ـ فوقف عبد الله متأدباً وقال «بأذن لي مولي الكلمة»
ـ قال قل

ـ قال «لا ارجوان تحسب لي فصلاً يا بحث لك بوفاني والحق بقال انا فهامة استبة اه لحياني فلا اظنني اغشْ نسي»



الفصل الثاني والثمانون في

﴿عبد الله وخولة﴾

فانعجب عمرو بخولة ضمير عبدالله وقال له « لم تزدني بهذا التبرع الآرغبة في مكافأتك ان ان العاص لا يجعل قدر الرجال ولا هو سادج لا يفهم انك لوم افع بين يديه وتشعر بقرب الاجل ولا ترى لك مخرجاً بغير هذا الافشاء لما فعلته . ولكنني مع ذلك اشعر بحبل لك على فأربد مكافأتك عليه وخصوصاً بعد ان رأيت من صدق لجنك ما اكذب لي المك او كنت من انصارها لكان لما بك نعم الصير فانت على ما بلغني اموي فليس تشيعك المعلوبين معقولاً . . . » قال ذلك وفي صوته غنة استفهم كأنه يستفهم عن سبب تشيعه فسكت عبدالله . فهنم عمرو انه يريد الكفاف فغير الحديث وقال له « ولكنك لم تسألني عن المكافأة التي اعدتها لك » قال « قلت المك اني لا استحق مكافأة فهمها اكرمتني وكان فوق ما استحق »

قال عمرو « هل ابنت مزوج » .

قال كلاماً يا مولاي

قال اعلم يا عبدالله ان في النسطاط فتاة يتحدث بمحالها وتعقلها اهل هذه المدينة هي ابنة صاحبي هذا (وإشارة الى خولة) ولا اخفي عليك انها كانت مخطوبة لعبد الرحمن بن ملجم وهو احد المؤامرين على قتل عمرو وعلي ولا ندري ما كان من امن اليوم فانه موعد القتل

ولما ذال عمرو ذلك تذكر عبدالله ما كان فادماً من اجله مع سعيد وكيف فشلت مهمتها فاحسن كما ذكر نصب ما غالياً على ظهوره ولكنه تحمل وصبر نفسه الى آخر الحديث فاتم عمرو كلامه قائلاً ان خولة هذه كانت مخطوبة لابن ملجم على ان يقتلون بها بعد عودته من الكوفة ولا رعب ان ذلك الحائن كان عالماً بتوطئه عمرو من بكر على قتلي فكتم ذلك في قلبه وسار ولم يطلعني على شيء منه فاعذرته شريكه في قتلي فاحرمه من خولة وهي دالة على والدها لانها هبزة ابتي وقد طابت منه ان تكون لك عروسًا ورمي رأيها لتفع اتنا قد ازوجناك زهرة النسطاط وخيرة بناتها . ثم التفت

عمرى الى ابي خولة وقال « ولا نظينا فرطنا بمحولة فان هذا الشاب من سلالة الامراء ويكفي انه اموي وبيته وبين الخليفة معاوية نسب قریب . اما ابن ملجم الحائن اذا عاد اليها فلا ابقاني الله ان ابقيته حياً . ولكنني لا اظنه الا مقتولاً في دار ابن اي طالب فاز في مهمته او لم يفز » قال ذلك والغضب بادر على وجهه ففرح عبدالله بما ناله من المحفوظة في عيني عمرو وارتاح لما بلغه عن خولة ولكنه ما زال منشغل بالاطر على ابن عم سعيد وما كان من اعمى بعد ان فارقه في مسجد الفسطاط يوم اجتماع عين شمس . وحدثته نفسه ان يسأل عمراً عنه عفا عنه ان يكون قد وقع في ايدي رجاله ولكنه لبث ساكنًا تردد وقد نسي افتراح عمرو . فظنه عمرو غير راض به فقال له « ما بالك لم تجحب العمالك لم ترض خولة والله اني ارضاه لا عزاء اسأله » فانتدبه عبدالله قائلاً « عنوك يا مولاي كيف لا ارضي بما رضيتك انت لي وما سكتي الا لاني اعتبرت افتراح الامير امراً نافذًا لا يخون لي فهو فاما اذا نعطفت في سؤالي فاني راض ولكني ارجوان تكون هي راضية بهذا الرجل الفريب » فقال اسو خولة « ان خولة جارية بين يدي مولانا الامير وما يرضاه لها لا مندوحة لها عنة واما وهي طوع ارادته »

الفصل الثالث والثانرون

* ثقة الحديث *

واستولى السكوت على تلك الجائحة لحظة ثم التفت عمرى الى عبدالله فقال « وقد كت اظلكما اثنين جئنا معًا الى الفسطاط ولكني لم ارَ سواك » ولم يتم عمر كلامه حتى علت البغثة على وجه عبدالله ونظر الى عمرى قائلاً « وهذا هو الامر الذي شغل بالي في اثناء حدبي مولاي . ان رفيقي هو ابن عبي بل هو اخي وقد كانت برعايته جئنا معًا الى هذه المدينة ولكني يهمت عين شمس وحدي وتركته في المسجد على ان استطاع المكان واعود اليه فقضوا عليَّ ولم اعد اعرف شيئاً عنه الى الان فهل عثر احد من الشرطة عليه ففنا لو »

قال عمرو «لم اسمع عنك شيئاً ولا أخبرني أحد بخبره والظاهر أنه نجا بنفسه لما سمع بها وقع لكم في ذلك الاجتماع» فاطمان بالعبد الله على سعيد ولكنه ظل مشتاكاً لاستطلاع حقيقة حاله . فوَدَّ اوانه يسير حالاً إلى الكوفة فاستطلع كل شيء ويعتقد ما وقع للإمام علي ولكنه محب من اباء رأيه وهو في مجلس عمرو فكيف يظهر برغبته في شؤون علي مع علمه بها وبعدها من المنافسة . فرأى أن يجعل السبب في اسراعه للبعث عن ابن عميه فقال له ابره أوضحت ملولاي ما أنا فيه من اشغال البال على ابن عبي هذا فهل يأذن لي الامر بالاصراف إلى الكوفة استطلع حالة تم اعود وأكون في خدمتك إلى الممات فند أوليني جميلاً لا انساء لك» .

قال عمرو «ويكون ذلك بعد كتابة الكتاب . وإذا عقدنا لك على خولة وصرت من أصحابنا سر إلى حيث شئت»

وكان عمرو لفطر دهانه وحسن سياساته قد ادرك أن رجلاً حرياً صادقاً مثل عبد الله لا يفرط فيه . لانه اذا اخاص الخدمة كان نفعه عظيماً . ولم ير لنفيه فلابد من ان يعاده بالجميل وإن بزوجه بنت صاحبه وهو بحسب خولة على دعوه فاذا كانت هي زوجته حبت اليه الرجوع إلى حرب الامور بين لا سبا وهو لا يعلم بعد هل نجح ابن ملجم بهمه في الكوفة أم لا . فلما اقترح على عبد الله كتابة الكتاب قبل السفر قبيل عبد الله وإطاعه فضرب عمرو أجلًا لذلك أسبوعاً وفاق «فتقيمه عندما في اثناء ذلك ضيقاً كريماً فإذا آن الزمن عندنا لك على خولة ثم تصرف للبعث عن ابن عمك» فوقف عبد الله ثم جئنا بابي عمري هم بتقييم يد وقال «لقد غرتني بفضلك فـ أنا مستطيع الشكر على نعمتك» والنها الخروج فاذن له

وخرج ايضاً أبو خولة وهو يكاد يطير فرحاً لما آتى من كرامة عمرو . وسره الصيب الجديـد لا ينتـي فـسـارـنـا إـلـىـ الـمـنـزـلـ وـكـانـتـ خـوـلـةـ جـالـسـهـ هـنـاكـ عـلـىـ مـثـلـ النـضـيـ

تفـقـادـهـاـ الـمـواـجـسـ بـعـدـ اـنـ تـخـفـتـ نـجـاهـ عـمـرـوـ وـعـلـمـتـ بـهـ فـرـضـةـ مـنـ زـوـاجـهـ بـعـدـ اللهـ

وـهـيـ مـعـ حـبـهاـ لـهـ تـنـضـلـ الـبـقـاءـ عـلـىـ حـبـ سـعـيدـ وـهـوـأـولـ مـنـ وـقـعـ فـيـ نـفـسـهـ مـوـقـعـ الـحـبـيـبـ

فـيـ اـحـوالـ قـضـتـ بـذـلـكـ . فـلـمـ كـانـ الـمـسـاءـ وـإـطـاـءـ الـدـهـاـ فـيـ الـرـجـوـعـ إـلـىـ الـبـيـتـ اـشـغـلـ

بـالـهـاـ وـلـبـثـتـ تـنـظـارـ عـودـتـهـ بـفـارـعـ الصـبـرـ لـعـلـمـهـ أـنـ لـابـدـ مـنـ مـرـوـرـهـ بـعـدـهـ عـلـىـ اـثـرـ مـاـ

كان من نجاته في ذلك اليوم . وحسبت لابطائه الف حساب . واشد ما خافية من ذلك الابطاء ان يكون سببه المداولة في امرها ولمر عبد الله وهي لا تزيد ذلك

الفصل الرابع والثانون

﴿البشرة غير السارة﴾

فلا انسى العشاء وضي بعده ساعنار سمعت قرع الباب وعلمت انه قرع والدهما فدق قليلا دقات متسرعة وعلمت وجهها صنة الوجل فظلت مستلية على الوسادة في غرفتها ولم تمض رهبة حتى فتح باب الدار . فتحول والدهما توأ الى غرفتها فقرعها فنهضت لتفتح له وركبتاها نصطفكان من الاختراب . فلما فتحت له الباب دخل وللصبح في بين فوضعة على مسرجة وجلس اليها وعلى عيشه امارات البشر والسرور وهو يحسب نفسه جاءها شری عذيبة . ورأى ما مضطربة الحواس فلقة الخاطر مع انبهها كانت تحاول التجدد ولكن الفائق والاضطراب غلبا عليها فنال لها « ما بالك يا بنتي ما الذي يزعجك »

قالت « لا يزعجني شيء ولكنني قلقت لغيبتك وانا وحدي في هذا البيت لا ارى فيه احدا غير الخدم »

قال وهو يبتسم « لقد دنا الوقت الذي لا تكونين فيه وحدك »
فتجاهلت مراده وقالت « يظهر بالك علمت بما افاسمه من الوحنة فعولت على ان لا تتركي وحدي »

فضحك لسذاجتها وقال لها « ليس هذا قصدي يا خولة ولكنني اذكرك باقتراح الامير الذي اطلعتك عليه منذ اضعة ايام فانه قد تمّ اليوم « مد ان صدق قول عبد الله الاموي فجيعني عمرو بن الليلة في داره فرأيتها شاماً جميلاً عليه مهابة الامراء وقد ترين الشجاعة واللانة تخليلان في وجهه . ويُكفي ان عمرًا سحر به وبالغ في اطراطه امامي . فهذا هو خطيبك ومتى كتب الكتاب طبعاً لان تكونين وحدك »

ولم يتم كلامه حتى صغ وجهها احمرار الجبل وظلت صامتة ثم اخذ العرق ينسكب عن جبينها كاللؤلؤ المشور وهي مطرقة لا تفوه بكلمة

ولم يكن سبب اضطرابها مجرد المخجل كما ظن والدها ولكنها أصبحت آلة تناذفها الموجس حائنة بين ان نطيط عن اطفافها او نطيط والدها واميرها . ولو أنها لم تبعث الى سعيد بخبر حبها له مع بلال وكانت المعضلة اقرب الى الحل فإذا رفضت عبدالله رفضاً باتاً تفضي عمرًا والدها . وهي مع ذلك لا تدرى مصدر سعيد ولا ما ألت اليه منه بعد خروجه من الفساطط مع بلال ولم تر حلًا غير الاصطبار فصبرت حتى يعود والدها السؤال فتسمهله

اما هو فلما آنس فيها ذلك الاختراب حمله عميل المخجل وهو عادي في الفتوات في مثل هذه الحال . فوضع يده على شعرها المسدول على كتفها وقال لها « لا تخجلي يا بنته ان والدك يخاطبك وليس احد سواه وقد تم الامر على يد الابير وهو شرف كبير لما كنا نعلم »

فاجابت وهي لا تزال تنظر الى الارض وقالت « وهل ضرب لذلك اجلًا »
قال « لقد ضرب اجلًا لذلك أسبوعاً »

قالت « فليكن ثلاثة اسابيع على ما ارى »

قال « ما الداعي الى هذا التأجيل فاني اخاف ان يغضب عمرو . فاطبعيني وانا حامل تبعة ذلك . فان عبدالله شاب ينذر مثلاً وانا افتخر به صاهرتو وليس هناك عمل للاعتراض » قال ذلك وفي كلامه تنهى الجفناه على عادتو معها اذا اراد الاصرار على امر فخافت اذا جادلته ان لا تحسن العقلي فسكتت ثانية واظهرت الازياخ فلما رأها كذلك قال لها « بورك فيك يا بنته وبعد اسبوع تكون كتابة الكتاب ونثم معدات الزواج »

فضللت ساكتة وقد عوّلت على اتخاذ وسيلة اخرى للتأجيل

الفصل الخامس والثانون

* الخطبة الجديدة *

اما عبدالله فانه خرج من محبوه يلتئم مكاناً يقيم فيه ولم يكدر بخرج من ذار

الامير حتى ادركه بعض رجال عمرو وناداه فعاد . فقال له « ولی ابن »
 قال « اني النس مکاناً اقيم فيه »
 قال « لفدا اوصانا الامير ان نعد الم متلاً في داره فانك ضيف عليه »
 فازداد عبد الله امتناناً من عمرو وفرح بذلك الدعوة لانه غريب لا يدرى
 كيف يذهب . وتبع الرجل الذي كلمه الى غرفة فيها مراس وغطاء و بعض الآنية وسأله
 هل يمكنني الى طعام فاعذر وسأرقا الى فراشه
 ولما خلا بنفسه جعل يفكري بجاته وصورة ابن عم سعيد لم تبرح من عينيه طول
 ذلك الليل . على انه اطهان على حياته ولكنها مال بكلبيه الى استطلاع خير مهنته
 ليدرى ما تم للامام علي
 وكانت ذكرى خولة ت تعرض هاجسه وود لو يراها ليستطلع ما يكون من
 حظها معها ولكنها لما تذكر اطهان عمرو بها تتحقق لياقتها على انه ما زال مشتاقاً لرؤيتها
 ولما أصبح سار الى المسجد صل الصبح وهو يتوقع ان يرى والد خولة لمله يدعوه
 الى منزله فيخذذ ذلك وسيلة لرؤيتها خولة ولو خاصة . وكان والد خولة قد مر بالجامع
 في ذلك الصباح عمدًا لهذه الغاية فلقيه فسلم عليه ودعاه العشاء فقال له « اني في
 ضيافة الامير ولا يليق في قبول الدعوة الا بعد استئذانه »

قال « انا استاذة عنك »

قال حسناً وافترقا . فشي عبد الله في شوارع الفسطاط واسواها فمر ببيت خولة
 وهو لا يعرفها . وكانت خولة قد اصبحت في ذلك اليوم وهي لا تزال فلتة الماء
 فخرجت تمشي في الدار فوق نظرها على عبد الله وهو مازأ ولم تكن رأته قبل ذلك الحين
 ولكنها استفتحت من لباسه وقياوفه مع مشابهته سعيداً انه هو عبد الله خطيبها فاختلط
 قلبه في صدرها ونفرت لاول وهلة ولكنها ارادت ان تبين حالة فتفرست فيه وهو
 ماش فرانة معتدل القوام رشيق الحركة فارتاحت لرؤيته وسررت بو مشابهته بسعيد
 ولكنها ما لبست ان نفرت منه لما تذكرت انه سبّحها من حبّها وما زالت تسبّحه بنظرها
 حتى توالي وهو لم يتتبه

الفصل السادس والثانون

﴿الزيارة الأولى﴾

عادت خولة إلى غرفتها وهي منقضة النفس وقضت نهارها لم تذق طعاماً ولما كان الغروب آن زمن رجوع والدها من شغلو وكان الخدم قد أعدوا المائدة له وأضيفوا وخولة لا تدري . وما عتم أن دخل الدار وتحسنت على جاري عادتو كامة بنبه أهل المنزل إلى مجيئه . فناظهرت خولة بارتباطها لقدرها ولكنها عوّلت على التعارض على أنها ما لبست أن رأت مع والدها شاباً أعرفت أنه عبد الله فخفق قلبهما وغلب عليهما الاضطراب وتوارت في غرفتها وقد بردت اطرافها وأما والدها فانه ذهب بضميه إلى غرفة الضيوف فتركه هناك وجاء إلى خولة فرأها مستلقية على المراس وفدي امتنع لوبها فنحضرت المخصوص وهي تظاهرة بالضعف . فقال «ما بالك يا خولة»

قالت لا ناس على غير اني اشعر بالانحطاط والخراف لا ادرى سبب قدنا منها وهى في اذتها قائلاً «ليس ثبت داع الى الانحطاط وقد جاء ضيف عزيز»

قالت وهي تتجاهل «ما ي ولضيوف اني لا استطيع المخصوص ولا بطالب مني ملاقاة الضيوف»

قال «اما لا تكلفك ملاقاتهم ولكن هذا الضيف اصبح من اقر بانها ولا باس من ملاقاته عملاً بأمر الامير عمرو بن العاص» فنالت «ولكنني مخططة الفوى . دعني امام الآن وسالاته في فرصة اخرى واما صحيحة ان شاء الله»

قال «ولكنني كنت اظلك أكثر رغبة في في روبيو بعد ان قصصت عليك امر خطبتي لك . ايلق بنا بعد هذه الخطبة ان نظاهر له هذا الجفا»

فحبورت خولة ولم تدر بما اذا تحبب وهي تخاف غضبة لما تعلم من سوء خلتو وبراعة حمه وفضلت صامتة

فامسكتها بيدها وانهضها فوقفت بالرغم عنها وسارت في اثنين وهي مطرقة فلما وصلت بباب الغرفة وقف بها وقال لها «ضي خمارك على راسك وإنزعي هذا الندول واستئنلي الرجل بما يأيق نامتالك لثلا يبلغ عمرًا عنا ما يدل على عذالة رأيه فتفتح تحت طائلة غضبو»

فرأت خولة من الحكمة أن تخلد وتصير لثلا بمحق والدها فيسمى بها ما يذكرها فتحتلى خمارها فوضعته على رأسها واصمحت ثيابها بما يأيق ان تقابل به الضيوف وخرجت في اثر والدها حتى دخل على عبد الله

الفصل السابع والثانون

﴿الرافع الكاذب﴾

وكان عبد الله قد لحظ من ابطاء اي خولة في غرفتها انه يستدعىها فاصبح مشتاقاً الى رؤيتها وهو لا يطبع ان يرى وجهها دفعه واحدة بما كان يتوقعه من حيائها ولكلمة قبع بان يرى قائمتها ويعمل حاتها . فلما أشرفت على الغرفة وتبين جمالها واعتدال قوامها افتح قلبها وحمد الله لتوافق الى مثالمها بعد بخاتوم من الموت . فدخلت وحيث بما يجدر بهما في مثل هذا المقام وجلست على وسادة بجانب والدها . وكان عبد الله يسارق اللحظ اليها فلا يزداد الا اعجاباً . ولم تمض تلك الليلة حتى علق بها ووقفت من نعمه موقعًا ساميًا لما آنسه من جمالها مع ما بدا له من ذكائها وتعلمتها في اثناء الحديث بما يدر مثاله في امثالها من ربات الخدور . فخرج بعد العشاء وقلبة منشغل بخولة وقد بدء لتأجيل الاقتران

قضى عبد الله في مثل ذلك بقية الأسبوع وهو يتربدد على بيت خولة ويزداد تعلاقاً بها . ولم يصدق ان آن يوم الرافع . فدعاه عمرو اليه وقال «اريد ان اعرف لك عليها في داري ونفيان عندنا حتى يتراهى اكما مفارقتنا» فعل عمرو ذلك النهاراً لما عزم عليه من استجلاب عبد الله الى جانبه . فسرّ عبد الله بذلك واثنى على الامير ولما كان الوقت المعين رفت خولة الى عبد الله وكتب كتابها عليه على جاري العادة يومئذ

وعبد الله أكثر الناس سروراً بهذه النصيحة ولو لا ما يجول في خاطر من أمر سعيد
وغيابه مع قوله على حال الإمام علي لعدة نسخة من أسمد خلق الله لأنها آنس في خولة
ما طالما تافت اليه نسخة في النساء من التغفل والرزانة مع الجمال والذكاء
ولما فرغوا من العرس وأرفضوا الاجتماع ادخلوا العروسين إلى غرفة خاصة بهما

الفصل الثامن والثمانون

﴿كشف النقاب﴾

فلم يخل عبد الله بخولة تقدم لزع الغطاء عن وجهها فامسك النقاب ورفعه
فإذا بها قد اعادته إلى ما كان عليه فظن أنها نداعية على سبيل المزاح فضحك وقال لها
«يظهر أنك لا تخفين عبد الله»

قالت وهي مطرقة «علم الله أنني لا أكرهه»

فدعيني إلى النقاب ثانية وحاول رفعه فمنعته . فاشتبه في أمرها فامسك يدها
وقال لها بلبهجة الجد وبغمضة الحب العائب «ما بال خولة تخعنينا مما أحله لنا الشرع
ودعانا اليه النقاب»

وكانت خولة وأفنة بمحارب الفراش فاتبعدت عنه واستندت ظهرها إلى الحائط وهي
تبالغ في إرسال النقاب وظلت مطرقة ولم يجد جواباً

فاستغرب عبد الله سكوتها وتبعها على هذه الصورة وطن في الأمر خديعة فاظهر
الجد وتبعها وهو لا يزال قابضاً على يدها حتى وقف بجانبها وقال لها «ما الذي أراه
يا خولة؟ ما الذي تحدثت به نفسك؟ أن كنت إنما تتعلمين ذلك لمجرد الحب فهو غالٌ
لا محل له وقد عُذر لك علينا بحضور أمير مصر ونخبة الأعيان والإمراء . وإن كنت وضيت
في مكرهه وإن شئت تخفين سوالي قولي»

فلم يقل ذلك رفعت رأسها إليه وجذبت يدها من يده بلطف وقالت «نعم أني
أحب سوالي ولكنني قلت لك أني لا أكرهك بل أحبك محبة الاخ لا محبة الزوج»
فبفت عبد الله وعلمه الدهشة وكاد الغضب يغلب عليه لو لم يصر نسخة ربها .

ينكشف له سبب تمنعها . فنظر إليها نظر الغاضب وقال « لقد رأيت منك العجب وأعجب ما أراه احتجارك أبا يحيى بما لم أكن أتوقعه ملوك بعد أن كتب الكتاب . هل أكشلت لي عن سبب ذلك ؟ »

قالت وقد امسكت النقاب وزاحتة عن وجهها « أني لا اعتبر هذا الحجاب واجباً يبني ويبنيك ولا أنا خائفة من اطلاعك على ما في ضميري ولكنني أساشك به إلا إذا أجبتني علبي بحثك بسر الامر »
فقال بكلمته إليها وقد أتعجبت جسارةها وحرمتها ولم يزده كشف النقاب إلا احتراماً لها فقال « أسانلي فاني محبتك »

قالت « كيف رضيت بعقد قرانك وإن علمك غائب »
فقال « وأي ابن عم تعنين »

قالت « أعني ابن عمك سعيداً الذي جئت معه إلى الفسطاط إلا بهلك أن
نعرف ما آلت إليه حالي »

الفصل التاسع والثانون

* استطلاع السر *

فاستغرب ذلك منها ولم يكن يعلم اطلاعها على شيء من ذلك فقال « من ابن الملك أن أعرفي أمن عي وما جئت من أجله المصطط »
فتهجدت وقالت « عرفته بقدر من الله ولني أتعجب من سبابك تلك المهمة التي جئتها من أجلها . هل تظن الإمام علياً نجها من القتل ؟ »

فازداد عبد الله استغراباً ونبي ما كان بعد بو نسمة من قربها وهاجت بو الشجاعة وذكر ابن عمها فقال « لقد أذهلتني يا خولة بما معنته ملوك فأقصي عي في ضميرك وأخبريني كيف عرفت أن عي وما الملافة بينه وبين تحملك الليلة »

قالت « انعدني بالكتاب وحفظ الذمام »

قال « نعم أعدك وعداً صادقاً فاصححي أن لم يبق لي صير على هذه الرموز »

فَبَدَتْ وَعَلَتْ وِجْهُهَا حِنْكَلْ وَهَمَتْ بِالْكَلَامِ فَارْجَعَ عَلَيْهَا وَعْدَ اللَّهِ بِتَأْمُلِ مَلَاهِهَا وَبِرَاقِبِ مَا يَبْدُو مِنْهَا وَظَلَ صَامِتًا فَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهَا شَيْئًا . فَقَالَ لَهَا اللَّهُ « لَا نَطَابِلِ السَّكُوتَ فَقَدْ نَفَدَ صَبْرِي قَوْلِي مَا بَدَا لَكَ فَرْجِي كَرْبَتِي »
 قَالَتْ « أَقُولُ وَلَا أَخْشَى لَوْمًا إِنِّي أَحِبِّتْ سَعِيدًا قَبْلَ أَنْ أَرَاكَ وَهُوَ أَحْنِي
 عَلَى مَا اظْنَ وَحْبَسْتَا مَوْسِسَ عَلَى اشْتِرَا كَنَا فِي الْاسْتِهْلَاكِ بِسَبِيلِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ . وَقَدْ سَارَ
 سَعِيدٌ غَدَ الْلَّيْلَةِ الَّتِي أَغْرَقَ بَهَا عُمْرَهُ أَصْحَابَ عَيْنِ شَمْسٍ وَهُوَ يَظْنُكَ فِي جَمْلَةِ الْغَرْفَةِ .
 وَلَا أَظْنَهُ إِذَا عَرَفْتَ بِقَاءَكَ حِيَاً إِلَّا طَائِرًا مِنَ الْفَرَحِ » وَقَصَّتْ عَلَيْهِ حَدِيثَهَا مَعَ
 سَعِيدٍ مِنْ أَوْلَى إِلَى آخِرِ

وَلَمْ تَكُنْ خَوْلَةً ثُمَّ حَدِيثَهَا حَتَّى اسْتَوْلَتِ الدَّهْشَةُ عَلَى عَبْدَ اللَّهِ وَخَيْلَ لَهُ فِي مَنَامِ
 وَلَا تَحْقِيقَ إِنْ خَوْلَةً تَحْبُّ سَعِيدًا وَقَدْ أَسْسَ مِنْهَا ذَلِكَ الشَّيْبَاتِ فِي حِمْرَهُ أَحْسَنَ لِسَاعَتِهِ
 إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ لَهُ حَقُّ فِي زَوْجَهَا وَارْدَادَتْ هِيَ رَفْعَةٌ فِي عَيْنِيهِ فَقَالَ لَهَا « أَعْلَى إِنْ خَوْلَةً
 إِنِّي مِنْ هَذِهِ السَّاعَةِ أَعْدُكَ أَخْنَانِي وَإِنِّي مَسَاءَ لَكَ عَلَى اقْتِرَابِكَ مِنْ سَعِيدٍ فَانْهُ بِنَزْلَةِ
 أَخِي . وَقَدْ أُوصَيْتُ بِكَنَالِتِهِ وَصِيَّةً مَقْدَسَةً وَلَقَدْ أَحْسَنْتَ بِإِسْضَاطَتِهِ لِي مِنْ حَقِيقَةِ حَالِكَ
 وَعَلَيْهِ فَانِي مَسَافِرٌ فِي الْفَدِ إِلَى الْكَوْفَةِ لَأَنْتَ عَنْهُ وَاسْتَعْلَمُ مَا تَمَّ لِإِمَامِ عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ الْعَادِرِ

الفصل التسعون

* الواقف التام *

فَاتَّدَرَتْ خَوْلَةُ قَائِلَةً « لَا تَنْجُلْ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَنْ ذَهَابَكَ ذَاهِبٌ عَيْنَا لَا يَلْبِثُ
 بَعْدَ قَلْوَلْ أَنْ سَمِعَ الْخَبَرَ مِنْ عَبْدِي بَلَالَ الَّذِي رَافَقَ سَعِيدًا إِلَى الْكَوْفَةِ فَقَدْ أُوصَيْتُهُ
 بِالْمُوْدَةِ حَالًاً وَأَظْنَهُ بِصَلَةِ الْيَمَنِ بَعْدَ أَيَّامٍ وَنَرَى مَا يَكُونُ . وَمَا إِلَآنَ فَاكِتُمْ مَا دَارَ
 بَيْنَنَا وَاجْعَلْ أَنْكَ زَوْجِي رِيشَتَا سَرِيَّ مَا يَكُونُ »

فَالْتَّفَتْ عَبْدُ اللَّهِ إِلَيْهَا وَقَدْ أَزْدَادَ أَعْجَانَهَا حَدِيثَهَا وَثَيَّبَتْ جَاشِهَا وَقَالَ « إِنِّي أَهْنِي
 أَخِي سَعِيدًا بِهَذَا النَّصِيبِ وَأَرْجُوَانَ يَكُونُ قَدْ نَجَا مِنْ مَكَانِدِ أَوْلَادِ الْحَرَامِ » أَرَادَ

بذلك قطاماً فانه ما زال يسيء الطعن بها وقد ادرك انها هي التي وشت بها الى عمرو بن العاص فقالت «اني انوقي رجوع بلال لاسمع منه ما آكلت اليه حال الامام علي ومعاودة هل نجا احد منها . اما عمرو فقد نجا والضل في ذلك راجع اليك . . . » فقال «ولكنك تعلمين اني انا بحثت بذلك لعمرو القاسم للبقاء ولم اذكر له الميقات على قتل معاودة لثلاً يبعث اليه من بمحضره فينبعو » قالت «اني لم الملك فقط ولكن هذه اراده المولى . فالآن لابد من التربص فماض الى فراشك واني متoscلة هذا الساط »

قال «لا والله انك لا تبيتين الا على الفراش وانا اولى بهذا الساط » وباتوا تلك الليلة وقد سررت خولة بخانها ما كانت تخافه . واما عبدالله فانه بات معجباً بخولة كل الاعجاب وقد اسف لخروجها من قبضته بعد ان عرف فيها هذه الخصال . ولكن لم يأسف لانها ستكون نصيب اخيه . وقضيا تلك الليلة بامثال هذه المواجهات ولم يناما الا قليلاً

واصبحا في اليوم التالي والناس لا يعلمون الا انها زوج وزوجة وظلاً مقيمين في دار الامير حتى قدرت خولة دسو الوقت الذي كانت تتوقع رجوع بلال فيه فالنترنت المضي الى بيت والدها مخافة ان يأتي بلال في اثناء غيابها فطرده ووالدها او يهدده ولا يراها هناك فهو ود من حيث اتي فوافقتها عبدالله واستاذنا عمراً في الذهاب الى هناك فاذن لها فاستقبلها والدها بالترحاب

الفصل الحادي والتسعون

* قدم بلال *

ولم يمض يومان على مكثهما في بيت خولة حتى قدم بلال وكان وصوله الفسطاط في اثناء النهار ووالده خولة في حانوتوا . ودخل بلال الفسطاط متسلكاً فمرّ بحانوت

سيء ونظر اليه خلسة فإذا هو هناك فهروي إلى البيت ودخل توّا إلى غرفة سيدتو بلا استئذان فوجد عندها شاباً لا يعرفه ورأّها بجانبها كأنها جالسة إلى شقيق أو قرين. فبعثت لذلك ولتكن اشتغل بما آتته من ترحابها به. فقالت له «أغلق الباب وأدخل» ففعل ودنا منها وهو ينظر إلى عبدالله شذرًا. فادركت خولة ما يحول في خاطره فقالت له «لا تنسى، الطن إن هذا أخي بعهد الله فاقصص علينا خبرك سرّيًّا وقل لنا أول كل شيء، كيف فارقت الإمام علياً»

فسكت ولم يجب

فالحمد علىه وقد علّمها البعثة

فأجابها بصوت مخفي «إن علياً قد ذهب ضحية ذلك الخائن»

فصاحت خولة كثناً بكف وصاحت «والله عليك يا أبا الحسن» وقال عبدالله مثل ذلك ثم قالت «وماذا جرى لابن ملجم» قال «انه قتل شر قاتلة لعنة الله»

قال عبدالله «وكيف فارقت سعيداً»

قال «فارقتني بخير وعافية وقد سار للبحث عن ذلك الخائن اللعينة»

قال «عبدالله أو تعني قطاماً»

قال «نعم وما ادرأك أني اعندها وكيف عرفتها يا مولاي»

قالت خولة «الم نعلم من هو هذه الشهم»

قال «كلاً»

قال «الم يذكر سعيد امامك انه فقد امن عمّه هنا»

قال «بلى»

قالت «هذا هو ابن عمّي عبدالله»

فبهرت بلال وغلب عليه البكاء من الفرح وصاح «انت حي يا مولاي... آه من لي بن يحمل هن البشري لابن عمك . والله أني حاملها اليه الساعة بعد ان اسر إلى سيدتي كلاماً أو تمنت عليه»

الفصل الثاني والتسعون

﴿ابلاغ الرسالة﴾

فالتقتت اليه وقالت «قل يا بلال ليس على عبدالله سرّ وهو اخي كما قلت لك
قل كيف فارقت سعيداً»

قال «فارقة يامولاني وهو مشتاق لروبك ولم يأت معي مخافة ان يكون اميرنا
نجا من المكينة فلا يامن منه على حياته . وقد علمت وانا مارث في النسطاط الساعة الـ
نجا وقتل غيره خطأ ولا ادرى كيف حال سيدى والدك معك فلا آمن عليكما منه»
قالت «اعلم يا بلال ان عمراً نقم على ابن ملجم ورضي عنى وهو يحبني حبه لا ولاده
اما سعيد فلا هو بعرفة ولا في الذي رأاه فإذا جاء لم يكن عليه بأس وشانة في النسطاط
شأن كل غريب بدخلها . فاقصص علينا خبر ابن ملجم والامام علي وكيف قتلها»
وامرته بالجلوس فجلس متاداً وقص عليها الخبر بتفاصيله . فلما الغ الى حديث قطام
وما ارادته من قتل سعيد هاجت في نفسها حاسة الغيرة والانتقام وقالت «قبح الله هذه
المرأة اني اعرفها واسمع بدهاها فكيف اطلبت حياتها على سعيد»

فابتدرها عبدالله «اني والله توسمت فيها الشر منذ رأيتها» وقص عليها ما كان
من اعن معها ، فاكتشفت لهم الحقيقة وشكراً الله على نجاة سعيد ولكنها أسفها على مقتل
الامام علي ثم استدركت في حدتها فقالت «وهل سمعت شيئاً عن معاوية ومقتله»
قال لقد مررت بدمشق في طريق فتعلمت انه نجا ايضاً . وقص عليها خبره كما سمعه
فعجبت لمحاري القضاء كيف ساحت بقتل الامام علي وفاء معاوية وعمرو
فقال عبدالله «وابن سعيد الآن»

قال «هو في انتظاري بدمشق فاذا امرت مولاني عدت اليه حالاً وجئت به على
عجل وارجو ان يكون قد ظفر تلك الخائنة وانتقم منها واذا لم يظفر بها لست تاركها
حتى انتقم منها فقد هاجت دمي بما ارتكبته من الخيانة»

قالت خولة «بورك فيك يا بلال فعليك الآن ان تستقدم سعيداً على عجل»
فقال «وهل آتي به الى هذا البيت»

فاستصوحت خولة سؤاله لأن مجيبة إلى بيت والدها قد يوجب العرافيل . فنظرت إلى عبد الله كأنها تستثيره في الأمر فاشار إليها أنه يريد البحث في ذلك سراً فالنهضت إلى ملال وقالت له « اخرج الآن قبل أن يأتي و الذي وهو نائم عليك لاعتقاده أملك فررت ماجهولين من داره وانتظر عبد الله في المسجد المليلة وهو ينبعك بما تفعله »

الفصل الثالث والتسعون

﴿ العزم على الكوفة ﴾

خرج وهي عبد الله وخولة على انفراد فقالت خولة « وما العمل يا عبد الله اخاف اذا جاء سعيد واردنا فسح عقدهنا ان يفتح علينا باب للأخذ والرد ونحن بود كمان الامر فما الرأي »

قال « ارى ان يتمسّ من عمرو والخروج من النسطاط والذهاب إلى الكوفة فقد كنت التمست منه السفر فاخربني إلى ما بعد كتابة الكتاب . فهم لا يعرفون الآن إلا الملك امرأتي والرجل يذهب بأمرأته التي حيث شاء . فاذاسروا إلى الكوفة وأوصينا بلاً ان يوافيها عبد الله إلى هناك ثنازلت له عنك وعقدت له عليك ولا وفيك علينا ولا واتش . وادا طاب لنا العود إلى النسطاط عدنا بعد ذلك والا فاما نمكث في الكوفة الى ماشاء الله »

فصاحت خولة برهة وهي تذكر في الامر فرأى عبد الله مصيباً فقالت « نعم الرأي رأيك ولكنني نعودت النسطاط والست الاقامة في وادي البيل ولبي فيه الأهل والاصدقاء فإذا اتيتني النساء فيه كان ذلك افضل لي وانقي »

قال « لا انكر عليك ذلك وهو ميسور لك فيما بعد ولما الآن فلا ارى خيراً من الذهاب إلى الكوفة »

قالت « واخشى مع ذلك ان لا يأذن والدي بذهابنا إلى هناك اذ هو عالق في وليس له سواي فلا اخالة الا ملحاً علينا بالاقامة هنا »

قال «اننا نطاولة ونماطلة حتى يأذن بانصرافنا ولو بعد حين ونوصي بلا لا ان يخبر عبدالله بالتر بص في الكوفة ربنا ماتيه ولو ابطانا»

قالت «افعل ما بدى لك والله الموفق في كل حال»

قال «فلنعد الان الى دار الامير ومتى كنا عند كان خروجنا من الفسطاط سهلا لانه هو الذي وعدني باخلاه سببلي للبحث عن ابن عبي سعيد فاذكر بوعده ولا اطنه الا مؤذنا بانصرافي معك»

قالت «ولكننا نبيت الليلة هنا ونصبح الى دار الامير»

قال حسناً . ولما كان العصر خرج الى المسجد فوجد بلا لا في انتظاره فاوصاه ان يذهب بسعيد الى الكوفة ويتر بص به هناك حتى يأتيا اليها فانبسط وجهه وقال «ان هذا ما كنت ارجوه من مولاي لاني اذا كنت في الكوفة توقفت الى الانتقام من قطام اللعينة»

فضحك عبدالله وقال «واوصيك اذا انت ظهرت بها ان لا تعنو عن عجوزها لمباية فانها قهر ماة شر يق»

قال «لاتوص حريصاً» تم ودعة واصرف

الفصل الرابع والتسعون

* دعوة غريبة *

اما عبدالله فلما رأى نفسه بباب المسجد والصلاه قائمه والناس يدخلون افواجا دخل في جمالة الداخلين فرأى عمراً على المبر يعظ الناس وهم صامتون فوق حفي فرغ عمرو من خطابه وانقضت الصلاه فتحول للخروج . ولم يكدر بتحول من صحن المسجد حتى اعترضه بعض الشرطة قائلاً «تهلل يا مولاي ان الامير يستوقفك لامر بريد ان يخاطبك بشأنه»

قال «وابن هو الامير»

قال «كان في المسجد كما رأيته وقد تحول الان الى داره من باب في المحراب»

قال « وهل هو يريد مقابلتي الآن »

قال نعم

فانشغل بال عبدالله بذلك الطلب و خاف ان يكون مبنياً على مخاطبته بلا لا اذربما كان احد عارفاً بهمته او غير ذلك . ولكنها مشى حتى اقبل على مجلس عمرو وكان اذا وصل المجلس دخل بلا استئذان . فلما هم بالدخول اعترضه الحاجب قائلاً « تهل ريشا نستاذن المك » فوقف عبدالله ودخل الحاجب ثم عاد فاستفهم عن الجواب ف قال ان الامير يرید الخلوة بك على افراد هن الليلة فاذا اتيت في العشاء تعال وحدك »

فاستغرب عبدالله ذلك الشرط واشكّل عليه المراد منه فاستزاد الحاجب ايضاً حا هل المراد بـ « تهل ريشا » يعني ان لا تكون خولة معه

قال « اظن هذا هو مراده فـ « قال ليأت وحده لـ « سالقيه اليه على افراد » فعظم الامر على عبدالله وحسب لذلك الفحساب . ولم تكن الشمس قد مالت الى الغروب فعاد الى البيت والهواجرس تقادمة وظهرت عليه امارات الانقباض فلما اقبل على خولة ورأى على وجهه آيات الا ضطراب ابتدرنـة قائلة « ما مالك يا عبدالله ما الذي غير وجهك اني اراك متغيراً وارى في وجهك انقباضاً قل رعاك الله ما اوجب ذلك »

قال وهو يحاول التجاهـل « ليس في شيء لا ما نقولـة لكن يظهر لهـي تعـبت من ساع العـلة في المسـجد وملـلت من مـسافتـة الطريق وليس ذلك من الانقباض في شيء وكيف ينـقبض عـشيرك وانت مصدر السـعادة وينـ نوعـ المـهـنـاء »

فلم تـقـع بـقولـه ولكنـها سـكتـت على اـن تستـطـلـع السـرـ بعد قـلـيل بـلـيـاقـة . وغـيرـتـ المـوصـوعـ فـقاـلتـ « وهـل رـأـيت لاـلاـ »

قال « نـعـم وـقـد أـوـصـيـتـ بـها بـقولـة لــسـيــدـ »
« قـالـتـ وـهـل سـافـرـ »

قال « اـظـنـهـ يـسـتـرـجـ الـلـيـلـ خـارـجـ الـفـسـطـاطـ وـيـقـلـعـ فـيـ الـفـدـ بـأـكـرـاـ » وفيـهاـ يـخـادـثـانـ جـاءـ وـالـدـهـاـ فـدـخـلـوـاـ جـمـيـعـاـ وـعـلـىـ وجـهـ وـالـدـهـاـ ظـواـهـرـ الـغـضـبـ وكانتـ خـولـةـ تـعـرـفـ غـضـبـ يـمـرـدـ النـظـرـ إـلـيـ وجـهـ . فـلـماـ رـأـيـهـ كـذـلـكـ زـادـ اـضـطـرـابـهاـ

وجعلت تذكر في سبب غضب الاثنين . فخطر لها انها تمحاصاً ولكنها لم تكن تجد شيئاً لذلك . ولم تجسر على سوال والدها ولا ارادت الالحاح على عبد الله في الاستفهام فتركت ذلك الى ساعة الاختلاط .

وبعد قليل مدت المائدة فجلسوا اليها وليس فيهم من يتكلم كلمة الا ما تدعوه الي الحال من طلب شيء او الاستفهام عن شيء يتعلق بالطعام ونحوه

الفصل الخامس والتسعون

* غرفة عمرو *

وكان عبد الله لما جايس الى المائدة لم يغير ثيابه كالعادة فلما نهضوا عن العشاء اخر خولة والدها انه منصرف في حاجة تقضي غيابه ساعة . وكان طالعه هذا جاء طبق ما يرجوه ابو خولة فلم يسألة عن سبب ذهابه ولا استدعي سرعة رجوعه فازدادت خولة حيرة وظلت ساكتة ولم يخطر لها ان لذهاب عبد الله علاقة بما بدا لها في وجهه من الانقباض . ولكنها راققته الى باب الدار وتولست ابو اان لا يطيل الغياب . فاجابها انه لا يدرى ساعة رجوعه لانه لا يعلم ما يكون من دواعي تأخره ولم يشأ ان يوضح لها سبب ذهابه ولا ترك لها فرصة للاستفهام وودعها وخرج وهو يسرع في مشيته وافكاره تائمه في ما عساه ان يكون غرض عمرو من دعوته على هذه الصورة

ولما وصل دار عمرو خفق قلبها مخافة ان يسمع من الحاجب خبراً جديداً يزيد بلماهه فلم يكلمه الحاجب الا يقوله ان الامير ينظرك في غرفتك المخصوصية فشي عبد الله الى تلك الغرفة وهو يقدم قدماً ويؤخر اخرى حتى وصل الى الباب فإذا هو مغلق فقرعه ووقف ينتظر فتحه ثم فسم خطوات نسرع نحو الباب يتخللها همس لم يفهم منه شيئاً . وبعد هنيئة فتح الباب فإذا بعمرو نفسه يفتحه بيده فبغت لما رأه امام عينيه وعلى وجوه دلائل الغضب . فجاء عبد الله فلم يزد عمرو على قوله « عليك السلام » وسار الى صدر الغرفة فتبعد عبد الله وهو ينظر الى جواب المكان

لعله يرى فيها أحداً . فلم يجد فالتبس عليه الامر لما سمعه من الهمس وهو واقف خارجاً . ولكن رأى في بعض جدران الغرفة باباً عليه ستار وهو يعلم ان ذلك الباب يستطرق الى غرفة اخرى فظن بعض نسائه كانت عنده فلما علم بذلك صرها من الباب الآخر واستقبلته وكان عبدالله يفكر في ذلك وهو ماش في ثرا عمرو حتى جلس عمرو على مقعده فوق عبدالله بين يديه يتظر امره بالجلوس فاشار اليه مجلس على وسادة بالقرب منه وهو يتضرر ما يقوله وقد نفذ صبره

الفصل السادس والتسعون

﴿ الاستنطاق ﴾

فصر عمرو لحظة وفي يده درة (سوط) يلاعها بين يديه كأنه يتشاءل بها عن قلق يخامر ذهنه ففتح عبد الله الحديث قائلاً «كيف حال مولاي الامير وما الذي يأمر به عدوه فقد لبست دعوته وبا راج ان يكلعني امراً افضيه له جراً لبعض ما له على من النضل»

فالتفت الى عمرو وهو يشطر لحيته بآمامه وقال «عانيا دعوتك لا سالك سؤلاً واحداً وارجو ان تصدقني في الجواب عليه ما احسبني اجزلك من الجميل وأغطيت عليك بعد ان رأيت الموت رأي العين»

فوقف عبدالله احتراماً وقال «يعلم الله ابي لا اسي جييلاً اوليتني اياه باغضائك عن جريمة اقترفتها تم باعمالك على حياتي وهي خير همة فكيف لا اصدقك القول»

قال ذلك وقلة يخفق خوفاً من ساعي ما قد يكون سبب نعمته عليه واقعده عمرو وقال «دعني اليوم من مطلع على احوالك امك انا جئت

السطاط مع رفيقك سعيد لافتكم بي فهل ذلك صحيح؟»

فنهض عبدالله ثانية وقال ولهمجة الصدق باديه على وجهه «كلاً يا مولاي ان ما بلغك من ذلك محض افزاء»

قال «وما الذي جاء بكأ اذا»

قال «اما وقد سألتني عن ذلك فاسمح لي ان اقول الحق وارجو تثق بصدق قوله»

قال «قل الصدق ولا تبال فلا بأس عليك الا اذا رأيت في كلامك عوجا فلا ثم الا نفسك»

قال «اقسم برأس الامير اني لا اقول غير الصدق ولكن حديثي طويل فهو اسطحة كلة»

قال «اجبني اولا على سوالي مخنثرا فاذا رأيت ما يدعوا الى التنصير طلبته سألك عادعا كما الى المجيء للسلطاط والاجتماع بذلك الزمرة المعادية»

قال «انما جئت للبحث عن المؤامر على قتل الامام علي»

قال «ولماذا»

قال «لكي ابذل جهدي في زجره وانقاذ الامام من الموت»

قال «كيف تتعل ذلك واست اموي على ما اعلم»

قال «لقد اجابتني يا مولاي الى بعض التنصير الا نعرف جدي اما رحاب»

قال «بلى اعرفة وقد سمعت بوفاته قريبا»

قال «نعم امة مات وقد كان الى يوم ماته يكره علياً ويدعو الى قتله ولكنه في يوم ماته استغل بي وياسحب اف ان عمي سعيدا ان لا يبني شرلا العلي بل اذا رأينا سبيلا الى الدفاع عنه ان نتعل . فلما سمعنا بالمؤامرة علمنا ان المؤامر على قتل علي من اهل مصر ولكننا لم نعلم من هو فجئنا للبحث عنه وردده بالتي هي احسن . ولم ترسبيلا لعرفتو الا بواسطة اصحاب عين شمس لانهم على دعوة دلي»

فقال «ألم تكن عالما ايضا بمؤامرة رفيق ابن مجيم على قتلي»

قال «بلى ولو لا ذلك لم استطع اطلاقك عليه»

قال «وكيف المك لم تطلعني عليه حال قدومك الا نعلم المك تعد بذلك مؤامرا على قتلي؟» قال ذلك ولخيته ترقص من شدة التأثر ولسان حاله يقول لقد حجبتك وغلتوك و أكدت خيانتك

فقال « أعم اعلم ذلك ولكن حلمك قد وسعني من قيل وعفوتَ عما مضى
وغمرتني سعادتك فإذا رأيت ان تعود الى مطالبتي به كان لك الامر ولكنني لا اخال
الامير عمرو بن العاص اذا عنا عن مدنه ان يرجع عن عفوه »
ف لما سمع عمرو كلامه أفحى وسكت

وشعر عبدالله عند ذلك بقوة ابيشت فيه ونارت الحمبة في رأسه فهم ان
يستأنف الكلام فاندره عمرو قائلاً « ولكن بلغني الملك عرفت خولة قبل ان اخطبها
الملك وانها كانت عالمة بغير تلك الموارف فكيف لما ذكرتها لها الملك ليلة الخطبة تجاهنها »
فارتبك عبدالله في الجواب وكاد يعثر لو لم يثبت جاشة وقد عوّل على الصدق
فقال « حاشاي يا مولاي ان اخدعنك فاني ورأسك وكل غال عدي لم اكن اعرف
هن الفتاة قبل ان ذكرتها لي وامررت مان تكون زوجتي »

فقال « وما تقول في سائق اطلاعها على خبر المؤامرة »

فتغير عبدالله في الجواب ولكنه فقه لباب يخاص منه فقال « ذلك ليس لي ان
احبيب عنه فان خولة جاريتك وهي تحبب عن نفسها . ادعها الى ما بين يديك واسألاها
ولا استك في انها تقول الصدق ولكنه ارحب الى مولاي ان يخبرني عن وشي سا
اليه لعلنا نكتبه بين يديه »

قال « ساحمكم جميعاً واسمع ما احتجاجكم جهاراً فإذا سمعت اقوالكم جاز بت
كلامها بستخفة . اذهب الابن الى فراشك عندما وعد الناظر فریب » قال ذلك
ونظر نحو الباب وبادى « يا غلام » فدخل رجل فقال له خذ عبدالله الى غرفة سبب
فيها الليلة هما واتني به غداً متى دعونة »

قال سمعاً وطاعة وخرج عبدالله وال الحاجب يسير امامه حتى دخل به غرفة في
دار الامير نفس المبيت فيها ولكنه لم يغمض له جفن طول ذلك الليل

الفصل السابع والتسعون

* الجلسة الخصوصية *

ولما أصبح عبدالله تخير في هل يخرج الى الامير ام يتظاهر . ولبث جائياً

حتى كان الصحبى فإذا بالحاجب قد جاء يدعوه الى مجلس الامير في غرفة خاصة غير مجلسه الاعتيادى فمشى وهو ينكر في ماذا عسى ان يكون من امر تلك الجلسة ومن هو الواشى وهل نستطيع خولة الدفاع عن نفسها بما يضمن نجاتها

ولاحت منه التفاة الى ساحة الدار فرأى هناك عبداً تذكرة رأة ولم يلبث ان عرفه فإذا هو ريحان عبد قطام فاختلع قلة في صدره وقال في نفسه انها والله وشامة هذا الخائنة واظنهما ارسلت عبدها الى عمر وكم ارسلته في المرة الماضية لعنها الله وما زال ماشياً وهو ينكر في ذلك وقد تغيرت سجنته من عظم التأثر فرأى الحاجب دخل باباً فدخل هو في اثنين فإذا هو مقبل على قاعة في صدرها الامير عمرو بن العاص كأنه جالس للقضاء وعليه جهة بيضاء وعلى رأسه عامة كبيرة وقد قعد الاربعاء على وسادة من الدمشق وفي يده الدرة والسبحة معاً . فتقدم عبدالله تواً اليه فعياه ولم يلتفت الى سواه . فامرء بالجلوس ببرود ظهر الفرق بينه وبين مقابله الاولى . فجلس عبدالله في بعض حواب الغرفة وارسل نظره فرأى الى جانبه عممه ابا خولة وعن يسار عمرو ثلاث نسوة قد ارسلن النقاب على رؤوسهم فلا يظهر منهنَّ غير العيون من نقوب فيه . فعرف منهنَّ خولة ولم يكن يجسر على التفاس بالآخر بين حياءً . فجلس وهو يسترق اللحظ وينكر فخطر له ان احداهن قطام جاءت هذه المرة لقضاء حيلتها بنفسها . ثم ما لبث ان عرف الاخرى فإذا هي اباه العجوز فتحقق انها وشتبه وبسعيد . وكانت قطام قد ابطلت الحداد على والدها واخيها بعد قتل الامام علي فارتدت كساً من الحرير المزركش بالقصب صنع بلاد فارس احمر اللون ناصعة لا يستطيع لبسه الا الاغنياء وكان نقابها مزركش الاهداب بما يدل على بذخ وترف . وتصور عبدالله جمامها وفصاحتها وحيلتها فعلم انها غلبت على رأي عمرو واقتنعت ان عبدالله وخولة يستوجبان القتل او نحوه فأخذ بناً هب للجواب

ومضت برهة والكل صامتون وعمرو ينظر الى الارض والدرة في يد كاته ينكث البساط بها وبين الاخرى على حيبته بلاعب شعرات منها بين اماملو والاهمام يادِ بين حاجبيه . ثم رفع بصره ونظر الى الباب ونادى غلامه فدخل فقال له « لا تستاذن لاحد بالدخول علينا ولا تدع احداً يقترب من هذا الباب »

قال سعياً وطاعة وخرج
ثم التفت عمر إلى أبي خولة وقال « أهذا جزاً الثنائي إليك يا أبا خولة »
فوقف أبو خولة وقد بُعدت وقال « وما ذلك يا مولاي . أني لا أعرفني إلا
مخلصاً لك خادماً لفاصلك »

قال « ربما كنت كذلك ولكن خولة هذه (وأشار إليها) نواطى الناس على قتلي
ونسعي في إنقاذ ابن أبي طالب »

فلم يسمع أبو خولة قوله مسرعاً حتى أمسك ابنته وقال « أني لا أعرفها إلا
جار ية من جواري مولاي فإذا ارتكبت شيئاً من ذلك فاني أذبحها بين يديك ودمها
هدر لك » قال ذلك وجذبها كأنه يريد إيقافها ونفيتها إلى عمر . أما هي فظلت
جالسة ولم تبال

فقال له عمر « عد إلى مكانك ودعها تداعع عن نفسها فاني لا أريد أن
أعاقبها إلا بعد المحاكمة فإذا صحي ما قيل عنها كان القتل أخفّ قصاص لها »
فلم يسمع عبدالله تلك اللهجـة الشديدة اخثـلـقـلـبـهـ فـيـ صـدـرـهـ وخـافـ عـاقـبـةـ تلكـ
المـجـلـسـةـ ولـكـنـةـ تـجـلـدـ وـصـرـ

الفصل الثامن والتسعون

﴿ دعوى قطام ﴾

ثم التفت عمر إلى خولة وقال « ما تقولين يا خولة »
فوقفت وقالت بصوت رائق وجاش ثابت « ماذا أقول يا سيدى وأنا لا
أعرف التهمة التي وشى بها إليك الواثون . فإذا سمعتها ذكرت لك الحقيقة ولك
الامر بعد ذلك فإذا استوجب القتل فاما خير من قتل من رجال الإسلام في
هذه الفتنة !! »

فتعجب عمر ل聆يـعـهاـ إـلـىـ اـعـظـمـ ماـ حـدـثـ فـيـ تـلـكـ الاـثـنـاءـ فـقـالـ لهاـ «ـ مـالـكـ وـهـذاـ
الـكـلـامـ بـاخـلـوـةـ قـوـلـيـ ماـ جـوـلـكـ عـلـىـ سـؤـالـيـ »

قالت « اذا كان الامير حرسة الله قد جعل دعي حلاً اين ثبتت التهمة على
فليس اقل من ان اسمع نص الدعوى الموجهة اليه »

قال « لقد صدقت واني مطاوعك في جرأتك حتى تبدي كل ما لديك من
اساليب الدفاع ولا اظنك اخيراً الاً مقرن بجنايتك لانها ثابتة ثبوت النور في النهار
اجلسي استرجعي »
فحملست

فقال عمرو ووجه حديثه الى قطام « ما قولك باقطام بخولة وما نعرفه عنها »
وكانت قطام كما بيانا في فصل سابق لما ارتاح لها من امر علي وقتلها وعلمت
ما دار بين خادمهما وبين بلال خادم خولة انها تحب سعيداً وهي التي وجهت
عبدتها معه واستثنية في الوصول الى علي قبل انتهاء الاجل المضروب لقتله . فحملتها
الغيرة وهاجها حب الاعظام وطاوعها خلق السوء الذي فطرت عليه ان تأتي
المسطاط تشي بخولة وسعيد وهي لا تشكي انها ثبتت الجناية عليهما فتنقرب بذلك من
عمرو فتتناول حظوة في عبيده فتقيم عنده مكرمة او يتزوجها احد اسائه وكان عمرو
يعرفها من ذي قبل . فاسرعت الى المسطاط ومعها عجوزها وعددها ووصلت بالامس
واسرعت الى عمرو وشركته بقتل الامام علي وروشت اليه بخولة وانها كانت مواطنة
لسعيد على انقاد الامام علي وانها كان يعلم ان خبر المؤامرة على عمرو وسكنها عنها
وقد كان في اسكنانها لراحتها الخدمة لعمرو ان يطلعاه عليها فاعمارها عمرو
اذن مصغية ولعث الى عبدالله كما قدم . ثم رأى من الحزم ان يجمع الجميع ويسمع
جدالهم ومدافعتهم قبل ابداء الحكم

فلما قالت خولة قولها في تلك الجلسة والنمس عمرو من قطام ان تحيط التهمة
نهضت ومشت خطوطين نحو الامير وثوبها المزركش يجرؤ وراءها تيهاؤ وندخاً . ثم وقفت
وقالت لسان طلق فصح « اما ما يسألني الامير عنه فلا احتاج في اثباته الى
دليل . وتفصيل الامر ان مولاي الامير يعلم اخلاقي له ورعائي في خدمته حتى
انني حالما سمعت مجتمع العلوبيين في عين شمس نعشت اليه رسول الله يصرره خبر ذلك
الاجتماع . ولو لم اجد من اعنته في تلك المهمة لجئت بنفسي . ولم اذكر هذا الشاهد
الصغير الا دليلاً على اخلاصي . اما خولة واطلاعها على خبر المؤامرة فاما مر لاشك

فيه لاني اعلم علم اليقين ان سعيداً ورفيقه هذا (وأشارت الى عبدالله) لما قدما الفسطاط كانوا عالمين بخبر تلك المؤامرة وقد سمعت ذلك منها باذني . وها انا انا للجتماع مع العاوين وعشت يومئذ عدي بخبر ذلك الى مولاي الامير فلما عاد عدي اخبرني ان جند الامير قبضوا على العاوين وان عبدالله وسعيداً في جلتهم ولم يكن يعلم ان سعيداً نجا بمساعدة خولة هن . اما اما وانني عرفت ذلك لما عاد سعيد الى الكوفة مسرعاً لاطلاع علي من ابي طالب على خبر المؤامرة غيرة منه عليه وقد ترك حياة الامير عمرو بن العاص في خطر القتل . وكان رفيقه في عودته بلاد خادم خولة هن فامة صحبة الى الكوفة . فالتفى بهما هاك عدي ريجان واصح له من خلال الحديث ان ملال وخولة عالمين سر الامر . ولما لم ينجح مساعاهما في انقاذ الامام علي قياماً ما يكون مولاي حرسة الله قد اصيب ؟ اصيبيت بذاك . ولكن الله سبحانه وتعالى انقذ من مخالب الموت وحرسه عين عنايته . فترى يا مولاي ما قدمنه ان خولة كانت عالمة بخبر المؤامرة كما كان يعروها عبدالله وسعيد فلو كانت مخلصة لمولانا الامير ما كفتها عنده »

فقال عمرو « وما الذي سُوكَد لينا ان سعيداً وعبدالله لما انا الفسطاط كانوا عالمين بالمؤامرة على قتلي وكانت لامة العجوز صافية الى تلك الساعة فلما طرح عمرو هذا السؤال ابتدئته هي قائلة « لاشك انتما كما عالمين بها لاهمها اخراها بها ليلة سفرها الى الفسطاط »

الفصل التاسع والتسعون

* دفاع خولة *

وكان قطام تكلم وخولة مطرقة تذكر بماذا تحبيب . أما عبدالله فامة لعن . الساعة التي انت بها تلك الخائنة وخفاف على خولة ان تتلعم او تخغم لأن الاadle قوية اما والد خولة فلم يكدر يسمع حدث قطام حتى استشاط غصاً وصاح في خولة

باعلى صوته «الله عليك يا خائنة اند فهمت الان تلاعبك وتناقك» ثم التفت الى قطام وقال «واي متى لقي عبدك عبدي مع ذلك الرجل في الكوفة» قالت «ليلة ١٧ رمضان»

فاطرق برهة ثم اقترب من خولة وجد بها يدها الى وسط القاعة وقال لها بنغمة الانهار «لقد انكشف لي الفناء وعلمت سبب فرار بلال كما ترمعين ارسلته مع حبيبك ليساعدك على إنقاذ ابي تراب (علي بن ابي طالب) وقاتت لي انه فر بالجميلين والظاهر انه اخذها معه ليركب هو ورفيقه عليهما» ثم التفت الى عمرو وقال «ان ابني يا سيدى تستحق القتل اقتلها او دعني اقتلها بين يديك»

توقف عبدالله للحال وقد ثارت فيه الغيرة على خولة وهو يظن سكوتها خوفا او ارتياكاً لانه لم ير ملامحها من وراء النقاب فامسك اباها بين وقال رزامة وسكونه بخاطب عمراً «النفس من مولاي الامير الذي امر ان تكون خولة زوجة لي ان يوقف اباها عند حد فهو الان لا يملك من امرها شيئاً . اما اذا اقترفت هي ذسنا تستوجب عليه قصاصاً فالامر فيه مولاي وليس لاحد سواه»

وكان عمرو قد اقتنع بثبوت الجريمة على خولة ولكنه احب ان يسمع دفاعها ورأى عبدالله يتكلم بحق وعدل فقال لابي خولة «دع خولة فانت كذا قال عبدالله لا تملك من امرها شيئاً»

فتحت ابو خولة وهو يلهمت ويدمدم ولحيتها ترتعش في صدره . وتحت ايضًا عبدالله وخولة لا تزال واقفة . اما قطام فلو ازاحت خمارها لبان الابنهاج على وجهها لنجاح مهمتها

فقال عمرو «ما بالك ياخولة لا تدافعين عن نفسك . أليس ما قالته قطام عنك صحيحًا؟ هل كنت عالمه بغير المؤامرة على قتلي» قالت «نعم»

قال «وهل ساعدت سعيداً على إنقاذ الامام علي فارسلت معه خادمك وجاهيك»

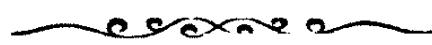
قالت «نعم كل ذلك صحيح»

فتحت عمرو وسائل الحضور من صراحة اقرارها وقد كانوا يتوقعون انكارها او ناعتها او على الاقل سكوتها . فلما رأها تنجيب بين الصراحة قال لها « وكيف

ناظر بن هذه الغرة على صاحب الكوفة (علي) مع علمك ان والدك لا يربد ذلك ثم لا يخطر ببالك ان تخبرني والدك بمغبة المؤامر على قتلي اكي يطلعني عليه . الا نعلمين ان عملك هذا بعد خيانة تستوجبين عليها القتل . وها اني لازال اطيل مالي عليك لاسمع دفاعك فاخبربني اولاً كيف تكونين على غير ما يربد والدك وامير بلادك . ثانياً كيف نسعين في انقاذ علي من اي طالب ولا نسعين في انقاذ امير مصر »

وقيل ان لهم خولة بالجواب اعترضتها قطام قائلة « ارى مولاي الامير يتعجب نفسه بما لا طائل تمنه . هل بعد اقرارها الصريح من ناب للنجاة ؟ ولا دفأ لهذه الخائنة الا القتل »

فقالت خولة وهي تنظر الى قطام شدراً « سوف يتضح لنا من هي الخائنة وقد يجدرك التاذب في حضن الامير فانه اعلم منك بقواعد الاحكام »



المائة

* صدق اللهجة *

ثم وجهت خولة خطابها الى عمرو قائلة « ارجو من الامير ان يطلق للساني الحرية لا اقول كل ما يجعل في خاطري »
قال « قولي ما بدا لك »

قالت « اما سبب مخالفتي والدي في رأيه . وتحزبي للامام علي رحمة الله فهو لاني صادقة مخلصة في فكري وقولي وهو المحرف المتقلب . وما كنت لاصف والدي بهذا العيب لوم بضروري الى ذلك »
قال عمرو « وما معنى هذا »

قالت « يعلم مولاي الامير ان والدي ربي في نعم الامام علي وانا في حجره مع اعتقادنا انه ابن عم الرسول (صلعم) وانه على الحق في اعلاء »

فاراد والدها ان يقطع حدثها فاعترضه عمرو والزمرة السكوت فقالت « فلما كانت واقعة صفين كان والدي في جملة من خالفة في امر الفحيم من الخارج . فهو

الذى اختر عنـه . اما اما فضـلت عـلـى رأـيـي وـلا اـزـالـ عـلـيـهـ الـيـوـمـ «
فـقـالـ عـمـرـ وـهـوـ مـعـجـبـ بـجـسـارـتـهـ » وـلـكـ عـلـيـاـ شـارـكـ الجـهـالـ فيـ قـتـلـ الـخـلـيـفـةـ
عـثـانـ فـقـتـلـوـهـ ظـلـمـاـ وـنـحـنـ اـمـاـ قـمـنـاـ نـطـالـبـ بـدـمـهـ »

قالـتـ «ـ اـمـاـ مـقـتـلـ الـخـلـيـفـةـ عـثـانـ فـارـحـوـنـ مـوـلـايـ الـامـيرـ اـنـ لـاـ يـجـئـنـيـ الـىـ
الـخـوـضـ فـيـ شـائـيـهـ لـانـيـ رـبـاـ اـضـطـرـرـتـ اـلـىـ ماـ اـنـجـبـ ذـكـرـهـ »

قـبـالـ «ـ وـمـاـ الـذـيـ يـجـيـفـكـ بـعـدـ مـاـ اـنـدـيـتـهـ مـنـ اـجـراـةـ »

قالـتـ «ـ يـجـيـفـنـيـ غـصـبـ الـامـيرـ لـاـمـرـهـ دـاخـلـ فـيـهـ »

قالـ «ـ قـوـيـ كـلـ مـاـ يـدـوـ اـكـ وـلـاـ خـافـيـ »

قالـتـ «ـ اـمـاـ مـقـتـلـ الـخـلـيـفـةـ عـثـانـ رـحـمـهـ اللهـ فـلـاـ اـظـنـ مـوـلـايـ عـمـرـاـ الاـ مـنـ جـمـلـةـ
الـراضـيـنـ بـهـ »

فـبـغـتـ عـمـرـ وـقـالـ «ـ وـكـيـفـ نـقـولـيـنـ ذـالـكـ بـاـ خـوـلـهـ »

قالـتـ «ـ اـمـ بـكـنـ مـوـلـايـ فـيـ جـمـلـةـ الـمـحاـصـرـ بـنـ لـعـثـانـ ؟ـ اـمـ نـقـلـ لـهـ قـدـ رـكـبـتـ يـاعـثـانـ
اـمـورـاـ رـكـبـنـاـهـاـمـعـكـ تـبـ يـاعـثـانـ وـارـجـعـ اـلـىـ اللهـ (١)ـ .ـ فـاسـعـكـ هـوـ كـلـاـمـاـ جـارـحـاـ .ـ ثـمـ لـمـ
قـالـ لـكـ اـنـيـ تـائـبـ قـلـتـ لـهـ رـأـيـنـاـكـ تـنـوبـ ثـمـ تـعـودـ »

قـبـالـ «ـ وـهـلـ يـوـجـذـ مـنـ ذـالـكـ اـنـيـ كـتـ اـرـيدـ قـتـلـهـ »

قالـتـ «ـ كـلـاـ وـلـكـهـ بـدـلـ عـلـىـ اـنـكـ كـتـ مـاقـمـاـ عـلـيـهـ »

قالـ «ـ اـنـاـ كـنـتـ مـاقـمـاـ لـيـرـجـعـ عـنـ اـعـمـالـهـ وـيـقـنـىـ عـلـىـ خـلـافـتـهـ »

قالـتـ «ـ لـوـ كـانـ هـذـاـ هـوـ قـدـدـكـ فـقـطـ لـمـ فـرـحـتـ بـقـتـلـهـ »

فـاـذـهـلـ عـمـرـ وـمـنـ سـعـةـ اـهـلـاعـهـاـ عـلـىـ خـبـاـبـاـ الـامـورـ وـلـكـهـ لـمـ يـسـتـطـعـ الاـ اـسـتـهـامـهاـ
فـقـالـ «ـ وـكـيـفـ نـقـولـيـنـ اـنـيـ فـرـحـتـ وـمـاـ دـاـيـلـكـ عـلـىـ ذـالـكـ »

قالـتـ «ـ دـاـيـلـيـ قـرـيـبـ اـذـاـ اـسـنـيـ الـامـيرـ قـلـتـهـ »

قـبـالـ «ـ قـوـيـ »

قالـتـ «ـ اـلـمـ تـكـنـ فـيـ فـلـسـطـيـنـ بـوـمـ قـتـلـ عـثـانـ ؟ـ فـكـنـتـ اـذـاـ لـفـيـتـ الرـاعـيـ حـرـضـةـ
عـلـىـ قـتـلـهـ ؟ـ اـلـمـ تـخـرـضـ عـلـيـاـ وـطـلـعـةـ وـالـرـبـرـ عـلـيـهـ ؟ـ فـلـمـ جـاءـكـ رـجـلـ اـخـرـكـ بـقـتـلـ عـثـانـ
اـلـمـ نـقـلـ اـنـاـ عـبـدـ اللهـ اـذـاـ حـكـمـتـ قـرـحـةـ تـكـاـبـهـ ؟ـ »ـ (١)

فَلَمَا سَمِعْ عُرْبِ قَوْلَهَا اسْتَغْرِبَ جَرَأْنَاهَا وَغَضَبَ لِنَصْرِ بَعْثَاهَا بِأَمْرِ كَانَ يُودُّ كُتْمَانَهَا وَلَكِنَّهُ سَيِّقَ فَأَمْسَنَهَا وَكَانَ دَاهِيَةً بِحَوْلِ مَعْنَى الْكَلَامِ كَيْفَ شَاءَ فَقَالَ لَهَا « لَفَدَا عَجَبَنِي دَفَاعُكَ بِإِخْرَافِكَ أَوِ الْخَرَافِكَ وَالْدَّكَ وَإِنَّا نَحْنُ فِي مَعْرِضِ الدَّفَاعِ عَنْ عَلِيٍّ أَوْ عَنْ إِنْهَانٍ وَلَا هُنَّا إِنْهَافِكَ أَوِ الْخَرَافِكَ وَالْدَّكَ وَإِنَّا نَحْنُ فِي اطْلَاعِكَ عَلَى خَبْرِ الْمَوْاْمِةِ عَلَى قَنْتَلِيٍّ ثُمَّ سَكُونِكَ إِلَى آخِرِ سَاعَةٍ وَالْدَّكَ بَيْنِ يَدِيٍّ كُلِّ يَوْمٍ فَكَانَكَ اشْتَرَكْتَ مَعَ الْمَوْاْمِرِ » قَالَ ذَلِكَ وَهُوَ يَحْسَبُ نَفْسَهُ قَدْ غَابَهَا وَيُدَّعِّي عَلَيْهَا أَوْابَ الدَّفَاعِ وَكَانَ أَشَدُ النَّاسِ خَوْفًا عَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ وَقَدْ خَيَّبَ لَهُ أَنْهَا لَمْ تَعْدْ تُسْتَطِعْ دَفَاعًا بَعْدَ افْرَارِهَا السَّابِقِ

أَمَا هِيَ فَهَمَتْ بِالْكَلَامِ فَإِذَا بِقَطَامٍ نَقَولُ « أَنِّي لَاَعْجَبُ مِنْ حَلْمِ الْأَمِيرِ وَمَا الَّذِي يَرْجُوهُ مِنْ دَفَاعِهَا عَنْ ذَنْبِ اعْتَرَفَتْ وَصَرِحَّا »

فَلَمْ تَعْبِأْ خَوْلَةَ بِقَطَامٍ وَلَكِنَّهَا اجْتَسَتْ عِمْرًا قَائِلَةً « أَنِّي لَاَ انْكِرُ عَلَيْكَ عَظَمَهُ ذَذِبَ بِالنَّظَرِ إِلَى مَا كَدَتْ تَرْجُوهُ مِنْ فِيَامِورِ بِأَمْرِ الْخَوارِجِ وَمَوْاْمِةَ وَالْدَّكِ عَلَى نَأْيِدِ امْرَكَ وَالْتَّصْدِيقِ عَلَى دَعْوَاتِكَ وَدَعْوَى مَعَاوَيَةَ وَأَكْمَمَ عَلَى الْحَقِّ . وَقَدْ قَدَّمْتُ لِمَلَوَّاِيَ بِأَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ وَإِنَّا عَلَى دُعَوَةِ الْأَمَامِ عَلَى فَذَنْبِي مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ لَا يَعْدُ شَيْئًا بِالنَّظَرِ إِلَى مَا تَسْنِيْجَهُ هَنْهُ الْمَرْأَةُ (وَإِشَارَتْ إِلَى قَطَامٍ) الَّتِي إِنَّا جَاءَتْ بِهَنْهُ الْوَشَائِيْةَ غَيْرَهُ عَلَيْكَ وَضَنَّاً تَحْيَاهِكَ فَأَنْهَمْتُنِي بِالْخَيَاةِ لَأَنِّي عَلَى زَعْمِهَا كَتَبَ عَالِمَةً بِخَبْرِ الْمَوْاْمِةِ وَلَمْ أَخْبُرَكَ بِهَا . فَهَا الَّذِي مَنَعَهَا هِيَ عَنِ اخْبَارِكَ بِذَلِكَ يَوْمٍ ارْسَلْتُ عَدْهَا عَدَ السَّوْءِ لِلْوَشَائِيْةِ بِالْحَسَابِ عِينِ شَمْسٍ . فَإِذَا كَاسَتْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ صَادِقَةً فِي دُعَوَاهَا أَلَمْ تَكُنْ هِيَ أَوْلَى مَنِيَّ بِإِطْلَاعِ الْأَمِيرِ عَلَى ذَلِكَ الْأَمْرِ؟ إِسْأَاهَا وَإِنْتَنِظِرْ فِي جَوَابِهَا »

الفصل الحادي والماية

* فَشَلَ الظَّالِمِينَ *

فَأَنْتَبِهَ عَنْرُوكَ كَانَ فِي سَكَنَةٍ وَصَحَّا مِنْهَا بِعْتَةً فَرَأَى خَوْلَةَ مَصْبِيَةَ بِدَعْوَاهَا فَالْتَّنَتْ إِلَى قَطَامٍ لِنَقْتَةِ اسْتِهْنَامِ فَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهَا جَوَابًا . فَقَالَ لَهَا « مَا نَقْولِنِي يَاقَطَامِ مَا ذَلِكَ لَمْ تَخْبُرْنِي بِخَبْرِ تِلْكَ الْمَوْاْمِةِ »

فأربكت في أمرها ولكنها أجاها وهي مبغضة وقالت «لاني لم أكن عارفة بخبرها يومئذ»

فتبيّن عمرو النلاعب في كلامها وأكثرة اراد تحقيق ذلك فقال لها «ولتكن قلت الان انك سمعت خبر الموافقة منها فهل سمعته قبل ارسال عبدك اليها او بعد» فانخدعت قطام بسؤاله فأجاها على الفور «لم اسمعه الا بعد سفر عبدي وكنت عازمة على ارسال غير فلم اتمكن لشاغل خصوصية انتابني»

فنقدم حينئذ عبدالله وهو يكاد يرقص فرحاً بخدرلان قطام وقال «ولكن عبدك يا مليحة لم يسافر من الكوفة الا بعد سفري لأنها اما قدم الفساطط ليخبر الامير بخروحنا من الكوفة»

فasher عمرو اليه فسكت وعاد هو الى السؤال فقال «و زد على ذلك ان هن العجوز تقول انك سمعتها ذلك الخبر منها ليلة سفرها فما تقولين بذلك»

فغلب الحنق على قطام فقالت «هذه عجوز حفقاء غالب عليها الخرف فلا يعتقد بقوتها»

فغضبت لباية لغور قطام واهانتها ايها على هذه الصورة وهي تعتقد فضلها عليها فقالت لها «وابا لم اقل ذلك الا بعد قولك .. تما لك من امرأة خائنة . كيف تقولين ان الخرف غالب على وانت انت غالب عليك الشاق»

فاشتد حنق قطام ولم تعد تعي ما تقول لفشنها وتجعلها فقالت «اخرسي يا معنوية ولا تتكلمي بين يدي»

فقالت لباية «بل انت معنوية وانت الحائنة واذا لم تلزمي حدك اطلعت الامير على كل سرايرك وفضحت امرك»

فقالت «وماذا عسى ان تقولي واست خادمة لا يعتقد احد باقوالك» وكانت لباية قد تحققت وفوع قطام في شر اعمالها فارادت ان تخلص نفسها وتنجو بحياتها فلم تر ذريعة اهون عليها من ايقاع قطام سباياها اسرارها بالافرار . ولا غرابة في ذلك فان من كان مثلها ميت الضميرسي . المخلق لاذمام بزجرها ولا عقل يعقلها يسهل انقلابها من الشيء الى ضد ف وقالت «على الفور ان اسرارك كلها تحت قدسي هذه واذا اذن مولاي الامير كشفت له كل شيء»

فسرت خولة وعد الله لذلك الخصم . أما عمرو فرأى لحسن سياسته وتعقله أن خولة ممن بمحض على بقائهم وإنها إذا كانت على دعوته لا يخشى افلاتها . وأما قطام فإنها إذا أخلصت له اليوم لا يأْمُن أن تخونه في الغد فقال للجوز « قولي يا خالة ما تعرفينه »

فأخذت لبابة نتو حديث قطام منصلاً من أوله إلى آخره والكل مصغون صامتون ففتحت أسرارها فتحقق عمرو أن ارسالها عدها اليه لم يكن حباً بو ولا نصي لحزبه بل اتفاماً من سعيد وعد الله . وتبين لدبو أن هذين إنما اندفعا للدفاع عن علي بوصية جدهما أبي رحاب وإنصح له جلياً أن قطاماً خائنة لا يوثق بها ولا يعتمد عليها وإن بقاءها في قيد الحياة شرٌّ على العالمين . ولم يكن اعتقاده لما يراه من أحسن من اعتقاده بقطام لاته رأي خيانتها رأي العدن فصم على التخلص من كلها

وكانت قطام في أثناء حديث لبابة واقفة وقوف الصنم وقد جمد الدم في عروقها وأصطككت ركبتيها . وكانت في أول حديث لبابة ثم تكذبها عمرو يسكنها ثم سكتت من تلقاء نفسها . فلما فرغت لبابة من حديثها نادى عمرو « ياغلام » فجاء فأَمَنَ أن يسوق قطاماً وعموزها إلى غرفة يسبحها فيها

الفصل الثاني والمائة

* العفو العام *

فلما خرجت قطام ولما من المكان عاد السكوت إلى الجلسة وكلَّ في مكانه عمرو غارق في حوار التأمل فذكر في خولة وشهادتها وصدق موذبيها فرأى أنها إذا كانت على دعوته لا يخشى ضرّها بل قد تكون أكرر عون له إذ يندر مثلها بين النساء وغائب على اعتقاده أنها بعد مقتل الإمام علي لم يبق لها بديل لنصرته ففضل أن تكتسب رضاه عمرو . وخصوصاً إذا عينا عنها وعن زوجها عبد الله وبعد السكوت هنئه خاطتها قائلاً « ولأن ما قولك يا خواه ما الذي

نفعك »

قالت «لا ابالي يا مولاي بعد ان بسطت لك الحق ان تتعل في ما تفعله . فقد صدقتك الفول بصراحة لا اظن احد يجرأ على مثلها . فإذا امرت بقتلي فاني لا ازيد عدد الموتى ولا اقل عدد الاحياء . ولا فائدة من بقائي ولا ضرر من مماتي وقد قلت لك في اول حديثي انة قد قتلت واندرج تحت التراب من لا افاس بأهملة من انا ملئه . فهل انا افضل من اي بكر وعمر وعثمان ام انا خير من ابن عم الرسول (صلعم) فاذا شئت افتانني وارجعني من حياة لا عدل فيها ولا حق» . ولكنني اطلب اليك اذا قتلني ان لا تعنو عن تلك الخائنة الفادرة » قالت ذلك ودمعت عيناهما فناشر عمرو من صدق لتجربتها وشات جاشها فقال لها « واذا عنوت عبك » قالت « واذا عنوت فالعنون من شيم الارحام ونكون حياتي هبة من عندك » . فتقدمن عبد الله للحال وجثا بين يدي عمرو وقال « ارغب الى مولاي كما واهبني حياتي ان يهبني حياة هذا الملائكة الظاهر فنكون كلانا هبة من فضله » وكان والد خولة لا يزال يافعا وقد سحرها ابنته من الحمية والشهامة وقد تحجل لامه لم يكن صادقا في اخلاصه لعلي مثلها . فلما رأى عبد الله يائس العنوان بي نقدم هو ايضا وقبل يدي عمرو وقال « لقد كنت يا سيدتي اشد تقية منك على خولة ولكنني اراها والله خيرا مني واراني اصغر منها فالتتس لها العنوان ايضا » قال ذلك ونادى خولة فدينت فقال لها « قبلي يد الامير واستغفر ب汝 » ففتحت واصافع ابو خولة وعد الله وعادوا الى مقاعدتهم وقد نذكر عبدالله ان عم سعيداً وعلاقته بخولة فقال في نفس اثباتها فرصة لا ينفي ضياعها فخاطب عمراً قائلاً « اما وقد وهنتنا حياتنا جزاء لصدق لتجربتنا فلا يسعني والحكمة هن الا ان اتم الصدق كشف سر لا يزال مكتوماً »

الفصل الثالث والمائة

* كشف السر *

لما قال ذلك علمت خولة انه سينكلم بشأن سعيد فخفق قلبها وغلب المياء عليها

فائزوت في بعض جوانب الغرفة

اما عمرو فقال لعبد الله « قل ما بدارك »

قال « انت تدعوني الا آن زوج خولة وما انا والله الا اخوها »

فبعثت عمرو واخولة وقال عمرو « كيف لا وقد كتبت كتابك عليها »

قال « نعم انها زوجتي بالكتاب ولكنها لاتزال تكرأ وقد آخيتها فهي اختي

بعهد الله والرجل لا يتزوج اخنة »

فازداد استغراب عمرو وقال « وكيف ذلك افصح يا عبد الله »

قال « لان خولة احبت ابن عمي سعيداً قليلاً ولا بد انكم لحظتم ذلك من خلال حديث قطام ولكنني لم اعلم بذلك الا بعد كتابة الكتاب ونظرًا لحبى الشديد لابن عمي وقد كفأته بوصاية جدي أبي رحاب أمسكت بي عن خولة وأخيتها . واعترف لولاي الامير انساناً طائناً على الخروج من المسطاط الى الكوفة محملة وسعيد ينتظرا هناك فارف خولة اليه »

ف لما سمع عمرو كلامه ارداد اعجاً شهامته وصدق مودته ونظر الى ابي خولة كأنه يستطلع رأيه في الامر فإذا هو لم يكن اقل اعجاً بتلك الشهامة وآكله لم يبالك عن ان بهض وضم عبد الله الى صدره وقبل رأسه وقال « بورك فيك من صديق صادق فاذ صارت خولة اختنا لك فما قض لها ما انت قاض »

فقال « اذا امر مولاني بعشنا الى سعيد وهو في الكوفة مع بلال العبد فيقدمان إلينا فيكتب الامير كتابة باسمه »

قال عمرو « ان ذلك لك على الرحب والسعة » وامر خلامه ان يد عد الله بما يريد مما يتعلق باستدام سعيد

فعهز عبد الله رسوله وكتب الى سعيد يستقدمه ويبسط له وافعه الحال واوصى

الرسول ان يجعل طريقة بدمشق لان سعيداً كان فيها فلعله لا يزال هناك

واسناً ذن اخ خولة وابنته بالاصراف الى بيته فاذن لها فخرجها وخولة نكر في

قطام وكانت قبل هذه الجلسة تزيد الاتهام منها ولكنها لما رأت ما كان من فشلها

اشتافت حمأة اتهامها . على ابها نذكرت ان ملاقاً اقسم ان يقتلهما ناهيك عن حقد سعيد

عليها فعولت ان تستعطفه لكي يعني عنها وبكتني بما اصاها من الفشل والاهانة

ولما عبد الله فاستيقاه عمرو عده بقية النهار وبات تلك الليلة ضيفاً في دار الامير وقد ارناح بالله من كل قبيل . ولكنَّه كان ينكر في قطام وما اصابها من البلاء وكيف سبقت الى السجن مهانة وقد اكشف امرها وافتضح سرها فخفت نهانة عليها فاكتفى بان تبقى مسجونة حتى يرى ما يكون من امرها بعد قدوم سعيد وفي الصباح التالي بعث عمرو اليه لتناول الطعام معه فذهب وفي اثناء الطعام تحدثنا بحديث قطام وعجزها فذكر عبد الله ما يقول في خاطره من الشفقة عليها فقال له عمرو « اهـ والله حلم لم يسبقك اليه معن . وما ظنك بمحنة هل تقول قوله ؟ » قال « لا اظنهما الا على رأي بلا تواطؤ »

الفصل الرابع والمائة

* الجريمة والفرار *

فاحب عمرو ان يحرب ذلك فبعث الى خولة فلما جاءت سألهما عن رأيهما في قطام فقالت مثل قول عبد الله تقريراً فنال لها عمرو « اني والله لا اعجب من هذا التوارد وانه دليل صريح على طيب عنصر كما وقد كنت لو اردتها قتلتها لانها شريرة تسحق الشنق . فاري اذا ان سجينها في سجن مظلم لنذوق جراها ما جنتها بداها » ثم نادى غلامه فحضر فامره ان ينقل قطام الى سجن مظلم وان يأتي بالعجز اليه فذهب الغلام ثم عاد وعلى وجهه امارات المغبة فنال له عمرو « ما وراءك هل فعلت ما قلته لك » قال « كلاماً يا مولاي » وقال « ولماذا »

قال « لاني وجدت العرفة منتوحة وابس فيها غير جثة المرأة العجوز » قال عمرو « وقطام ؟ »

قال «لم أقف لها على أثر»

فصاح عمرو «نباً لملك اللعنة الخائنة هبها بنا شخص الامر بفاسا» قال ذلك
واسرع ل ساعته وتبعة عبد الله وخولة حتى أتى بباب الحجرة التي كانت قطام مسجونة
فيها . فإذا بملك العجوز المسكينة صرعاً هناك لا حراك لها . فارسل عمرو الى طبيبه
لشخص سبب وفاتها فجأه وعذ الفحص قال إنها ماتت خنقاً بعنف بعد جهاد ودفاع
لأنه رأى في فيها حجراً ملفوفاً بهديل كان النازل سداً بـ فاما ثلاً تستغيث فيسمعها
الخفراء فيكشف امن

فقال عمرو «ومتي كان ذلك»

قال «أظنه وقع في متصف الليل او نهار»

فحول عمرو انداهة الى بباب الحجرة ونأمل خلعة فتبين له انه خال من الخارج
لأنه رأى آثار معالجته بادات من الخارج . فقال «يظهو ان قطام ليست وحدتها
القائلة لأن يدأ عالمت الباب وفتحته فمن فعل ذلك يا ترى»

وكان خولة لما رأت اباهة مائة وقطام قد نجت اسفل لما كانت تعيشه من
العنف عنها وتضاعفت نعمتها عليها ولو حضرت بين يديها في تلك الساعة لقتلها يدها
وكان عبدالله يشارك عمراً بالبحث فلما رأه يبحث عن عن خلع الباب اتيه ساعته
وقال «لقد كشفت الفاض وعرفت القائل انه ربكان عبد قطام فقد شاهدته في دار
الامير بالامس قبل المحاكمة ولم يسع الامير امر ما تقض عليه . انه احتلال بخلع الباب
وساعد سيدته على قتل العجوز انتقاماً لها او خوفاً من لسانها»

فصاح عمرو للحال «لقد اصبت كدر الحقيقة انه ذلك العبد تعينه ثم أمر
بالجريمة فحملت ودفنت وعاد الجميع آسفين لنجاة تلك الخائنة من بين ايديهم ولكنهم
عزوا انفسهم بصفاء المودة بينهم وخصوصاً خولة وعبد الله فانها كانوا يتوقعون قذوره
سعيد ولا ينفع عيشها الا فرار قطام ومقتل الامام على ان عمراً عوّل على البحث
عنها ومعاقبها



الفصل الخامس والمائة

غوطة دمشق

اما بلال فلما بعثه عبدالله ليتربع مع سعيد في الكوفة سار الى دمشق فرأى سعيداً باب ظاره هناك فاحكي له ما قررَ القرار عليه واستنهضه للمسير الى الكوفة فاستعمله يومين ريثما يقضى بعض الحاجات . وفي اصيل اليوم الثاني حملوا حملاً احتمالها وخرجوا على جملتها على ان يبيتنا تلك الليلة في غوطة دمشق ويصبوا في اليوم التالي على طريق الكوفة

وفي خروجها من باب المدينة لفيها رسول عبدالله الفادم لاستئنافها الى الفسطاط وهو يعرف بلالاً فاوقة ودفع الكتاب الى سعيد فرأه سعيد وهو لا يصدق لعظم ما ماله من الفرح للقبض على قطام مع رضا عمرو وما توصله من شوق خولة اليه اما بلال فتافتت للقبض على قطام في غيابه عفا عنه ان يعنوا عن قتلها او ان يقتلها احد سواه وهو بود ان يقتلها بين ايشفي منها غليلة

فقال سعيد للرسول « كما خارجين الان الى الغوطة لنبيت فيها ونصبح الى الكوفة فأرى بعد ان حملنا احتمالنا ان نظل في طريقنا الى الغوطة فنبيت هناك ونصبح في الغد للنفس الفسطاط » فساروا جميعاً حتى وصلوا بعد الغروب الى مجبرة صغيرة حوالها اشجار النباح والمشمس والسفرجل والخوخ تحملها اشعار الحور وقد علمت تقنية الصنادع يحملها حيف الاشجار وصنير الصراصير وهبوب الربيع ونفريد الطيور مما يشرح الصدر ويندر مثاله في غير تلك الغوطة
فحطوا احتمالهم واشنغلوا بلال ورفقته باعداد المشاه ما حضر ولا يخلو الطعام هناك الا بالفا كمة

وكان بلال يعرف صاحب ذلك البستان وقد نزل عند اهلة قدوة من الفسطاط فترك سعيداً او الرسول ومشي بين الاشجار تحت جنح الظلام يتلمس بيت البستان . ولم يعش برهة حتى اخطأ الطريق اتكاً اشجار وجعل يتلمس في سفين وهو لا يزداد الا ضلالاً وبعد احتى اصبح وبينه وبين وفاته ميل وبعض الميل وهو لا يدرك فوقف يتفرس من

بين الاشجار لعلة برى نوراً او يتبين المزل من وراء الافق . ولبث برهة يعمل فكرته ويحاول ان يعرف الجهة التي ترك فيها رفقة اكي يعود اليهم ولو بلا شيء وفيها هو يذكر وقد هذا الجبو وسكنت الطبيعة لا يسمع فيها غير نغمة الضفادع عن بعد فإذا بصوت اجهلة وهو جمير جمل عقبه جمير جمل آخر فعلم ان القادمين ركب امسى عليهم المساء قبل الوصول الى المدينة . فمكث يانتظر وصولهم ليحاط بهم ويستفهم منهم عن الطريق . وبيان قد امسى ظهره الى سجن فنطاؤل سعنقو وتنصت ليتحقق الجهة التي سمع الصوت منها فسمع لفطاً وكلاماً استلنت انباءه فاصاح بصوته فاذا بقائل يقول « دعنا ننزل هنا يا ريحان فاذا اصبعوا دخلا دشقا لاني أخاف ان يستخفوا اذا دخلناها في الغلام ... لا نظننا في امان هنا؟ »

وسمع الجواب « نعم يا مولاتي »

فاقتصر بدن بلال عند سماعه ذلك الصوت وقد ادرك لاول وهلة انه صوت قطام وخصوصاً لما سمعها تخطّط ريحان بما زجة خوف . وتحقق للحال انها آتية فراراً من سجن الفسطاط

الفصل السادس والمائة

* النزول *

وكانت قطام لما أرسلت الى سجنها قد حقدت على لبابة كما قد علمت . ونظرأ لما فطرت عليه من اللؤم والفساق لم يكن اهون عليها من قتل لبابة ولم تعبر بها كان لها في خدمتها من التعب . وكان ريحان يومئذ واقفاً في دار الامارة فلما رأى سيدنة ولبابة سائرتين مخنوتين علم انها في ضيق فراعي اللؤم يচفع حتى عرف الحجرة التي حبسوها فيها . وعمل فكرته لانفاذها . وكانوا عدد اول وصولهم الفسطاط قد نزلوا في دار الامارة فاحتلال في اخراج الجبال والامتنعة الى مكان خارج الفسطاط . ولما توسط الليل غافل الناس وجاء الى سجن قطام وقد تمها لمعالجة الباب . فسمع لفطاً فادا هو خصم احدنمنها وبين خادمهما . فاستجعل فيه

فتح الباب بالعنف ودخل فلما رأته قطام اشارت اليه ان يساعدها على قتل لبابة فصاحت هن «نباً لكِ يا ظالمة يا فاجرة اني انوب الى الله عما ركبتُ في سبيلكِ من الذنوب . ولما انت فلانجواك الله من عوائب آثامك و...» فابتدئها ريمان حالاً فسده فاما وخيتها وخرج بسيدو من باب كان قد عرفة واسترضي ببابه . فلما بعد عن النسطاط تحول بها الى ما من كان قد ادعه عد موقف الجمال . فركبا وهي تشي على شهامتها . فخَيرَهَا في الجهة التي تسير فيها فاختارت دمشق لأن فيها اناساً من أهلها كانوا قد هجروا الكوفة بعد واقعة الهردان وفشل الخوارج وأقاموا في دمشق فسارا حتى اتوا الغوطة في تلك الليلة بعد وصول رسول الله بعد بضع ساعات كما قد رأيت . وكان بلال لما ناكد انها قطام وريمان لم يعد يعلم كيف يفرح . وقال في نفسه لقد احب الله سُولِي . والله اني ساذينها الموت بيدي هذه . وجس منقطة فرأى الخنجر فيها . فلقيت مستظللاً بالشجرة ليرى ما يكون منها . فإذا ها قد سارا خطوات قليلة حتى اتيا الى قناء لانحدار مائها خربة ومحاسب القناة شجن من الصناصاف يستظل بها المارة في اثناء النهار . فخَوَّلَ عن الجميلين وضرب ريمان النبة كالعادة وأخذ الدار ثم قال لولاته «استريحي يا سيدتي ريشاً لأقي البستانى في قي اليك بعض الزاد والفاكهه وانت هنا في ما من»

قالت «سر ولا نطل الغياب»

قال «حسناً» وانصرف

الفصل السابع والمائة

* على الباغي تدور الدوائر *

وكان بلال واقفاً ينظر اليه . فلما رآه توارى نظر الى قطام على بصيص النار فإذا هي قاعنة وقد كشفت عن وجهها وعنقها وشررت عن ساعديها ثم رأها بهضت وضفائرها مدلاة على كتفيها وظهرها وفي اطراف الضفائر دنانير معلقة اذا تصادمت اثناء المشي سمع لها رنين . ومشت الى حافة القناة ودمائجها وخلالها تخشن خشيشاً . فخفاف

بلال اذا ابطأ ان تنونه الفرصة فوشب عليها وهي نهم بالجلوس على حافة القناة وامسك بطوقها وجذبها اليه ونوقعت على قفافها فجنبها على صدرها . فصاحت « ريحان » وقبل ان تم كلامها وضع بلال فضته في فيها وقال لها « لم يبق لك في هذه الحياة الا دقائق قليلة فاعلي قبل ان تفارقها اني بلال خادم خولة وسعيد واني منتقم للامام علي » فاشارت بعينيها انها تربد الكلام فاستل الخبجر وصوبه الى عنقها وقال لها « تكلمي بهدو و اذا رفعت صونك اغمدت هذا الخبجر في عنفك »

قالت « ارحمي يا بلال واشق على حياتي »

قال « لا يرحمني الله ان رحيلك واست قد ضافت ابن ملجم وحرضه على قتل الامام علي . واردت قتل شابين من خيبة الشمان . ولكن حيلتك لم تطل فبهما . وخيراً جئت النسطاط لاغراء أميرها على خولة . كيف ارحمك يا خائنة »

قالت « ذلك قد مضى يا بلال ولما نائية فاعف عن قتلي ولك كل ما املكه »

قال « هل يتوب الهر !! . ولما العو عن قاتلك فوالله لو عرفت فصاصاً اعظم من القتل لناصحتك به لان النيل قليل على فاجعة خائنة بذلك »

فهمت ان تحببها فادركت انها تماطلة بربتها يعود ريحان فقال لها « اعلمي يا قطام ابني قاتلك انتقاماً للامام علي » قال ذلك واغمد خبجه في عقها واسرع فاحتر رأسها وترك الجثة ولها تغيير ما زل بن في اذنيه الى مسافة بعيدة . وكان لما رأى تلك الفتاة قد عرف الطريق المؤدي الى مقر سعيد فانسل بين الاشجار وقد أمسك الرأس من جدائها وتركه يتدلي والدم يقطر منه

الفصل الثامن والمائة

* الفاكهة الغربية *

فلمما وصل بلال الى سعيد والرسول الجديد كما قد استطاء وانشغل خاطرها عليه . فلما سمعا وقع اقدامه صاح سعيد فيه قائلاً « ابن العاكرة يا بلال لقد ابطأك وغاب عيوننا الجموع »

فلم يجده بلال وأكنته ظل ماشياً حتى وقف امامه وردى الجمجمة بين يديه وقال
« هذه فاكهتي »
فاجهل سعيد ونظر فإذا هو رأس قطام باقراطه وضفائر واستغرب أمره فسأله
عن تفصيل الخبر

فقال « ليس هذا وقت السؤال هموا بما نخرج من هذه الغوطة الآن فإذا
أمّا من عيون الحكومة أخبرتكم الخبر »

فنهضوا وهم الى تلك الساعة لم يذوقوا طعاماً وركبوا جاهم واستثنوها جهد
طاقتهم وهم تارة يصدون نلاً أو ينزلون غوراً في آونة يغوصون في الماء وطوراً
يدوسون الأشواك أو يتصادم روؤسهم فيكتافهم بعضهم البعض حتى انتصف
الليل فانهوا الى سهل قليل الاغراس وقد بعدوا عن دمشق فوصلوا الى السير الى الفجر
فخفقوا انهم أمنوا العيون

فجلسوا للاستراحة على مصطبة بالقرب من عين ماه حاربة وبعد في شوق شديد
إلى ساع تفصيل مقتل تلك المرأة

فقص بلال حدثة وقلبه يرقص من شدة الفرح . وإنما لاسباب سروره استخرج
الجمجمة من جراب كان قد خيأها فيه ووضعها على المصطبة بين يدي سعيد .
وكان شعرها قد تحجّل بالدم والعينان مطبّقان والشتنان مفتوحان عن اسنان
كالمولوء ومسوة الجمال لا تزال تحجّل في محيا تلك المرأة مع صفاء اللون وأصفراره وما
ناتطخ به من الدماء

الفصل التاسع والمائة

* الموت عبرة الاحياء *

فمد سعيد يد الى جبين تلك الجمجمة ولائمة فإذا هو بارد كالثلج فقال
« امت بالله كأنه سحانة ونعالى قد كتب لي ان لا المس هنا الجبين الا وهو ميت
مع شدة رغبتي في له و منذ اعوام » ثم وجّه خطابه الى الجمجمة وقال « أأنت قطام
بنت شحنة وقد طلبت دهاءك ومكرك على مئات من الرجال . أبهاتهن العينين فهانت

ابن ملجم كما فتنتني . وبه اذن الشفيف عقدت له على نفسك اذا قتل الامام كما عقدت لي . انك ستلاقيه عاجلاً وستلافيان عليه في مكان لا تخفي فيه خافية . في مكان تناول فيه كل نفس جزاء ما صنعت ان خيراً وان شرّاً «

تم التفت الى بلال وقال « ماذا نعمل بهذا الرأس »

قال « نحمله الى الفسطاط لاضمه بين قدمي خولة ذلك الملوك الظاهر »

« قال لا اظنهما نسراً بهذا المرأى ولا انا سرت به . وزد على ذلك انه هذه الجحمة لا تصل الفسطاط الاً بعد ان تتنفس وتتصاعد عنها رائحة تنفسها النس »

فاطرق بلال هريرة وهو يتآسف لعدم استطاعته حمل الرأس الى خولة ثم قال « فاسمح لي اذا ان احمل علامة منه »

قال « وما هي تلك العلامة »

قال « اقطع منه الاذنين وفيهما الاقراط وأقص هذالشعر وفيه الصفائر الذهب »

قال « لك ذلك فاقعده »

فاشتعل بلال في ذلك على ان يستريحوا هناك ويتناولوا العدة ويعزموا على الفسطاط

المفصل العاشر والمائة

* ادا سقط اللئيم لا يلقى نصيراً *

اما ريحان فاته عاد من عند المستاني بعد قليل وقد اعد كل ما تزاح اليه سيدة من العاكفة والاطعمة وامر المستاني ان يشوي بعض اليام . ولما دنا من الخيمة سمع شخيراً كشخير النائم وكانت قطاماً اذا نامت شترت وهو عرف فيها ذلك . فقال في نفسه يظهر أنها لم تهلك عن اليوم من شدة الاعنة . ودنا منها فاذابه بجانب القناة والظلام حالك والنار التي اوقدتها قد خمدت فلم يتبه لها ف قال في نفسه لاني بن الشمع واعد المائدة ربما تبيق فانار الشمعة ولاحت منه التفابة الى سيدتو فرأها تتحرك فاقبل اليها فاذا هي تخليج اختلاج الزراع وقد أصبحت جثة بلا رأس

ورأى دمها قد عَكَرَ القناة . نبضت وألم وجهه ووقف لحظة ينكر في من عسى أن يكون قد فعل ذلك فقال في نفسه « لا يخلو أن يكون ذلك قد حدث بایعاز عمرى من العاص والقائل قد فرَّ الآن ولا سبيل إلَّا . فإذا أصحيت وجنت الناس لا اظن النسمة إلاً واقعة على »

فخbir في أمره ثم تذكر ما ارتكته قطام من النظائع كأنه يحاول أن ينس لنفسه عذرًا إذا نجلى عنها . فرأى أنها ارتكبت عظام تستحق الفيل على كل واحدة هما . وتنذكر ما وراءها من المال الكثير والملايين الثمين وأنه هو وحده يعرف مخدانتها في الكوفة . وطبع في اكتساب ذلك الميراث وصم على اغتصاب هذه الفرصة فهمَّ بها عليهما من المحلي فاستخرج الأسوار والدمارج من يديها والعنود من عندها وجمع ما في حبوبها وصناديقها من غالى الثمن وخيف الحيل . وتركها تختلط بدمها ولسان حاله يقول « ذلك هو جزء القوم الظالمين » ودخل الشام في الصباح التالي فاشترى أثوابًا تذكر فيها وقدد الكوفة واستخرج ما خانته قطام هناك من الأموال وابتاع لنفسه ضياعة أقام فيها إلى آخر حياته

ولما استأنى فكان قد أعدَ الطعام وحمله وفيه الجس والعاكمة والخز في سل وجاء إلى موضع الخيمة وهو مسرور تلك الضيافة لانيها كانت كريمة تعطى الناس بسخاء . ولكن ما وصل الخيمة حتى رأى اتحال كما ذكرنا وليس هناك إلا جنة قطام وكانت قد هدمت وسكن بشخيرها واختلاجها . ولا نسل من رعيه لما رأها في تلك الحال فقال في نفسه « لا بدَّ من جماعة أقوياه تجرأوا على هذا العمل وقد فعلوا ما فعلوا ونجحوا بأنفسهم . فإذا أبا اظهرت هذه الجنة جلبت لنسي البلاء فالي الأ إن احتضر لها حنف أخنيها فيها » فاشتغل بالحفر وهو يحذر ان يراه أحد أو يسمع خط معوله . ثم دفن الجنة وأخى آثار الدماء وحمل كل ما يبقى من الامتعة إلى بيته وساق جملًا كان باقياً هناك وكم تلك الحادثة وما زالت مكتوبة إلى الآن



الفصل الحادي عشر والمائة

* الوصول الى الفسطاط *

اما وفد الفسطاط فلما اشرفوا على المدينة من سفح المقطم ظهر لهم جامع عمرى في وسط المدينة كالبدر بين الكواكب فاستجعلا الرسول الجيد ماذاهاب الى عبد الله لينبهنه سرحوهم واوصوه ان لا يذكر له خرق قطام

اما عبد الله فكان قد خلا له الجو وصفا له قاتب الامير ولكن ما زال منشغل بالاطلاق في امر سعيد وكلما ذكر فرار قطام من سجنهما انقضت نفسه وكلما لقي خولة تجادلها بما مرّ بها وذكرا سعيداً والنمسا سرعة وصوله وعبد الله يدخل اسلوباً يخربه به عن حقيقة حاله مع خولة

وفيمما هو جالس ذات صباح في غرفته دار الامير اذا برسوله قد اقبل وعليه علام السر فصاح به « ما او راك »

قال « ورائي سيدى سعيد وبلال »

قال « وابنها »

قال « تركتها في سفح المقطم فادميين وجئت لاشركم »

قال اهلاً بالقادمين ونهض لاساعته وخرج على فرس أسرجه له ولم يكدر بخرج من الفسطاط حتى التقى سعيد وبلال على جملين فرجل بلال الحال وهو يد عبد الله فقبلها

فقال عبد الله « بورك فيك يا امير وبورك بشهامتك » وهم سعيد ان يتراجل فاشار اليه عبد الله ان يبقى على جمله لينزلها معه في دار الامارة

فمشوا وسعيد ينسم فقال له عبد الله « ما الذي يصحنك »

قال « يصحنني انا ذاهبون الى دار عمرو بن العاص وقد كنا بالامض نخادره ان يسمع بنا او يرانا »

قال « الله في خلقه شؤون » ثم قال بصوت خافت كأنه يخادر ان يسمع احد « لواراد الله نجح مسعانا ونجا الامام علي كرم الله وجهه لما همنا التزول في هذه الدار »

فقال سعيد «لا تذكرني بذلك الحادث الفظيع فقد شهدتني ببني ورأيت ابن ملجم اللعين بأم عيني يضرب الإمام بذلك الميف المسموم وقد كان بيننا وبين أفاده لحظة لوارد الله لجعلها . ولكن الآجال مرهونة بأوقاتها»
 قال «ولكن الله سيجزي الفاسدين وأما نحن فقد صرنا الآن من حاشية من العاص وهو الحق يقال من دهاء العرب وكرامهم وكبار قوادهم»

الفصل الثاني عشر والمائة

* المداعبة *

وتحادثا في أمثال ذلك حتى اقتربا من الدار فنال عبد الله «لم اسمعك تذكر خولة .. هل نسيتها »
 فابتسم سعيد وقال «كيف أنساها ولما أها جئت التمسها»
 قال «وماذا تلتمس منها »
 قال «لا ادرى ..»
 قال «اظنك تدري والا فاعلم ان خولة الآن قرينتي زوجني بها عمرو وكتب كتابي عليها نامون»
 فضحك سعيد وهو يظن ان عممه يازحة ..

فبينما هر عبد الله بالجبل وقال «يظهر لي المك لم تصدق قوله فاقسم بالله وترى اي رحاب ان خولة قد زفت اليه وكتب العقد على يد الامير . وإذا كتبت لا تصدقني فاسأل كل من في هذه الدار عن ذلك»

فغلبت الشهامة على سعيد ولم يسمعه الا ان قال «وما يمع ان تكون زوجة المك بورك لك فيها . السست اخي ورفيقي ولان عني قال ذلك وهو لا يزال يشك بما سمعه لعله باخلاق عبد الله ووصل الى الدار فترجلا وسارا نحوها الى غرفة عبد الله وبعثا الى عمرو بقدومهما ان يستقبل سعيد في غرفة خاصة وبعث الى خولة ووالدها فلما جاءا

اقبل عمرو الى تلك الغرفة وقد اجتمع فيها الجميع وبلال وافق خارجا فلما دخل عمرو نقدم سعيد لنقييل يد السلام عليه فرحب به ودعاه للجلوس فقال سعيد « اذا اذن مولاي فليأتى من عبي بلا بلا بالدخول ليحضر هذه المجاسة » فامر بدخوله فازوى في بعض جوانب الغرفة متادبا وفي يده جراب من جلد و كان سعيد يتظر الى خولة من تحت النقاب وينكر في ما سمعه من عبد الله وهو يتردد بين الشك واليقين

فلما استتب لهم الجلوس خاطب عمرو سعيد قائلا « اظنكم توقعون ان تروا قطاماً سجينة »

فقال سعيد « نعم يا مولاي »

قال « ولكنها فررت من السجن وزادت ذنبها عظماً بقتل خادمتها . وكنا قد اردنا استنقاؤها مسجونة . اما الان فاذا ظفرنا بها لا لاقاصض لها عندنا غير القتل »

الفصل الثالث عشر والمائة

* جائزة مئة دينار *

فلم يقال سعيد عن الابتسام وقد ندم لانه لم يصرح بالأمر لما سأله عن عمرو وهم بالكلام فاعترضه بلال مسناً ذاماً . فسكت . فتقديم بلال الى عمرو وجثا بين يديه والجراب يده وقال « استعطف مولاي ان يأذن لي بكلمة اقوها »

قال « فل »

قال « كيف ترجون النسب على قطام وانتم لا تعرفون مقرها »

قال « نُطِيع الناس في البحث عنها بمال كثير »

قال « بكم تسمح نفس الامير لمن يقبض عليها »

قال « نعطيه مئة دينار »

قال « اشتريت ان يؤتني بها حية »

قال « لا فرق جاء بها حية او ميتة »

قال «وإذا جاء بخبر قتلها»

قال «نقبل منه ذلك بشرط أن يأتينا بما يثبت قتله أياها»
 فأخذ بلال بحبل الجراب وهو يقول «فلياً من مولاي الامير بن يدفع لي مئة دينار» وما ثم قوله حتى أفرغ الجراب بين يدي الامير فناحت الراية وظهر الشعر الملطخ بالدماء وبلال يبحث فيه باصبعه حتى وجد الاذنين وفيهما الاقراط فاجعل عمرى وسائر الحضور لذلك المنظر واشارة نوسهم من تلك الراية الكريهة وصاح فيه عمرى «ويالله ما هذا»

قال «هذا هو شعر قطام ملطفاً بدمها . وهن اذناها واقرطها . وإذا احرجتوني جشمكم برأسها . فاني انا تخليت عن احبابه لامر مولاي سعيد» قال ذلك ووقف وهو يشير برأسه الى سعيد

فقال سعيد «نعم يا مولاي اما اشهد ان بلالاً قتل قطاماً وحد واحتز رأسها وجاءني به وهو ينوي حملة اليكم فاشترط عليه ان يكتفي بهذه العلامة تخليساً من ثانية تلك الرمة»

وكان الحضور قد بهتني وهم ينظرون الى الشعر والاذنين فاشعار عمرى الى بلال ان احمل هذه الاقدار من هنا . فاعادها الى جرانه وتنبغي

فقال له عمرى «الله عالينا مئة دينار»

فحني رأسه شكرأً وامتناناً وقال «اني اشكر مولاي الامير على نعمته ولكنني اعترف له باني لم اقتل هذه الخائنة طمعاً بجازة وانما قتالها انتقاماً للحق» واراد ان ينصل ما اجمله فاتبه انه لا يجوز ذكر الامام علي هناك فاكتفي بما قاله ونهض عبد الله فقال «بورك فيك يا بلال» فاقصص علينا الخبر اذا امر الامير .
 فقال عمرى «افصحة»
 فقط من اولوا الى آخر

الفصل الرابع عشر والمائة

﴿الطلاق والزواج﴾

فاثنى الجميع على شهادته وخصوصاً خولة . وذكرت ان والدها كان نافقاً عليها من اجله فاغتنمت تلك الفرصة لاكتساب رضاها عنها فقالت « يا بلال نقدم ما ذكرنا الامير وقبل بيدي سيدك » وأشارت الى والدها . فتقدم بلال للحال وقبل بيده فاثنى عليه فعاد الى موقفه . وكان الحديث قد انقضى ولم يتحقق غير الانصراف فوقف عبد الله والتفت الى عمرو وقال « اشهد لها الامير ان امرأتي هذه طلاق مني ثلاثة » وأشار الى خولة

فأنبه سعيد لما كان سمعه منه فتحقق انه كان مغوداً له عليها . فعلته البغة ولحظ عمرو في ذلك فنال « طب نفساً ياسعيد ان خولة لا تزال بكرأواها طلبهما عبد الله صورةً كما تزوجها صورة » والتفت الى ابي خولة وقال له « اني اخطب خولة منك لسعيد »

فقال ابو خولة « هي جاريتك يا مولاي فاقم بها ما شاء »
فحجلت خولة لذلك المباوقة بين بيديها واطرقـت
ولامر عمرو فكتب الكتاب في الحال وهنـاها بذلك النـزان وأمر بلال بالمال
الذـي وعـدـ به وانصرف الجميع الى بيت خـولة بعد ان ودعـا عمرـاً وشكـراً صـنـيعـه ،
وبعد ايـام استاذـن عبد الله سـعيدـاً في الـذهبـ الى مـكةـ المـقـامـ مع اـخـلوـ وـتـديرـ
ترـكـةـ جـدنـ لهـ بالـرـغمـ عـنهـ . فـانـصـرـفـ وـوـدـعـ خـولةـ وـالـدـهـاـ وـالـامـيرـ عمرـاـ وـسـارـ الىـ
مـكـةـ وـاقـرـنـ هـنـاكـ بـابـةـ عمـ لهـ وـعـاشـواـ جـيـعاـ عـيشـاـ لـاـ يـشـوـهـهـ مـنـ الفـصـصـ الـاـفـتـكـارـ
بـقـتـلـ الـامـامـ عـلـيـ . وـزـادـ تـغـيـرـهـمـ مـاـ سـمـعـوهـ بـعـدـ ذـكـرـهـ مـنـ تـنـازـلـ الحـسـنـ بنـ عـلـيـ عـنـ
الـخـلـافـةـ لـاعـاوـيـةـ بنـ اـبـيـ سـفـيـانـ . فـخـرـجـتـ الـخـلـافـةـ مـنـ اـهـلـ الـبـيـتـ وـصـارـتـ الـهـيـ بـنـيـ اـمـيـةـ .
وـاـنـاـ فـعـلـ الـحـسـنـ ذـكـرـهـ حـجـباـ لـلـدـمـاءـ وـلـمـ يـتـولـ الـخـلـافـةـ الاـ سـنـةـ اـشـهـرـ فـاتـنـقلـ كـرـسيـهاـ
مـنـ الـكـوـفـةـ الـىـ دـمـشـقـ وـمـاـ زـالـ فـيـهـاـ الـىـ اـنـقـضـاءـ دـوـلـةـ بـنـيـ اـمـيـةـ

﴿تمت الرواية﴾

قال «وإذا جاء بخبر قتلها »

قال «قبل منه ذلك بشرط أن يأتينا بما ثبتت قتله إياها»

فأخذ بلال بحل الجراب وهو يقول «فليأمر مولاي الامير بن يدفع لي مئة دينار» وما تم قوله حتى أفرغ الجراب بين يدي الامير فاختال الرائحة وظهر الشعر الملطخ بالدماء، ولما يبحث فيه ناصبه حتى وجد الأذين وفيهما الأفراط فاجمل عمرى وسائر الحضور بذلك المنظر وأشارت نوسم من تلك الرائحة الكريهة وصاح فيه عمرو «وبالك ما هذا»

قال «هذا هو شعر قطام ملطفاً بدمها . وهن اذناها وأفراطها . وإذا أحرجتوني جئتم برأسها . فاني إنما تخليت عن إجابة لامر مولاي سعيد» قال ذلك ووقف وهو يشير برأسه إلى سعيد

فقال سعيد «نعم يا مولاي إنما أشهد ان بلالاً قُتل قطاماً وحده واحتز رأسها وجاءني به وهو ينوي حملة إليكم فاشترط عليه ان يكتفى بهذه العلامة تخليصاً من تنافس تلك الرمة»

وكان الحضور قد بهت وهم ينظرون إلى الشعر والأذين فأشعار عمرو الى بلال ان أحمل هذه الأقدار من هنا . فاعادها الى حرامه وتنحي

فقال له عمرو «الك علينا مئة دينار»

فعنى رأسه شكرأً وامتناناً وقال «اني اشكر مولاي الامير على نعمته ولكنني اعترف له انه لم اقتل هذه الخائنة طمعاً بجائزة وإنما قتالها انتقاماً للحق» واراد ان ينصل ما اجمله فاتبه انه لا يجوز ذكر الامام علي هناك فاكتفى بما قاله

وبيهض عبد الله فقال «بورك فيك يا بلال» فاقصر علىينا الخبر اذا امر الامير.

فقال عمرو «افصصه»

فقطه من اوله الى آخر

الفصل الرابع عشر والمائة

الطلاق والزواج

فاثنى الجميع على شهادته وخصوصاً خولة . وذكرت ان والدها كان مافقاً عليها من اجله فاغتنمت تلك الفرصة لاكتساب رضاها عنها فقالت « يا ملال نقدم ما ذكرنا الامير وقبل بدري سيدك » وأشارت الى والدها . فتقدم ملال للعمال وقبل يده فاثنى عليه فعاد الى موسمه . وكان الحديث قد انقضى ولم يبق غير الاصرار فوقف عبد الله والنفت الى عمرو وقال « اشهد لها الامير ان امرأتي هذه طالق مني ثلاثة » وأشار الى خولة

فاثنده سعيد لما كان سمعه منه فتحقق له كأن معموداً له عليها . فعلمه الغنة ولحظ عمرو فيه ذلك فنال « طب نفسها يا سعيد ان خولة لا تزال تكرأها طلبهما عبد الله صورة كما نروجهها صورة » والنفت الى ابي خولة وقال له « اني اخطب خولة منك لسعيد »

فقال ابو خولة « هي جاريتك يا مولاي وادعمل بها ما تشاء »
 فتجلت خولة لذاك المباوقة بين يديها واطرقت
 وامر عمرو فكتب الكتاب في الحال وهذا ما بذلك اندران وامر بلال المال
 الذي وعد به وانصرف الجميع الى بيت خولة بعد ان ودعها عمرها وشكروا صنعته ،
 وبعد أيام استاذن عبد الله سعيداً في الذهاب الى مكة المنيّة مع اهله وتدبر
 تركة جده فاذن له بالرغم عنه . فاصرف وودع خولة والدها والامير عمراً وسار الى
 مكة واقترن هناك بامة عم له وعاشوا جميعاً عيشاً لا يشوهه من الفحص الا الافتخار
 بقتل الامام علي . وزاد تعذيبهم ما سمعوه بعد ذلك من تازل الحسن بن علي عن
 الخلافة لاعاوية بن ابي سفيان . فخرجت الخلافة من اهل البيت وصارت الى بي امية .
 ولما فعل الحسن ذلك حجباً للدماء ولم يتولَّ الخلافة الا سنة اشهر فانتقل كرسيهما
 من الكوفة الى دمشق وما زال فيها الى انقضاء دولة بي امية .

تمت الرواية

﴿ روايات تاريخية أخرى تأليف مؤلف هذه الرواية ﴾

- (١) ﴿ فتاة غسان ﴾ هي الحفافة الأولى من سلسلة روايات تاريخ الإسلام تشرح حال العرب في آخر جاهليتهم وأول إسلامهم مع ذكر عوائدهم وآخلاقهم إلى ونوح الشام والعراق وهي جزآن ثمن كل جزء عشرة غروش والموسطة غرش ونصف
- (٢) ﴿ ارمانوسه المصرية ﴾ (طبعة ثانية) هي الحفافة الثانية من سلسلة روايات تاريخ الإسلام تاريخية غرامية تشرح حال مصر لما فتحها المسلمون سنة ١٨ للهجرة مع عوائدها وآخلاقهم وأزيائهم . ثمنها عشرة غروش واجرة المتوسطة غرشان
- (٣) ﴿ عذراء قريش ﴾ هي الحفافة الثالثة من سلسلة روايات تاريخ الإسلام وهي تاريخية غرامية تضم من مقتل الخليفة عثمان ووفاقع الجبل وصنيع والحكيم والخوارج إلى مقتل محمد بن أبي بكر ثمنها عشرة غروش واجرة المتوسطة غرش ونصف
- (٤) ﴿ ١٧ رمضان ﴾ أو الحفافة الرابعة من سلسلة روايات تاريخ الإسلام وهي تاريخية غرامية تضم من مقتل الإمام علي وتنصيب أمير الخوارج وخروج الخليفة إلى بي أمية ثمنها عشرة غروش واجرة المتوسطة ستون ناره
- (٥) ﴿ الماوك الشارد ﴾ (طبعة ثانية) رواية تاريخية أدبية تضم حوادث مصر وسوريا في زمن المعشور له محمد علي باشا والأمير شير الشهابي ثمنها ٨ غروش واجرة المتوسطة غرش ونصف
- (٦) ﴿ أسير المهدى ﴾ رواية تاريخية غرامية تضم حوادث عراقي والمهدى وحادته سنة ١٨٦ في دمشق . ثمنها ١ غروش صاع واجرة الربد غرشان (طبعه ثانية تحت الطبع)
- (٧) ﴿ استداد الماليك ﴾ (طبعة ثانية) رواية تاريخية تضم حوادث آخر القرن الثامن عشر ثمنها ٨ غروش واجرة المتوسطة غرش واحد
- (٨) ﴿ جهاد الحسين ﴾ رواية أدبية غرامية ثمنها ٦ غروش صاع واجرة المتوسطة عرش ونصف

« ونطلب هذه الكتب من مكتبة الهلال بالجالية بصر »

- (٩) **نارنج مصر الحديث** من النجع الإسلامي إلى هذه الأيام مع المختص بتاريخها القديم وهو جرآن كبيران فيه مائة رسم واربع خارطات شهادة . ٤ غربشان صاعاً وأجنحة البوسطة ٥ غروش
- (١٠) **نارنج الماسوية العام** منذ شاهدتها إلى هذه الأيام شهادة . ٣ غربشان صاعاً وأجنحة البوسطة غرشان
- (١١) **التاريخ العام** ابجرع الاول يتضمن تاريخ الملك اسمها وفترتها وخصوصاً مصر شهادة ٨ غروش صاع وأجنحة البوسطة غربشان واحد
- (١٢) **العلسعة المأكوية** فيها بحث تحليبي للأنماط العربية ثمها عشرة غروش وأجنحة البوسطة غرش واحد
- (١٣) **جغرافية مصر** (طبعة نادية) يتضمن جغرافية المديريات والمحافظات ونحوها وصافها وحدتها ٣ غروش ومع الشاردلة ٥
- (١٤) **ردّ رمان** ردّ على آية زد تاريج مصر الحديث شهادة غرش واحد
- (١٥) **ملخص تاريخ الرومان والرومانيين** من الرسوم شهادة ٣ غروش والبوسطة عترون ناره
- (١٦) **تاريج الكتراء** هو ملخص ينتهي إلى آخر الدولة البيزنطية سنة ١٤١٥ وفيه رسوم وشكال شهادة ٢ غروش والبوسطة غرش
- روايات أهلال وبعض مطبوعات طبعة أهلال**
- (١) **اكتفاء القبوع** هما دومنابوع من الكتب العربية من أول عدد العلامة إلى الآن تأليف استرادوارد والديك عدد صفحاته سبعون غرشاً وأجنحة البوسطة خمسة غروش
- (٢) **استرانوبكي** (تأليف صموئيل أفيدي بي) وهي الرواية الأولى من روايات أهلال غراموسة تاريخية حصلت حوارتها في زمن خليفة الأسكندر المقدوني شهادة خمسة غروش وأجنحة البوسطة عرش
- (٣) **لرسوص فريديدا** هي الرواية الثانية من روايات أهلال تبر - إدارة أهلال - جرآن بن الجرجي الواحد خمسة غروش وأجنحة البوسطة غرش
- (٤) **اللامام في من ارض الحسنة من ملوك الاملام** المقرب زكي شهادة ٤ غروش وأجنحة البوسطة اصف غرش

- (٥) **انتصار المحبين** رواية غرامية ادبية ليوسف افدي زيدان تمنهاه
٥ غروش والموسطة غرش
- (٦) **التقويم العام** لخمسة آلاف عام نستخرج به اي يوم اردته
 بالتاريخ المجري و الافرنجية والرومية والعبرية القبطية من الميلاد الى خمسة آلاف
 سنة بعد وقد طبع منه ثلاثة طبعات عربية وإنكليزية وفرنساوية وثمن النسخة من كل
 طبعة ٢٥ عرشاً (اصلها خمسون غرشاً) والموسطة ٥ غروش
- (٧) **الثورة العرابية** هي رواية تشخيصية تبسط الحوادث العرابية
 المشهورة وتبين حركات العرابين وأحوالهم في أثناء ذلك تأليف محمد افدي
 الارودي ثمن النسخة ٥ غروش واجنة المتوسطة غرش
- (٨) **قطائف الاذانف** كتاب مجموع نوادر ونكت ادبية
 واقاصيص فكاهية هو حberman ثمن الجزء ١ غروش واحد المتوسطة ستون باره
- (٩) **قلادة التقىق** لعبد الغراماطيق تعلم ملادي الله الزنساوية
 تأليف انصارون افدي فارس ثمن النسخة ٤ غروش واجنة المتوسطة ٣ عشر ودون باره
- (١٠) **بواذر الكرام** هو مجموع نوادر الكرماء في ابوااهة في الاسلام
 بارافق ذلك من التكاثف والهائمه تأليف ابراهيم افدي زيدان ثمن النسخة خمسة
 غروش واجنة المتوسطة غرش
- (١١) **الطريقة المشكفة** هو كتاب درسي لتعليم القراءة العربية تأليف
 ابراهيم افدي زيدان صدر منه ٢ اجزاء ثمن الجزء الاول منها ٣ باره صاعاً والثاني
 عرش صاغ والثالث غرشان صاغاً يضاف اليها اجرة البريد
- (١٢) **ايام هبائي الاخيرة** رواية تاريخية ادبية غرامية تشرح كيفية
 الخساف مدينة هبائي بسبب هياج بركان فيزوف ايطاليا في القرن الاول للميلاد
 تأليف اللورد لتن ونوريه السعيد فربع عصايه ثمنها عشرين غروش واحد المتوسطة
 غرشان
- (١٣) **حرب آل عنان** رواية تشخيصية تtell حرب اليونان الاخرين
 مع الدولة العلية تأليف فولا افدي الياس ثمن النسخة ٣ غروش واجر المتوسطة
 عشرون باره

To: www.al-mostafa.com